دراسات في تـاريخ المدن الأندلسية

(تطيلة – سمورة – طركونة – قلعة رباح

لشبونة – لورقة – مدينة سالم)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جميع الحقوق محفوظة

الكتاب: دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(تطيلة – سمورة – طركونة - قلعة رباح

لشبونة – لورقة – مدينة سالم)

المؤلف: الأستاذ الدكتور جاسم ياسين الدرويش

الأستاذ المساعد الدكتور حسين جبار العلياوي

الطبعة الأولى: ٢٠١٨

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة . نشر . توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السلسلة رقم (٣)

دراسات في تاريخ المدن الأندلسية

(تطيلة – سمورة – طركونة - قلعة رباح – لشبونة – لورقة – مدينة سالم)

الأستاذ الدكتور
جاسم ياسين الدرويش

الأستاذ المساعد الدكتور
حسين جبار العلياوي

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المقدمة

بدأت قصة العرب المسلمين مع أسبانيا منذ سنة ٩٢هـ /٧١١م واستمر نفوذهم الفعلي فيها حتى سنة٨٩٧هـ/ ١٤٩١م ، وكان مصطلح الأندلس يطلق على تلك البلاد حيث كانت سلطتهم ، وخلال تلك المدة خضعت معظم المدن الاسبانية إلى نفوذ المسلمين ، وأسهم المسلمون في تطويرها وتوسيعها وأعمارها ، فازدهرت الحياة فيها بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

وقد ولع الأمراء الأمويون بالأندلس بالبناء وأكثروا منه ، وهو ما جعل المدن الاسبانية القديمة تتوسع إلى أضعاف مساحتها بعد الفتح الإسلامي ، ولو أخذنا قرطبة مثلاً نرى أنها كانت قبل الفتح مدينة صغيرة ، وما أن اتخذت مركزاً للولاة حتى بنيت القصور والمساجد والجسور واتسعت أحياؤها حتى((...أن دَوِّر قرطبة كلها ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ، وعدد أبوابها سبعة ، وعدد أبراجها المنتظمة بدَوِّر السور من جوانبها الأربعة مائتان واثنان وسبعة أبراج ، وعدد أرباضها المحيطة من جميع نواحيها عشرون ربضاً ، ويدور بجميع هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأرباض الخندق المشهور لم تقدر على مثله أمة من الأمم ، وهو المحيط بجميع أرباض قرطبة ومساكنها ، وذَرْع دَوْره من جهاته الأربعة ثلاثة وعشرون ميلاً))[1].

ويكفي للتدليل على ولع الأمراء الأندلسيون بالبناء هو ما نُقِل عن الخليفة الناصر لدين الله(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) عندما كان يبني مدينة الزهراء ودخل عليه القاضي المنذر بن سعيد البلوطي فوجده منهمكاً فوعظه ، فأجابه الخليفة قائلاً:

همـــم الملـــوك إذا أرادوا ذكرهـــا
مـــن بعـــدهم فبألســـن البنيـــان

أوَ مـا تـرى الهـرمين قـد بقيـا وكـم
ملـــك محـــاه حـــوادث الأزمـــان

إن البنـــــاء إذا تعـــــاظم شأنـــــه
أضـحى يـدل علـى عظـيم الشـان[2]

والحقيقة أن مع كل مدينة من مدن الأندلس قصة تبدأ بالفتح وتنتهي بالسقوط ، وتشمل مختلف نواحي الحياة ، وحاولنا أن نتناول فيها الجغرافية التاريخية لكل مدينة بما في ذلك خطط المدينة وطبغرافيتها وآثارها ، ثم التاريخ السياسي لها وما صاحب ذلك من أحداث تعرضت له المدينة مدة خضوعها للمسلمين إلى سقوطها

---

١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٧.

٢) المقري، نفح الطيب، ١/٥٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيد النصارى ، ثم حياتها الفكرية وأشهر شخصياتها وإسهاماتهم في العلوم المختلفة.

وبعون الله تعالى فإن هذا الكتاب هو سلسلة من الأبحاث عن المدن الأندلسية ، شملت الأولى مدن لاردة وبيّاسة واستورقة ، وكانت الحلقة الثانية عن مدينة برشلونة فقط ، فيما ضمت السلسلة الثالثة التي بين أيدينا سبعة مدن ، وهي تطيلة وسمورة وطركونة وقلعة رباح ولشبونة ولورقة ومدينة سالم ، وستكون لنا إن شاء الله دراسات أخرى عن المدن الأندلسية إن كان في العمر بقية ، ومن الله العون والسداد.

مدينة تطيلة الأندلسية

٩٤- ٥١١هـ/ ٧١٢- ١١١٧م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: الجغرافية التاريخية

تقع مدينة تطيلة(**Tudela**) في الثغر الأعلى الأندلسي شمال مدينة سرقسطة(**Saragosa**)[١] ، وفي الشمال الشرقي من قرطبة (**Cordoba**)[٢] التي تبعد عنها خمسون ميلاً[٣] ، وهي بذلك ((محاذية لأرض الشرك الذين يُقال لهم البسكنس[٤]))[٥] ، والى

---

١) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥.

٢) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٠٤.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣٣/٢ ؛ والميل يساوي ٢كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٨.

٤) وردت كلمة البشكنس في المصادر التاريخية بأسماء متعددة فجاءت بلفظة البسكنس والبشكنس والبشكنش وبشكونس والبشاكسة، وفي المراجع الحديثة أطلق عليهم اسم الباسك للتنويه إلى خليج بسكاي المحاذي لمناطقهم، والبشكنس هم سكان نافار وهو إقليم يمتد عبر جبال البرت الغربية على الحدود ما بين فرنسا وأسبانيا، ينظر : اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥ ؛ ابن حوقل صورة الأرض، ص١٠٩ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢ ؛ ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ /٧٩٧- ٨٤٦م) تحقيق مكي، ص٣٠٦، ٣٠٧، البكري، جغرافية، ص٧٩، ٨٣ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧١/٥ ؛ ابن القاسم، مخطوط تاريخ الأندلس ص٢٤ ؛ أرسلان الحلل السندسية، ٣٢١/١ ؛ لورد، أسبانيا شعبها وأرضها، ص١٩٦ ؛ العلياوي، البشكنس، ص١١.

٥) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الشمال منها تقع مدينة وشقة **Huesca** التي تتصل بأعمالها[١].

ومن أعمال مدينة تطيلة طرسونة **Tarazona** إذ أن المسافة بينهما اثنا عشر ميلاً ، ومدينة ناجرة **Najera** وفارة **Faro**[٢] ، كذلك مدينة أرنيط**Ornedo** التي تقع في شرق الأندلس والمسافة بينهما عشرة فراسخ[٣] ، في حين ذكر الحميري أن المسافة بينهما ثلاثون ميلاً[٤]، ومن أعمال تطيلة أيضا مدينة بقيرة **Viguera** التي تقع في شرق الأندلس والمسافة بينهما أحد عشر فرسخاً[٥] ، ومن توابعها أيضا مدينة قلهرة **Calahorra** التي قال ياقوت عنها: ((مدينة من أعمال تطيلة في شرق الأندلس...))[٦].

وقد عدّ الإدريسي مدينة تطيلة من ضمن إقليم أرنيط وهو أحد الأقاليم التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ، وهو يضم مدن عدة منها قلعة أيوب **Calatayud** ودروقة **Daroca** وسرقسطة ووشقة فضلاً عن تطيلة[٧].

ووصف البكري التقسيم الإداري الروماني الأخير لدقلديانوس–

---

١) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٥ ؛ الحميري، صفة، ٦٤.

٢) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨.

٣) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٧ ؛ والفرسخ يساوي ٦ كم، ينظر : هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٤.

٤) صفة، ص١٤.

٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٨١.

٦) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٣٣.

٧) نزهة المشتاق، ٥٣٨/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على الرغم من أنه ينسبه خطأ إلى أوغسطين Augustus فيسميه بقسمة قسطنطين–إلا أنه وضع مدينة تطيلة في الجزء الثالث وأضاف إليها مدناً لم تذكر في التقسيم السابق ، وهذا التقسيم يشمل مدينة تطيلة وسرقسطة ووشقة ولاردة Lerida وطرطوشة Tortosa وأعمال بلد ابن شانجو كلها وبلد بليارش Pallars وبرشلونة Barcelona وجرندة Gerona ومدينة أبنوريش Apenones ومدينة بنبلونة Pamplona وأوقة وقلهرة وطرسونة Torazona وامابة Amaya[١].

إن موقع المدينة النهري قد جعل بعض الأنهار تمر بأراضيها ، إذ ضمت منطقة الثغر الأعلى حوض نهر الابرو Ebro وروافده ، ومن أهم هذه الروافد رافد الحامة Alhama [٢] الذي يصب في النهر شمالي مدينة تطيلة ، وتشتهر هذه المنطقة بشلالاتها البديعة وعيونها الحارة[٣] ، ثم يليه رافد كالش(كالس)[٤] الذي يسقي أراضي مدينة تطيلة ويصب في النهر الأم عند هذه المدينة[٥] ،وقد وصفه الحميري بقوله: ((ويطيف بجنان تطيلة نهر كالش ، وهي من أكرم تلك الثغور

---

١) جغرافية، ص٦١- ٦٢..

٢) الحامة أو الحمة هي العين الحارة الجارية التي يستشفى بها المرضى، ياقوت، معجم البلدان، ٣٠٦/٢.

٣) أرسلان، الحلل السندسية، ١٦٨/٢.

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٢/٢.

٥) الحميري، صفة، ص٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تربة ، يجود زرعها ويدر ضرعها ، وتطيب ثمرتها ، وتكثر بركتها...))[١] ، بركتها...))[١] ، ثم يأتي بعده رافد شلون **Jalon** الذي تقع عليه مدينة مدينة قلعة أيوب[٢] ، ويصل بهذا الرافد رافد شلوقة **San Lucar**[٣] الذي تقع عليه مدينة دروقة[٤] ويصب هذا الرافد في النهر غربي مدينة سرقسطة ، ويليه رافد وربة **Huervy** الذي يسمى أيضا بلطش والذي يصب أيضا في نهر الابرو **Ebro** عند مدينة سرقسطة[٥].

وأشار الإدريسي إلى مصادر مياه نهر الابرو وتجمعها ومرورها بمدينة تطيلة بقوله: ((...يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جهة قلعة أيوب وبعضه من نواحي قلهرة فتجتمع مواد هذه الأنهار كلها فوق مدينة تطيلة ثم تنصب إلى مدينة سرقسطة إلى أن تنتهي إلى حصن جبره إلى موقع نهر الزيتون ثم إلى طرطوشة فيجتاز بغربيها إلى البحر...))[٦].

---

١) الحميري، صفة، ص٦٤.

٢) مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة سالم إذ أن المسافة بينهما خمسون ميلا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى أيوب بن حبيب اللخمي ابن أخت موسى بن نصير الذي تولى الأندلس بعد عبد العزيز بن موسى، الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢- ٥٥٤ ؛ الحميري، صفة، ص١٦٣.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٤.

٤) مدينة أندلسية بينها وبين مدينة قلعة أيوب ثمانية عشر ميلا وهي تقع على سفح جبل، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢ ؛ الحميري، صفة، ص٧٦- ٧٧.

٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٣٤.

٦) نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢ ؛ ينظر أيضا : الحميري، صفة، ص٩٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لذلك تعد منطقة الثغر الأعلى من أحسن مناطق الأندلس الزراعية لتوفر مياه الري المتمثلة بنهر الابرو وروافده وبالعيون ، ولوجود التربة الصالحة وخاصة الأراضي المحيطة بمدينتي تطيلة ووشقة[1] ، كما ساعد عامل المناخ الملائم لنمو مختلف المحاصيل فضلاً عن توفر الأيدي العاملة [2] ، وبخاصة القبائل العربية التي سكنت هذه المنطقة وأغلبها من القبائل اليمانية المشهورة بخبرتها في الزراعة والري[3].

وقد وصف ابن غالب تربة مدينة تطيلة وقابليتها الزراعية بقوله: ((...وحوت طيب الزرع ودر الضرع وكثرة الثمار...))[4] ، كما تكثر في مدينة تطيلة بساتين الفاكهة ، إذ ذكر أنها((كثيرة الخيرات والفاكهة))[5] ، كما اشتهرت بكثرة السمور[6].

وعلى الرغم من ذلك فإن مدينة تطيلة لا تخلو من بعض الأزمات الاقتصادية التي أصابتها ، فقد ذكر ابن حيان في أحداث سنة٣٠٣هـ/٩١٥م أن مدينة تطيلة تعرضت إلى((البرد الغليظ الذي

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥٥ ؛ الحميري، صفة، ص٦٤ ؛ أبو الفدا تقويم البلدان، ص١٨١.

٢) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٧١/١.

٣) السامرائي، الثغر الأعلى، ص٥٨.

٤) فرحة الأنفس، ص١٨.

٥) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٣٣.

٦) أرسلان، الحلل السندسية، ٢٧٤/١ ؛ والسمور دابة يتخذ من جلدها الفراء، الزبيدي، تاج العروس، ٨١/١٢ (مادة سمر).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حزر في بعض حجارتها رطل وأكثر من ذلك ، فلم تبق قرمدة على بيت ولا حضرة في بستان ،... ثم اشتدّ القحط بغلاء السعر وعظم البلاء وكثر الجلاء وعمّ البلاء ، وانتهى قفيز القمح اثنيّ عشر دينار درهم فضة ، ومات الناس جوعاً ، وفشا فيهم التباغض والتقاطع بين ذوي الأرحام فضلا عن الأباعد ، وعمّ الجوع الأندلس كلها ، ودام نحو سنة فأهلك خلقاً من أهله))[1].

كما اشتهت مدينة تطيلة والمنطقة المحيطة بها بالثروة الحيوانية ، وقد ساعدت المراعي الخصبة عند مدينة لاردة والقرى التابعة لها على الاهتمام بهذه الحرفة[2].

أما بالنسبة للطرق الداخلية البرية المهمة التي تربط مدينة تطيلة ببقية المدن الأندلسية الأخرى ، فقد أوضح ذلك الاصطخري بقوله: ((وأما مسافات مدن الأندلس فإن قصبتها قرطبة... ومن قرطبة إلى سرقسطة١٠ أيام والى تطيلة١٣ يوما ومن تطيلة إلى لاردة ٤مراحل))[3] ، كما حدد ياقوت الحموي مسافات طرق الأندلس المختلفة منها: ((بين تطيلة وسرقسطة سبعة عشر فرسخاً...))[4] ، وبين طرسونة وتطيلة أربعة فراسخ[5] ، وكذلك بقيرة مدينة في شرقي

---

١) المقتبس، (للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص١٢٤.

٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٣٤ ؛ الحميري، صفة، ٦٤، ١٦٨.

٣) المسالك والممالك، ص٤٦.

٤) الأندلس من معجم البلدان، ص١٠٤.

٥) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلس معدودة في أعمال تطيلة بينهما أحد عشر فرسخاً[1] ، وهذا يدلل بأن مدينة تطيلة لها أهمية كبيرة لأنها تتوسط مدن الثغر الأعلى الأندلسي ومرتبطة بالمدن الأخرى وبالعاصمة قرطبة.

ومن الغرائب التي ذكرتها المصادر في مدينة تطيلة أنه بعد الأربعمائة من الهجرة أو في بدايتها كانت هناك امرأة لها لحية كاملة سابغة كلحى الرجال ، وكانت تتصرف في الإسفار وسائر ما يتصرف به الناس ، حتى أمر قاضي المدينة نسوة من القوابل بالنظر إليها فأحجمن عن ذلك لما عاين من منظرها فأُكرِهْنّ على ذلك ، فإذا بها امرأة ، فأمر القاضي بحرق لحيتها وأن تتزيّا بزي النساء ، ولا تسافر إلا مع ذي محرم[2].

ولا توجد آثار أندلسية واضحة المعالم في مدينة تطيلة ، ولعل ذلك راجع إلى موقعها المحاذي للأعداء ، وباتخاذها قاعدة عسكرية للمسلمين لشن هجماتهم على النصارى ، فضلاً عن أنها كانت منطقة صراع عسكري متكرر بين القوات الإسلامية والنصرانية ، إلا أن بعض الأبحاث الأثرية الأخيرة أثبتت أن كتدرائية تطيلة قد أقيمت فوق أنقاض المسجد الجامع وهو الذي بناه موسى بن موسى بن قسي في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وكان يشابه في الضخامة مسجد سرقسطة الذي كان يسمى المسجد الأبيض ،

---

١) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٨١.

٢) البكري، جغرافية، ص٩٠ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٨ ؛ الحميري، صفة، ص٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتبين أيضاً من الأبحاث الأثرية في مكان(المقدس) بهذه الكنيسة ، أنه لما جددت الكنيسة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي استخدمت في تجميلها عقود من سقف جامع تطيلة ، كما توجد بها نافذة ذات قوسين توأمين ، وبها من أعمدة المسجد عمود كامل وعدة رؤوس أعمدة كبيرة وصغيرة[1].

---

١) عنان الآثار الأندلسية الباقية، ص١١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانيا: التاريخ السياسي لمدينة تطيلة

بدأت عملية الفتح الإسلامي لمدينة تطيلة من قبل القائد موسى بن نصير ، فبعد أن التقى بطارق بن زياد في مدينة طليطلة **Toledo** ، واصل كلاهما جهودهما الرامية لإكمال الفتح الإسلامي لشبه الجزية الأيبيرية **Iberia** ، وانقسمت قواتهم إلى قسمين ، إذ توجه طارق بن زياد إلى الغرب والشمال الغربي ، في حين سار موسى بن نصير إلى مدينة سرقسطة متوجها نحو الشرق والشمال الشرقي[١] ، ولا نستبعد أن تكون مدينة تطيلة من ضمن المناطق التي فتحت من قبل موسى ابن نصير ، وذلك لوقوعها في خط سير قواته ، أضف إلى ذلك أنها تعد من توابع سرقسطة المهمة لما تتمتع به من موقع استراتيجي ، وقد أشار مؤلف مجهول لعملية فتحها بقوله: ((..ثم سار حتى افتتح سرقسطة ومداينها...))[٢] ، في حين علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((ولما التقى موسى بطارق ، وجرى له معه ما جرى ، تقدم من طليطلة

---

١) **مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٤؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٠١.**
٢) **أخبار مجموعة، ص١٩.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى سرقسطة ، فافتتحها وافتتح ما حولها من الحصون والمعاقل...))[1] وكان ذلك سنة ٩٤هـ/٧١٢م[2].

ويبدو أن بعض القبائل العربية قد استوطنت في الشمال الشرقي من الأندلس بعد أن فتحت هذه المناطق ، وبخاصة في منطقتي سرقسطة وتطيلة ، إذ أن بعض أفراد قبيلة هذيل رافقت موسى بن نصير في فتوحاته في الشمال الشرقي واستقروا في سرقسطة ، ومن ثم في مناطق أخرى مثل مدينة تطيلة[3] ، وكان من ضمن هؤلاء حسان بن يسار الهذلي قاضي سرقسطة في أواخر عهد الولاة[4] ، كما عاشت بعض أفراد عشيرة الصدف وهم فرع من حضرموت في مدينة تطيلة[5] بعد أن عبرت إلى الأندلس بقيادة زعيمها حيوة بن ملامس الحضرمي[6] لمناصرة عبد الرحمن الداخل مع جند حمص[7].

أما القبائل البربرية فيبدو أنها كانت أقل وضوحاً من حيث

---

١) البيان المغرب، ٢/١٦.

٢) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨.

٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٢٣٢.

٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٠١ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩٣ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٠.

٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٧٩ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٥٦.

٦) تمرد هذا القائد على الأمير عبد الرحمن الداخل في سنة ١٥٦هـ/٧٧٢م فسيطر على إشبيلية وإستجة ومعظم الجهات الغربية من الأندلس، ينظر: مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٠٧- ١٠٨ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠١ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩٥.

٧) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٥٠ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٠ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الانتشار في مدينة تطيلة ، إذ ذكر ابن حزم أن بعض إفراد بني الفرج الذين رافقوا طارق بن زياد إلى الأندلس عاشوا إلى الشمال من مدينة سالم Medinaceli في طرسونة بالقرب من مدينة تطيلة[١] ، ولا نستبعد أن قسماً منهم ذهب إلى تطيلة وسكن فيها خاصة وأن العرب المسلمين بحاجة إلى جهودهم لمواجهة النصارى في هذه المنطقة الحدودية ، إذ كان البربر يتميزون بالقوة والشجاعة.

برز الدور العسكري لمدينة تطيلة بعد سقوط مدينة برشلونة Barcelona بيد النصارى سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[٢] ، الأمر الذي أدى بالأمراء الأمويين في الأندلس إلى الاهتمام بهذه القاعدة المهمة لمواجهة النصارى لتكون سداً منيعاً لصد هجماتهم ، إذ قام الأمير الحكم بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) ببناء مدينة تطيلة سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م ، وقد أسكنها أعداداً كبيرة من المسلمين للدفاع عنها ومنع تقدم النصارى إلى المناطق الأندلسية الأخرى[٣] ، وقد أكد ذلك ابن حيان بقوله((...ضمّ إليها من كان حواليها من المسلمين بغرر عليهم ، وكثروا وأضحوا شجىً في حلوق العدو...))[٤].

خضعت مدينة تطيلة لحكم أسرة بني قسي Banu Casi[٥] في

---

١) جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١.

٢) لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠-٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص١١٧ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٤٩/٦ ؛ النويري، نهاية الإرب، ٨٢/٢٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٥/٤.

٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٨١.

٤) المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص١١٨.

٥) يرجع نسبهم إلى زعيمهم فرتون بن قسي حاكم إقليم شيّه، إذ اعتنق الدين=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أغلب فتراتها إلا أنه يُلاحظ في بعض الأحيان تمرد هذه الأسرة ضد حكومة قرطبة وبخاصة منذ عهد الأمير الحكم بن هشام ، بعد أن أسند قيادة الثغر الأعلى إلى عمروس بن يوسف[1] ، هذا الأمر لم يرق لبني قسي الذين أرادوا فرض سيطرتهم على تلك المنطقة ، لذلك تحالفوا مع النصارى ضد المسلمين ، بعدها أخذت القوات المتحالفة بالتقدم نحو مدينة سرقسطة مركز عمروس بن يوسف ، وتمكن المسلمون من التصدي لهم ، مما دفعهم إلى تغيير وجهتهم إلى مدينة تطيلة ، وقد دارت فيها مواجهات عنيفة بين الطرفين ، كانت نتيجتها أن فرضوا سيطرتهم عليها وأسر أحد أبناء عمروس بن يوسف[2] ، وقد ردّ عمروس على ذلك بأن جهز حملة عسكرية سنة١٨٧هـ/٨٠٢م بقيادة أحد أقاربه ، تمكنت من هزيمة النصارى والمتحالفين معهم وعلى رأسهم فرتون بن قسي والوصول إلى صخرة

=الإسلامي سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م وقصد بلاد الشام لمقابلة الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ/٧٠٥- ٧١٤م)، ولم تشر المصادر إلى دورهم ورجالاتهم الذين حكموا الأندلس طيلة المدة من أيام فرتون بن قسي حتى نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، إذ ذكرت أن مطرف بن موسى بن فرتون بن قسي قتله أهل بنبلونة سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م، ينظر : ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٠٥ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠٢ ؛ ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦م)، ص١١٥ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص١٠٤.

١) هو زعيم أسرة بني عمروس في الثغر الأعلى الأندلسي، تولى حكم مدينة طلبيرة ثم سرقسطة إلى وفاته سنة ١٩٨هـ/٨١٣م، وقيل توفي في تطيلة سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٧- ٢٨.

٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص١١٩ ؛النويري، نهاية الإرب، ٢٢/٨٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قيس[1] ، وإطلاق سراح يوسف بن عمروس بن يوسف من الأسر بعد أن تمكنوا من قتل حوالي ألفين منهم[2].

ويبدو أن حكام مدينة تطيلة متمثلين بأسرة بني قسي كان لهم دورٌ كبير في مواجهة النصارى خاصة بعد رجوعهم إلى طاعة حكومة قرطبة ، إذ برز دورهم خلال مهاجمة الفرنجة أطراف مدينة بنبلونة عاصمة البشكنس **Bascons** سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م[3] ، وكانت هذه الحملة الإفرنجية بقيادة الكونت أزنار **Aznar** حاكم منطقة غشقونية الفرنسية ، ورافقه أيضاً الكونت الفرنجي إيلو **Ebles** ، ولضعف إمكانيات البشكنس العسكرية اضطروا إلى الاستعانة بحاكم مدينة تطيلة ، فسارع موسى بن فرتون بن قسي قائد الثغر الأعلى آنذاك لنجدتهم وبموافقة حكومة قرطبة[4] ، وقد تمكنت قوات مدينة تطيلة والبشكنس من هزيمة قوات الفرنجة **Franks** عند ممر الشزري **Cisereus**[5] ، وقد أسر في

---

١) تقع صخرة قيس إلى الشمال الغربي من مدينة بنبلونة على ضفاف نهر أرغة، ينظر : ابن حيان، المقتبس، ((للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٧٧- ٤٧٨ هامش(٣٣).

٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص ١١٩ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢٨- ٢٩ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٨٧/٦- ١٨٨.

٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٤٧.

٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢٥٣.

٥) ممر الشزري ويطلق عليه أيضا ممر رونسفال Roncevalles، ويمر فيه الطريق من مدينة بنبلونة إلى بلاد الفرنجة، ويعد نقطة اتصال بين الأندلس وبلاد الفنجة، وهو من الأبواب الرومانية القديمة في جبال البرت ويبلغ طوله في عرض الجبل٣٥ميلاً، ولا يمكن لأحد أن يدخله إلا بصعوبة لضيق مسلكه، ينظر: البكري، جغرافية، ص٦٦ هامش(٥)؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٦٠/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه المعركة قائدا الحملة[1].

وفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م ، قامت حملة أخرى بقيادة موسى بن موسى حاكم مدينة تطيلة بمهاجمة الفرنجة ووصلت إلى منطقة شرطانية **Cerdana** ، وتمكنت من هزيمتهم[2].

إن السياسة التي اتبعها حكام مدينة تطيلة بعدم الاستمرار بطاعتهم لحكومة قرطبة ، قد أضعفت من نفوذهم السياسي وعرضت المدينة لهجمات متتالية وألحقت بها أضراراً كبيرة ، ففي سنة٢٢٧هـ/٨٤١م شكل موسى بن موسى بن فرتون بن قسي مع حاكم بلاد البشكنس غرسيه بن ونقه حلفاً مناهضاً لحكومة قرطبة ، وكان سبب ذلك هو رفض موسى بن موسى الاشتراك في حملة عسكرية أرسلتها حكومة قرطبة إلى بلاد البشكنس ، وأرسل ابنه فرتون نيابة عنه ، الأمر الذي لم يرق لحكومة قرطبة ، فأرسلت قائدها الحارث بن بزيغ إلى مدينة سرقسطة ومحاربة موسى بن موسى ، إلا أن الأخير تمكن من أسره في مكان يدعى بلمه على نهر أبره[3].

وبعد أن قام التحالف بين حاكميّ تطيلة والبشكنس ، تمكنا من فرض سيطرتهم على منطقة الثغر الأعلى وهزموا المقاتلين الموالين لقوات أمير قرطبة آنذاك عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) ، وعلى اثر ذلك قام الأمير عبد الرحمن الثاني بحملة

---

١) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٤٨.

٢) ابن خلدون، العبر، ١٢٩/٤.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عسكرية ضدهم وتمكن من تحقيق الانتصار عليهم وأسر أعداداً كبيرة منهم[1].

ثم قام الأمير عبد الرحمن الثاني سنة٢٢٨هـ/٨٤٢م بحملة أخرى للقضاء عليهم نهائياً ، وخرج معه ابناه المطرف ومحمد وترك ولده الثالث المنذر نائباً عنه في قرطبة[2].

وفي ضوء هذه الاستعدادات وعند سماع النصارى ذلك أخذوا بالاستعداد أيضاً وتمكنوا من تشكيل تحالف معادي للمسلمين ضمّ موسى بن موسى حاكم تطيلة والبشكنس والسرطانيين والجليقيين **Galicia**(ليون **Leon**) وأهل ألبة والقلاع(قشتالة **Castella**)[3].

أخذت القوات الإسلامية بالتقدم نحو مدينة تطيلة أولاً وهاجمتها وتمكنت من الاستيلاء عليها ، وبعدها توجهت إلى بنبلونة عاصمة البشكنس ، وهناك اجتمعت جموع المقاتلين بقيادة غرسيه بن ونقه وموسى بن موسى[4] ،وحدثت المواجهة وانتهت بنصر كبير للمسلمين وتكبيد المتحالفين خسائر كبيرة[5] ، منها ما يقرب من مائة وخمسة عشر فارساً ، وقتل من قادتهم فرتون بن ونقه

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠.

٢) المقتبس، ((للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٤٨ ؛ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٢.

٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٤٨.

٤) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٤٨.

٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٦/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شقيق غرسيه ، كما جُرح موسى بن موسى وغرسيه وولده غلند[1].

ويبدو أن هذه المعركة لم تضع حداً لأسرة بني قسي بزعامة موسى بن موسى ، إذ عاد إلى التمرد مرة أخرى سنة٢٢٩هـ/ ٨٤٣م ، وكانت رغبته السيطرة على مدينة تطيلة قاعدة أسرته ، لذلك أرسل إليه الأمير عبد الرحمن الثاني جيشاً بقيادة ابنه محمد ومعه قائده محمد بن يحيى[2] ، فلما وصل الجيش إلى مدينة تطيلة طلب موسى بن موسى الصلح ، فقُبِلَ منه ذلك ، ودخل معه في الصلح غلند بن غرسيه بن ونقه [3] ، وعلى أثر ذلك أعطيت ولاية تطيلة إلى موسى بن موسى ، فبدأ بتنظيم أمورها وأخرج جميع العناصر التي تشكل قلقاً على مركزه[4] ، وبعد أن قوى تمرد مرة أخرى على حكومة قرطبة ، وعلى ضوء ذلك سارت القوات الإسلامية إليه سنة٢٣٠هـ/٨٤٤م بقيادة هشام بن الأمير عبد الرحمن الثاني ومعه الوزير عيسى بن شهيد[5] ، فلما وصلت الجيوش

---

١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٤٩.

٢) وهو محمد بن يحيى بن خالد ذكره ابن حيان من قواد الأمير عبد الرحمن الأوسط، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م)، ص١٤٣.

٣) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٤٩.

٤) ابن الأثير، الكامل، ٩/٧ ؛ النويري، نهاية الإرب، ٩٨/٢٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٢٩/٤.

٥) عيسى بن شهيد من موالي معاوية بن مروان بن الحكم تولى الحجابة في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني وابنه الأمير محمد وبقي فيها حتى وفاته سنة ٢٤٣هـ/ ٧٥٨م، ينظر : ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٨٤، ٩٤- ٩٥ ؛ابن حيان، المقتبس، للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م)، ص١٦٦- ١٦٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلامية إليه طلب العفو الأمان فأجيب طلبه[١].

وفي سنة٢٣٢هـ/٨٤٦ م أعطيت ولاية مدينة تطيلة إلى عبد الله بن كُليب[٢] من قبل حكومة قرطبة ، الأمر الذي أدى إلى تمرد موسى بن موسى وقام بمحاصرة عبد الله بن كُليب في مدينة تطيلة[٣] ، واستنجد ابن كليب بحكومة قرطبة التي أرسلت جيشاً بقيادة محمد بن عبد الرحمن الثاني لإنقاذ الموقف والقضاء على التمرد ، وبعد وصول الجيش الإسلامي إلى هناك رأى موسى بن موسى أنه من الحكمة أن يطلب الصلح ، فأعطي له[٤] ، ولكن بقيت مدينة تطيلة خارجة عن نفوذه ، وهو ما دفعه إلى التمرد مرة أخرى وهاجمت قواته مدينة تطيلة سنة٢٣٥هـ/٨٤٩م بعد أن تحالف مع أخيه لأمّه ونقه بن ونقه أمير البشكنس ، كما تعرضت المدن الأخرى في منطقة الثغر إلى هجماتهم في السنة نفسها مثل طرسونة وبرجة **Berja**[٥] ، لذلك أُعدت حملة عسكرية لمواجهتهم ،

---

١) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص٤٦٢ ؛العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠.

٢) وهو أخو عامر بن كليب بن ثعلبة بن عبيد الجذامي قائد الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد اشتهر عبد الله بن كليب بمحاربة أسرة بني قسي، ينظر : ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٦١/١.

٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص١.

٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص١ ؛ابن الأثير، الكامل، ٣٤/٧- ٣٥ ؛ النويري، نهاية الإرب، ١٠٢/٢٢.

٥) وهي مدينة أندلسية تقع قرب مدينة سرقسطة، العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٣، ٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخرجت قوات من قرطبة بقيادة عباس بن الوليد الطبلي[١] ، وكانت من نتائجها أن عاد موسى بن موسى إلى الطاعة وأعطى ابنه إسماعيل رهينة لدى حكومة قرطبة كما دخل معه في الأمان أخوه لأمّه ونقه بن ونقه أمير البشكنش[٢].

ويبدو أن موسى بن موسى قد تولى حكم مدينة تطيلة بعد ذلك ، إذ أشار ابن خلدون إلى أن الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) أرسل جيشاً سنة ٢٣٩هـ/ ٨٥٣م بقيادة موسى بن موسى عامل تطيلة إلى منطقة ألبه والقلاع ، وتمكنت قواته من هزيمة النصارى[٣] ، كذلك ذكر ابن عذاري أنه في سنة ٢٤٢هـ/ ٨٥٦م أرسل أمير قرطبة جيشا بقيادة موسى بن موسى إلى مدينة برشلونة وتمكن من السيطرة عليها[٤] ، وبقي موسى بن موسى يحكم مدينة تطيلة حتى وفاته سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م[٥].

وخلال هذه المدة(أي منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)سادت حالة من الاضطراب السياسي والعسكري في

---

١) هو أحد قادة الأمير عبد الرحمن الثاني كان يحظى بمكانة كبيرة عنده ومن صنائع الحاجب نصر الخصي، ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص١٧، ٣٩.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص٤- ٥.

٣) العبر، ٤/١٣٠.

٤) البيان المغرب، ٢/٩٥.

٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠- ٣١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منطقة الثغر الأعلى ، ولم يكن ذلك مستغرباً بوجود عدد من الأسر الطامحة سياسياً هناك والتي أخذت تتمرد على حكومة قرطبة ، ومنها أسرة بني عمروس ، وقد تمكنت هذه الأسرة من السيطرة على مدينة وشقة سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م ، مما دفع حكومة قرطبة إلى إرسال القوات لاستعادتها من عمروس زعيم الأسرة ، فهرب الأخير من وشقة إلى تطيلة واستنجد بالنصارى[١].

وفي السنة التالية(٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني حملة أخرى لملاحقة عمروس الثاني وكانت بقيادة عبد الغافر بن عبد العزيز أخو الوزير هاشم بن عبد العزيز[٢] ، وقد انضمّ إلى هذه الحملة قائد الثغر في مدينة سرقسطة عبد الوهاب (وهيب) بن أحمد بن مغيث[٣] ، وسارا إلى مدينة تطيلة بعد أن لجأ إليها عمروس ، وتمكنت هذه القوات من القبض على ولده زكريا وجماعة من أهله[٤].

---

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص٣٢٥ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٦٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٠٠.

٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٦٢ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/١٣٧.

٣) هو عبد الوهاب وقيل وهيب بن أحمد بن مغيث الرومي كان جدهم مغيث دخل مع طارق بن زياد، وتولى أفراد أسرته فيما بعد مناصب الحجابة والقيادة والوزارة لبني أمية في الأندلس، واشتهر منهم عبد الوهاب وأولاده عمالا لحكومة قرطبة في منطقة الثغر الأعلى، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٠- ٣١.

٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٣٢٦ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٦٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي الوقت نفسه استغلت أسرة بني قسي هذه الأوضاع في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي وأعلن لب بن موسى بن موسى تمرده على حكومة قرطبة في حصن أرنيط سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م[١] ، وكانت مدينة تطيلة قاعدة بني قسي أول هدف له ، لذلك وضع لب بن موسى مع أخيه فرتون وأخيه مطرف بالتعاون مع برناط[٢] خطة للسيطرة عليها وانتزاعها من حاكمها عبد الوهاب بن أحمد بن مغيث ، وقد نجحوا في هذه المهمة ، بسبب تعاون برناط الذي خدع أهلها بحيلة ذكية فتمكنوا من السيطرة عليها واعتقال حاكمها من قبل حكومة قرطبة وسجنه ، وقد أعطيت ولايتها لفرتون بن موسى[٣].

ومن أجل القضاء على المناوئين لها في منطقة الثغر الأعلى وكسر تحالفهم مع النصارى فقد استأنفت حكومة قرطبة حملاتها العسكرية ، ففي سنة٢٦٠هـ/٨٧٣م تمكنت من استعادت سيطرتها على مدينة سرقسطة ومنها انطلقت باتجاه مدينة تطيلة ووشقة ثم إلى بنبلونة[٤] ، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها تلك القوات لفتح تلك المدن واحتواء التمرد إلا أنها لم تضع حداً لتلك

---

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص٣٢٦.

٢) هو من أهل مدينة تطيلة أسره فرتون بن موسى ثم أطلقه بشرط أن يساعدهم مع أفراد أسرته في الاستيلاء على تطيلة، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٤- ٣٥.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣١، ٣٤- ٣٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠١/٢.

٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص ٣٤١ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوضاع المضطربة[1].

لذلك عادت القوات الأندلسية بقيادة المنذر بن الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني في سنة٢٦٤هـ/٨٧٧م إلى منطقة الثغر الأعلى لتضرب معاقل الخارجين عليها هناك فهاجمت مدينتي سرقسطة وتطيلة[2].

وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وفي سنة ٢٦٤هـ حارب المنذر سرقسطة ، وأفسد ما ألفى من زروعها ، ثم تقدم إلى تطيلة والمواضع التي صار فيها بنو موسى ، فانتسفها ، وأجال العسكر عليها))[3].

وفي سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م تنازل حاكم الثغر الأعلى محمد بن لب بن موسى عن مدينة سرقسطة وبالمقابل أعطيت له ولاية أرنيط وطرسونة وجريش بالإضافة إلى مدينة تطيلة ، واستقامت طاعته للسلطة المركزية ومن ثم أخذ بممارسة دوره العسكري ضدّ النصارى ، إذ هاجم مدينة بنبلونة واستطاع فتح الكثير من حصونها[4].

ويبدو أن طاعة محمد بن لب لحكومة قرطبة لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما أظهر تمرده ، وذلك بمحاصرة مدينة تطيلة وتمكن من

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٠٢/٢.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص٣٨٥.

٣) البيان المغرب، ١٠٣/٢.

٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١٧٥- ١٧٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسر محمد بن طملس قائد جيش الإمارة الأندلسية في حصن شيّه القريب من مدينة تطيلة وقتله عند باب تطيلة وذلك سنة٢٧٦هـ/ ٨٨٩م بعد أن أحكم السيطرة عليها[١].

لم يرق لمحمد بن لب دخول بني تجيب[٢] الموالين لحكومة قرطبة إلى سرقسطة فقام بمهاجمتهم وشدد الحصار عليهم منذ سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ومنع وصول المؤن إلى سرقسطة ، وكانت الإمارة في قرطبة آنذاك منشغلة بحركة ابن حفصون[٣] ولم تستطع إنجاد حلفائها ، ألا أن ذلك الوضع سرعان ما تغير لصالح بني تجيب ، إذ قتل محمد بن لب أثناء تفقده لقواته المحاصرين لسرقسطة[٤].

وبعد مقتل محمد بن لب سنة٢٨٥هـ/٢٩٨م تولى حكم مدينتي تطيلة وطرسونة ولده لب بن محمد بن لب بن موسى بن موسى بن قسي[٥] ،قام النصارى بحشد قواتهم لمواجهة المسلمين بعدما

---

١) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص٣٥ ؛العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦.

٢) هم بنو أشرس بن كندة وأمهم تجيب بنت ثوبان بن سليم من مذحج فنسبوا إليها، ودخلوا إلى الأندلس مع موسى بن نصير وسكن قسم منهم سرقسطة وقلعة أيوب، ينظر : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٣٠.

٣) نسبة إلى عمر بن حفصون أحد المولدين الثائرين في قلعة ببشتر منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمرت ثورته حتى عهد عبد الرحمن الناصر، ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) ص٧٢- ١١٢ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ٢/ ١٣١ – ١٣٣.

٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦.، ٤٢.

٥) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٦- ٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سمعوا بمقتل محمد بن لب ، وقد تصدى لهم ولده لب ، وكانوا بقيادة الفونسو الثالث AlfonsoIII ملك ليون(٢٥٢-٢٩٧هـ/٨٦٦-٩٠٩م) وضمت قواتهم مقاتلين من جليقية وألبه والقلاع فضلاً عن البشكنس ، وعند مدينة طرسونة القريبة من تطيلة دارت المواجهة العسكرية بين الجانبين وكشفت عن نصر كبير للمسلمين ، بعد أن كبدوا أعداءهم ما يقرب من ستة آلاف قتيل[١].

وبعد مقتل لب بن محمد بن لب بن موسى سنة ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م أثناء هجوم له على بلاد البشكنس[٢] ، تولى أخوه عبد الله حكم مدينة تطيلة الذي واصل جهاده ضدّ النصارى[٣].

وفي بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، تعرضت مدينة تطيلة لحملة عسكرية من قبل البشكنس بقيادة ملكهم شانجة غرسيه الأول(٢٩٣-٣١٤هـ/ ٩٠٥-٩٢٦م) ، إذ هاجمت قواته مدينة تطيلة سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م وتمكنت من قتل أعداداً كثيرة من سكانها قدروا بألف فارس[٤] ، وبسبب انشغال حكومة قرطبة بمواجهة المتمردين في أنحاء الأندلس الأخرى ، جعل عبء التصدي لهذا الاعتداء على أسرة بني قسي حكام الثغر الأعلى ، لذا تولى عبد الله بن محمد بن لب هذه

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٧.

٢) لمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٤٣/٢.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٨.

٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المهمة ولاحق جموع المهاجمين لمدينة تطيلة إلى جبل البردي[1] ، ولكنه لم يحسب وجود كمائن أعدت للإيقاع به ، وهو ما تمّ بالفعل ، إذ فوجئوا بجموع من أعدائهم تطوقهم فأسر عبد الله وحُمِل إلى بلاد البشكنس ، وخلفه في تطيلة شقيقه مطرف الذي سرعان ما دبّ الخلاف بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد الله وانتهى الأمر بمقتل مطرف ومجيء محمد حاكماً على المدينة[2].

بعد هذه الأحداث أطلق سراح عبد الله بن محمد من الأسر في السنة نفسها(أي٣٠٣هـ/٩١٥م) مقابل التنازل عن عدة حصون للبشكنس ولكنه توفي بعد مدة قصيرة[3].

ثم تكررت هجمات النصارى على مدينة تطيلة والمدن القريبة منها ، ففي سنة٣٠٥هـ/٩١٧م هاجمت قوات ملك ليون أردونيو الثانيOrdonoII(٣٠١-٣١٢هـ/٩١٣-٩٢٤م)وقوات ملك البشكنس شانجة غرسيه الأولSacho Garcia I مدينة ناجرةNajera وخربت معظم مزارعها ثم قصدوا مدينة تطيلة ، وتعرضوا إلى مدينة طرسونة والأماكن المجاورة لها[4].

---

١) يبعد هذا الجبل مسافة ثمانية أميال عن مدينة بنبلونة، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٨.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٢٤- ١٢٥.

٣) لمزيد من التفاصيل ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٦٩/٢.

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٢/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢ ص٣٨٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد علق ابن حيان على هذه الأحداث بقوله: ((...حشد الطاغية أردون بن أذفونش –أردونيو الثاني– ملك جليقية وشانجة بن غرسيه البشكنسي ، قومس بنبلونة ، حشد النصرانية بجليقية وبنبلونة ، فخرجا معاً في احتفال من جموعهم واستيعاب من كفرهم إلى مدينة ناجرة بالثغر الأقصى ، فنزلا عليها في عقب ذي الحجة منها ،... وعاثت خيولهم في ذلك الثغر كيف شاءت ، فأفسدت الزرع وانتسفت المعايش ، ثم تنقلت إلى مدينة تطيلة قاصية الثغر ، فانتهت سراياهم إلى نهر كلش وحوائز مشقيرة ووادي طرسونة...))[1].

وعلى اثر ذلك بدأت الاستعدادات العسكرية لحكومة قرطبة لمواجهة النصارى ، إذ قام الأمير عبد الرحمن الثالث(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) بتجهيز حملة عسكرية عرفت باسم غزوة مطونيةMitonia أسندت قيادتها إلى حاجبه بدر بن أحمد[2] في سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م وقد كتب الأمير عبد الرحمن إلى جميع أهالي الثغور للمشاركة في هذه الحملة ، وبعد إكمال الاستعدادات تمكنت القوات الإسلامية من هزيمة النصارى والاستيلاء على عدة حصون[3].

ويبدو أن الحملة لم تضع حداً لاعتداءات النصارى على المدن

---

١) المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٤٣.

٢) وهو أبو الغصن بدر بن أحمد حاجب الخليفة الأموي الناصر واشتهر في إخضاع مدينة استجة سنة ٣٠٣هـ، ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص٥٤- ٥٦.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٤٥- ١٤٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٢/٢- ١٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلسية وبخاصة مدينة تطيلة لموقعها المهم الفاصل بين أرض المسلمين والنصارى ، فقد تعرضت هذه المدينة في سنة٣٠٨هـ/٩٢٠م إلى هجوم النصارى ، الأمر الذي تطلب قيام الأمير عبد الرحمن الثالث بالتوجه لإغاثتها بعد فتحه مدينة قلونية[١].

وبعد أن وصل الأمير إلى مدينة تطيلة لمساعدة أهلها ، التحقت به عدة وفود مثل أسرة بني تجيب بقيادة محمد بن عبد الرحمن التجيبي حاكم سرقسطة ، والمنذر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز التجيبي حاكم قلعة أيوب[٢] ، وانضمت إليهم أسرة بني قسي بقيادة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب حاكم تطيلة[٣].

إن توافد هذه الجموع على مدينة تطيلة قد حسّن موقف الأمير عبد الرحمن الثالث ، وصار بإمكانه توظيفها بالشكل المناسب ، فأرسل مجموعة من المقاتلين بقيادة محمد بن عبد الله بن محمد بن لب إلى حصن قلهرة ، وكان هذا الحصن يستخدم كقاعدة عسكرية للنصارى يقومون من خلاله بشن غاراتهم على مدن الثغر الأعلى ، وتمكن ابن لب من فتح هذا الحصن سنة٣٠٨هـ/٩٢٠م ، ثم قدم عليه الأمير عبد الرحمن وأمر بتدمير جميع مباني الحصن[٤]

---

١) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٦٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٧٧- ١٧٨.

٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٣٠ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس ص٤٢- ٤٩.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٩.

٤) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٦٥ ؛ ابن=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كي لا يرجع إليه الأعداء مستقبلاً ، بعدها أخذت قوات الأمير بالتقدم نحو حصن دي شره Carcar[1] ، فاستغل النصارى ذلك وغادروا المكان وقاموا بالهجوم على القوات الأندلسية ولكنهم فشلوا وتكبدوا خسائر جسيمة[2].

بعدها واصل الأمير عبد الرحمن الثالث حملته العسكرية ضد النصارى ، وتمكن من تحقيق نجاحات كبيرة ، وقد استغرقت هذه الحملة ما يقرب من ثلاثة أشهر[3].

وكرد فعل من قبل النصارى فقد قصدت قواتهم حصن بقيرة سنة٣١١هـ/٩٢٣م ، وتمكنوا من القبض على حاكم مدينة تطيلة محمد ابن عبد الله بن محمد بن لب[4] ، وأسر أيضاً قسماً من زعماء أسرة بني ذنون[5] ، ثم قتلوا جميعاً في الأسر[6] ، وبعد مقتل محمد بن عبد

=عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢.

١) يقع هذا الحصن بالقرب من حصن قلهرة ويفصل بينهما نهر الابرو، ينظر : السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١٨٣ هام(٢).

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٨/٢.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٦٠- ١٦٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٩/٢.

٤) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٨٦- ١٨٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٤/٢.

٥) وهم أسرة من أصل بربري سكنوا منطقة الثغر الأوسط وتمكنوا من إقامة دويلة لهم في طليطلة للمدة من ٤٢٧ – ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ؛ ينظر : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٥/٢- ١٧٩ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٢٧- ٢٢٩.

٦) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٤/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله تولى حكم مدينة تطيلة محمد بن لب بن محمد بن لب الذي كان مسيطراً على حصن منت شون وبربشتر ولاردة[١].

اتخذ الأمير عبد الرحمن الثالث مدينة تطيلة قاعدة عسكرية لمواجهة أعدائه ، فهي ذات موقع جغرافي مهم –كما مرّ ذكره– إذ أنها تمثل الحد الفاصل بين النصارى والمسلمين ، أضف إلى ذلك ما أصاب المسلمين في منطقة الثغر الأعلى من كارثة على يد النصارى سنة٣١١هـ/٩٢٣م ، الأمر الذي ترك أثراً كبيراً عند المسلمين ، حتى حملوا الأمير عبد الرحمن الثالث كل المسؤولية عمّا حدث في تلك المنطقة[٢].

ويبدو أن هذا الأمر هو الذي جعله يتخذها قاعدة عسكرية للمسلمين ، لذلك جهز حملة عسكرية بقيادة الوزير عبد الحميد ابن بسيل توجهت إلى الثغر الأعلى ، وتوقفت عند مدينة تطيلة استعداداً للإغارة منها على أراضي النصارى[٣].

استمرت الاستعدادات العسكرية في مدينة تطيلة قرابة شهرين من تاريخ ذي الحجة سنة٣١١هـ - محرم ٣١٢هـ/ ٩٢٣-٩٢٤م[٤] ، بعدها أخذت القوات بالتوجه إلى معاقل النصارى ، وقد عرفت هذه

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣٩- ٤٠.

٢) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص١٨٧- ١٨٨ ؛ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٥/٢ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢ص٣٨٣.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٨٨ ؛ عنان، تراجم إسلامية، ص١٧٤.

٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٥/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحملة باسم غزوة بنبلونة[1].

قام الأمير عبد الرحمن بخداع أعدائه ، إذ أنه انطلق قبل موعد الغزوات التي كانت تعرف باسم الصوائف ، كما أنه لم يتخذ الطريق المعهود سابقاً لسير العمليات العسكرية ، إذ أنه سلك الطريق الروماني القديم الذي يخترق مناطق الأندلس الشرقية[2] ، ومرّ بمدن تدمير وبلنسية ، وتمكن من القضاء على كل الحركات المناوئة لحكمه هناك[3] ، ثم توجه إلى مدينة طرطوشة ومنها إلى مدينة سرقسطة ، إذ التحق به هناك أسرة بني تجيب وعدد كبير من المتطوعين[4] ، ثم توجه إلى مدينة تطيلة حيث استعرض فيها قواته ، ووقف على حالها واستعداداتها ، وكانت أول أهدافه حصن قلهرة فتمكن من الاستيلاء عليه وتدميره[5].

بعدها اجتازت القوات الإسلامية نهر الأبرو وتمكنوا من فتح العديد من الحصون هناك حتى وصلوا إلى مدينة بنبلونة ، وتمكنوا من الدخول إليها وتدمير العديد من مبانيها[6].

ويبدو أن حكم بني قسي لمدينة تطيلة لم يستمر طويلاً بعد تلك الأحداث ، إذ تمرد أهلها وسكان الحصون التابعة لها ، وطردوا

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٨٥.

٢) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٨٩- ١٩٠.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٨٥- ١٨٦.

٤) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ١٩٠- ١٩١.

٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٨٦.

٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٨٦- ١٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محمد بن لب من مناطق نفوذه سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م واستدعوا هاشم بن محمد بن عبد الرحمن وولده يحيى زعماء بني تجيب وتمكن الأخيرين من السيطرة عليها ، بعدها لجأ محمد بن لب إلى صهره حاكم بليارش الذي قتله هو وأتباعه سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م طمعاً في أموالهم ، وبذلك انتهى النفوذ السياسي لأسرة بني قسي في مدينة تطيلة والمناطق الأخرى من الثغر الأعلى الأندلسي وورثتها أسرة بني تجيب في حكم المنطقة[١].

ويبدو أن من أسباب ذلك هو التذبذب في الولاء السياسي الذي انتهجه زعماء هذه الأسرة بين النصارى والمسلمين ، وهو ما أفقد ثقة الجانبين بهم ، فضعف نفوذهم ، وجرأ الآخرين على الخروج عليهم ، وسهل على مناوئيهم القضاء عليهم.

اتخذت مدينة تطيلة مرة أخرى قاعدة انطلاق للتصدي لهجمات النصارى على منطقة الثغر الأعلى ، ففي سنة٣٢٦هـ/٩٣٧م أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر مولاه نجدة بن الحسن الصقلبي[٢] بقيادة قوة مؤلفة من أربعة آلاف مقاتل ، ثم ندب الناس للجهاد والمشاركة فيها[٣].

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٤٠.

٢) نجدة بن حسين الصقلبي أحد قادة الخليفة الناصر ويسميه صاحب كتاب أخبار مجموعة بنجدة الحيري وذكر انه السبب في هزيمة الناصر في موقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ إذ ولاه الناصر على أشراف القوم فتحاملوا عليه، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٣٧ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٦٣- ١٦٤.

٣) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص ٤٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فخرج نجدة بقواته من مدينة سرقسطة باتجاه مدينة تطيلة التي توقف فيها بعض الوقت للراحة والاستعداد ، وانضمت إليه هناك قوة بقيادة محمد بن هاشم التجيبي ، وبعد تكامل هذه القوات قسمها إلى ثلاث كتائب ، الأولى بقيادة محمد بن هاشم وأمره بالتقدم إلى حصن شنت اشتبين San Esteban ، والثانية بقيادة محمد بن عثمان المصحفي[1] وأحمد بن محمد الغساني وأمرهما بالتوجه إلى بسيط دي شره ، أما الثالثة كانت بقيادة محمد بن لب وبنو عمه ومعه بعض أمراء بني رزين[2] Albarracin وبني ذنون إلا أنها لم تَحَدَد الجهة التي انطلقت إليها ولا مهمتها ، ثم أمر القوات بشن الغارات على أن يلتقوا معه بحصن شنت اشتبين[3].

استطاعت هذه الكتائب من شن هجماتها على المناطق التي أمروا بها ، حتى توافوا إلى حصن شنت اشتبين ، وبالقرب منه وقعت معركة بينهم وبين النصارى كان نتيجتها هزيمة الأخيرين بعد

---

١) جعفر بن محمد بن عثمان المصحفي من البربر أديب شاعر استوزره الحكم المستنصر وولي الحجابة لهشام المؤيد توفي سنة ٣٧٢هـ، ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٥٦- ٦٥ ؛ ابن الأبّار، الحُلة السُّيراء، ٢٥٧/١ - ٢٦١ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ٢٦٥/٢ وما بعدها.

٢) بنو رزين من الأسر البرية التي دخلت الأندلس ينتسبون إلى قبيلة هوارة البربرية وأقاموا لهم في عصر الطوائف دويلة في منطقة السهلة بين الثغر الأوسط وقرطبة استمرت للمدة بين ٤٠٣- ٤٧٩هـ/ ١٠٤٥- ١١٠٤م، ينظر عنهم : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٤/٢- ١٩٦ ؛ عنان، دول الطوائف، ٢٥٣- ٢٥٩.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ٤٢٠- ٤٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن قتل إعداداً كبيرة منهم إضافة إلى الغنائم[1].

أصبحت مدينة تطيلة تشكل تهديداً خطيراً للنصارى ، وبخاصة أنهم لم يكونوا غافلين عما يدور من تحركات خصومهم المسلمين بها ، ومن أجل القضاء على هذه القاعدة وإضعاف دورها العسكري ، فقد تم عقد تحالف بين الممالك النصرانية – ليون والبشكنس–وتوحيد جهودهما ضد المسلمين ، فخرج جيش كبير من مملكة ليون أعطى قيادته إلى ابن شلب صاحب قشتيلية باتجاه بلاد البشكنس[2] ، وبعد انضمام الطرفين وتحالفهما توجها إلى مدينة تطيلة ، واشتبكوا بالجيش الأندلسي الذي كان بقيادة الوزير محمد بن هاشم صاحب مدينة سرقسطة ، فدارت معركة شديدة بين الطرفين ، خسرَ في بدايتها المسلمون ، واستشهد فيها عبد الله بن عبد الرحمن عمّ محمد بن هاشم بن عبد الرحمن مع خمسة عشر من فرسان المسلمين ، بعدها عادوا هجومهم مرة أخرى وتمكنوا من هزيمة التحالف النصراني وقتل منهم أبو المنذر قومس حصن غرماج **Gormaz**[3] ، والقمط قومس حصن حريشة ، وابن عمّ غند شلب صاحب قشتيلية مع عدد من وجوه النصارى ، وكان ذلك

---

١) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ٤٢٠- ٤٢١.

٢) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ٤٨٤.

٣) حصن غرماج يعد من الحصون المهمة التابعة لمدينة سالم وهو قريب من حصن شنت اشتبين، ينظر : ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م) ص ٢١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة٣٣٠هـ/٩٤١م[١].

وفي سنة٣٦٤هـ/٩٧٤م شكل الموقف الشعبي لأهالي مدينة تطيلة عامل دفاع عن مدينتهم ضد النصارى وذلك بمشاركتهم مع الجيوش النظامية التي تبعثها حكومة قرطبة ، وقد ظهر ذلك جلياً عند وصول قوات ملك ليون رذمير بن شانجة قرية أستركور الواقعة على فرسخ من مدينة تطيلة على الطريق بينها وبين سرقسطة ، وقد شارك الأهالي إلى جانب الجيش في مواجهة هجوم النصارى وهزيمتهم وقتل عدد منهم ، وقد لاحقت القوات الإسلامية فلول المنهزمين ، وكاد ملكهم رذمير بن شانجة أن يقع في قبضة المسلمين[٢] ، وقد كانت خسائر النصارى كبيرة فقد قتل من قادتهم ثلاثة وثلاثين شخصاً ، كما استولى المسلمون على سبعة وأربعين فرساً ، أما خسائر المسلمين فقد كانت واحد من الجند واثنان من أهل مدينة تطيلة[٣].

والملاحظة المهمة في هذا الموقف الشعبي أنه جاء بشكل طوعي وبإرادة ذاتية كونه جزءاً من تحمل المسؤولية للدفاع عن مدينتهم ، إذ لم يتضح من خلال هذه الرواية أن حكومة قرطبة قد طالبت من سكان تطيلة أو دعتهم إلى الخروج والمشاركة في هذه الحملة ، وهو ما يمكن أن تعده نقطة تحول كبيرة ومهمة لأهالي المدينة ودورهم الجهادي في الدفاع عن أرضهم والوقوف جنباً إلى جنب لمنع

---

١) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م) ص ٤٨٤.

٢) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م) ص ٢٣٧- ٢٣٨.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م) ص ٢٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاعتداءات النصرانية على مناطقهم.

وفي عهد المنصور بن أبي عامر(٣٦٦-٣٩٢هـ/ ٩٧٦-١٠٠١م) ، تمكن من أن يبسط نفوذه على معظم مناطق الثغر الأعلى بما فيها مدينة تطيلة ، وقد ولى على سرقسطة وأعمالها(منها تطيلة) يحيى بن عبد الرحمن التجيبي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م وظل حاكماً عليها حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م ، ثم تتابع من بعده أولاده على حكم منطقة الثغر الأعلى حتى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[١] ، لينتهي دور حكم بني تجيب في هذه السنة وتبدأ دور أسرة أخرى في حكم منطقة الثغر الأعلى وهي أسرة بني هود[٢].

وفي سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م سقطت الخلافة الأموية في الأندلس ، وتقسمت البلاد إلى دويلات طوائف متناحرة[٣] ، وكان نصيب الثغر الأعلى الأندلسي أن استقل بنو هود في سرقسطة ، وبنو ذي النون بطليطلة ، وكانت مدينة تطيلة تابعة إلى سرقسطة ، وقد دخلت الأسرتان في صراع مرير ، ودار هذا الصراع بين سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة(٤٣١-٤٣٨هـ/ ١٠٣٩-١٠٤٦م) والمأمون بن ذي النون

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٥/٣- ١٧٨ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٣٧.

٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٦/٢- ٢٤٧ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٧/٤- ١٦٨.

٣) ينظر التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس : عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢ ص٥٨٨- ٦٢٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٠٩- ٢١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاكم طليطلة (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين سرقسطة وطليطلة موضع الاحتكاك بين الجانبين ، إذ دارت مواجهات عنيفة في سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م وما بعدها بين الطرفين ، وقد استعان كلا الطرفان بحكام الممالك النصرانية مقابل أن يدفعوا لهم الجزية ، فتحالف ابن هود مع ملك قشتالة فرناندو الأول Fernando I(٤٢٦-٤٥٨هـ/ ١٠٣٤-١٠٦٥م) ، وتحالف المأمون بن ذي النون مع ملك نافار Navarraغرسيه(٤٢٦-٤٤٦هـ/ ١٠٣٤-١٠٥٤م) ، واستمر ملكا قشتالة ونافار يعملان على توسيع هذا الخلاف ، فيغير الأول على أراضي طليطلة بجانب ابن هود ، ويغير الثاني على أراضي سرقسطة لحساب ابن ذي النون ، ولم ينتهي هذا الصراع إلا بعد موت ابن هود سنة٤٣٨هـ/١٠٤٦م[١].

وقسم سليمان بن هود قبيل وفاته سرقسطة وأعمالها بين أولاده الخمسة ، فقد اختص أحمد بولاية سرقسطة ، ويوسف المظفر بولاية لاردة ، ولب بمدينة وشقة ، والمنذر بمدينة تطيلة ، ومحمد بمدينة قلعة أيوب ، واستقل كل واحد منهم بحكم مدينته وأعمالها[٢].

ولم يكن هذا التقسيم مرضياً لبعضهم ، فكان سبباً للخلاف

---

١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٦٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨٢/٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢ ص١٧٨.

٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ١٤٧/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢ ص١٧١ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٢٥٥/٥ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٢ ؛ العمايرة، مراحل، ص١٥٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والصراع فيما بينهم ، إذ كان أحمد صاحب سرقسطة والملقب بالمقتدر أشد إخوته طمعاً إلى انتزاع ما في أيديهم ، وقد استطاع فعلاً أن يستولي على مدن وشقة وتطيلة وقلعة أيوب وأن يودع إخوته لب والمنذر ومحمد في السجن[1].

واستطاع يوسف المظفر صاحب لاردة أن يقف ضدّ أطماع أخيه أحمد المقتدر ، خاصة بعد أن خرجت معظم مدن الثغر الأعلى عن طاعة الأخير ، ولم يبق بيده سوى سرقسطة ، وكانت مدينة تطيلة من أولى المدن التي خرجت عن طاعته وانضمت إلى يوسف المظفر ، إذ تعرضت مدينة تطيلة إلى مجاعة فاستغاث أهلها بيوسف المظفر طالبين المؤن ، إلا أنه رأى أنه لا يستطيع إرسال هذه الإمدادات عن طريق سرقسطة خوفا من غدر أخيه أحمد المقتدر ، ففاوض ملك نافار غرسيه ، وبعث إليه أموالا لكي يسمح بمرور الميرة عبر أراضيه إلى مدينة تطيلة ، فوافق ملك نافار على ذلك ، فلما علم أحمد المقتدر بهذا الأمر ، بعث سراً إلى غرسيه يعرض عليه ضعف أموال أخيه لقاء أن يمكنه من السيطرة على المؤن ، فاستجاب الملك النصراني لذلك ، وتم فعلاً الفتك بالقافلة وأبيد معظم رجالها ، إذ كانت تتكون من بضع آلاف من الجنود ، وعدد كبير من الخيل والدواب ، وبذلك تركتِ مدينة تطيلة تعاني من أزمتها بسبب النزاع بين الأخوين[2].

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٤/٤ .٥٥؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٢٣/٣- ٢٢٤ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٦٢- ٢٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد وفاة المقتدر بن هود سنة٤٧٤هـ/١٠٨١م ، قسمت مملكته بين ولديه يوسف المؤتمن وأخيه المنذر ، وقد اختصّ المؤتمن بسرقسطة وأعمالها بما في ذلك مدينة تطيلة ، أما المنذر فقد اختص بالجانب الشرقي من سرقسطة وفيه ثغر طركونة **Tarragona**وطرطوشة ولاردة ودانية **Denia**[١].

ولم يدم حكم المؤتمن طويلاً في سرقسطة وأعمالها ، إذ توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م فخلفه في الحكم ولده الملقب أحمد المستعين ، وبقي الجانب الشرقي بيد عمّه المنذر[٢].

وخلال مدة حكم المستعين تعرضت مدينة تطيلة لحملة عسكرية نصرانية سنة٤٨١هـ/١٠٨٨م بقيادة ملك أراغون سانشو راميرث **Sancho Ramirez** (٤٥٥ - ٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م) بلغ عددها أربعمائة ألف مقاتل ، إلا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، وقد أوضح ذلك ابن الكردبوس بقوله((واستعجل في تلك المدة ابن رذمير– يقصد به سانشو راميرث–لما جرى على الفنش[٣] التدمير ، وانضمت إليه جميع النصرانية ، فنزل بهم على تطيلة في نحو

---

١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٦ هامش (١).

٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٦.

٣) وهو الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة الذي حكم للمدة (٤٥٨- ٥٠٢هـ/ ١٠٦٥- ١١٠٨م) وكان قائد النصارى في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م والتي مُنيَ فيها بهزيمة كبيرة أمام المرابطين، لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١- ٩٧ ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٥٢ وما بعدها..

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أربعمائة ألف نسمة ، فردهم الله عنها خائبين ، واستولى على حصون من عمل ابن هود...))[١].

ثم واصلت مملكة أراغون **Aragon** الاسبانية توسعها على حساب أراضي الثغر الأعلى الأندلسي (سرقسطة وأعمالها) ، وتمكن ملكها بيدرو الأول **Pedro I** (٤٨٩-٤٩٩هـ/ ١٠٩٥-١١٠٥م) يسانده أخوه الفونسو الأول المحارب(٤٩٩-٥٢٩هـ/١١٠٥-١١٣٤م) من السيطرة على مدينة وشقة سنة٤٨٩هـ/١٠٩٥م[٢] الأمر الذي حفز الفونسو الأول المحارب فيما بعد مواصلة عملياته العسكرية ضدّ المناطق الإسلامية ، لاسيما أنه لم يبق من قواعد سرقسطة المهمة بعد وشقة سوى مدينة تطيلة ، فسارت قواته نحوها ، وأسرع المستعين بن هود لإنجادها ، وحدثت بين الجانبين الإسلامي والنصراني معركة عنيفة عند مدينة بلتيرة **Valtierra** ، هُزمَ فيها المسلمون وقتل المستعين وذلك سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[٣].

ويبدو أن القوات النصرانية على الرغم من هذا الانتصار لم تتمكن من دخول مدينة تطيلة والسيطرة عليها ، إذ بعد مقتل المستعين خلفه في الحكم ابنه عبد الملك الملقب بعماد الدولة[٤] ،

---

١) **تاريخ الأندلس، ص٩٩.**

٢) **ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٣/٤.**

٣) **ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢ص١٧٤ ؛ عنان دول الطوائف، ص٢٨٠-٢٨١ ؛ وذكر القلقشندي بأن المستعين بن هود قتل شهيداً سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م في المعركة أعلاه، ينظر:صبح الأعشى، ٢٥٥/٥.**

٤) **مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٧٣- ٧٤ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٨١.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخلال هذه المدة تمكن المرابطون Almoravides Los من دخول مدينة سرقسطة سنة٥٠٣هـ/١١٠٩م ، وبذلك انتهى دور بني هود السياسي فيها.

دخل المرابطون في سلسلة من العمليات العسكرية ضد الأسبان وبخاصة مملكة أراغون ، ويبدو أن سببها الأساسي هو الموقع المهم لمدينة سرقسطة وأعمالها ، كونها القاعدة العسكرية الأخيرة للمسلمين في منطقة الثغر الأعلى ، ومن يحتفظ بها يُمكنه إدارة العمليات العسكرية في معظم تلك المنطقة بنجاح ، وهو ما أدركه الأسبان ، إذ شعروا بالقلق إزاء استمرار حكمها من قبل المرابطين ، باعتبارها معسكراً للجيش المرابطي المعادي لهم.

ومن أجل الدخول إلى منطقة الثغر الأعلى وإحداث ثغرة فيه ، سارع الفونسو الأول المحارب Alfonso el Batallador ملك أراغون بمهاجمة مدينة تطيلة سنة٥١١هـ/١١١٧م ، لأنها كانت القاعدة الأساسية المتقدمة للمسلمين باتجاه أراضي النصارى ، وفعلا تمكنت قوات مملكة أراغون من السيطرة عليها وانتزاعها من المسلمين[١].

وبسقوط تطيلة انهار حصن سرقسطة الأمامي التي كانت تعد خطاً دفاعياً قوياً عنها[٢] ،وأصبحت قواعد الثغر الأعلى مهددة أمام

---

١) ابن القطان، نظم الجمان، ٨/٦ هامش(١)؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٨/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٤/٤- ٥٥ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤١٢/١- ٤١٧ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١ص٨٩.

٢) عنان، نهاية الأندلس، ص٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفونسو الأول المحارب الذي سيطر على مدينة سرقسطة سنة٥١٢هـ/ ١١١٨م مباشرة بعد سقوط تطيلة بحملة صليبية من قوات أسبانية وأوربية مشتركة[١] ، وبعدها سقطت مدينة روطة Rueda المنيعة في السنة نفسها[٢] ، وتتابعت بقية أعمال الثغر بالسقوط ، فقد نجح الفونسو الأول المحارب بالسيطرة عليها الواحدة تلو الأخرى ، ففي سنة ٥١٣هـ/١١١٩م سيطر على مدينة طرسونة وأعاد إليها مركز الأسقفية القديمة التي كانت قبل فتح المسلمين لها[٣] ، ثم سار إلى مدينة برجة واستولى عليها ، كما فرض سيطرته على مدينة قلعة أيوب وكانت من أمنع ما بقي من معاقل الثغر الأعلى[٤].

ويبدو أن سقوط مدينة تطيلة والقواعد الإسلامية الأخرى ، مكنت ملك أراغون الفونسو الأول المحارب من أن يوطد حدود مملكته ويوسع رقعتها ، وباتت معظم مناطق الأندلس مهددة بذلك.

ففي سنة٥٤٥هـ/١١٥٠م عقد ملك أراغون وبرشلونة رامون برنجير الرابع Ramon Berenguer IV (٥٢٥-٥٥٧هـ/١١٣٠-١١٦١م) في مدينة تطيلة معاهدة مع ملك قشتالة الفونسو ريموندسAlfonso Raimundez (الفونسو السابع)(٥٠٢-٥٥١هـ/ ١١٠٨-١١٥٦م) عرفت بمعاهدة تطيلة ، وفيها

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٣؛ السلاوي، الاستقصا، ٦٧/٢ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٠٢ وما بعدها.

٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢٤٦/٢ هامش(٢).

٣) عنان، عصر المرابطين، ق١ ص١٠٢.

٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٦٣ ؛ أرسلان، الحلل السندسية، ١٠٥/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اتفق الطرفان على تقسم بلاد الأندلس ، فكان نصيب ملك أراغون شـرقي الأنـدلس والاسـتيلاء عليهـا ، وأن يتـولى حكـم مـدينتي مرسيةMurcia وبلنسية بصفته تابعاً لملك قشتالة ، وقد أوجدت هذه المعاهدة حالة من الذعر عند ابن مردنيش[1] أمير شرقي الأندلس الذي أسرع إلى عقد محالفات مع ملكي أراغون وبرشلونة تعهد فيها أن يدفع خمسين ألف مثقال ذهب سنوياً إلى كل منهما[2].

وبسبب ذلك ثار عليه أهل شرق الأندلس وبخاصة لورقة **Lorca** وبلنسية ، وتمكن ابن مردنيش من القضاء عليها وهو ما أغضب الدولة الموحدية **Almohades** ، **Los** التي كانت لها علاقة بالثوار ، ولهذا أرسل الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي(٥٢٤-٥٥٨هـ/

---

١) هو محمد بن سعد بن مردنيش كان واحداً من أكبر الثوار الذين استقلوا بشرق الأندلس بعد ضعف المرابطين، واختلف في أصله فقيل إنه جذامي، وأشار ابن حزم إلى أن بعض بطون جذام سكنت الأندلس(١)، وقيل إنه بيزنطي، وقد تمكن من بسط نفوذه على شرق الأندلس وحاول الوصول إلى غرناطة إلا أنه اصطدم بالموحدين الذين هزموه عدة مرات، فلما أحسّ في نفسه الضعف صالح خليفة الموحدين أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وزوج ابنته صفية إلى يعقوب بن يوسف الموحدي، وزوج ابنته الثانية زائدة إلى يوسف بن عبد المؤمن، فولدت صفية ليعقوب المنصور الموحدي ابنه المأمون، ينظر : ابن حزم، نوادر ابن حزم، ص٢٨٥- ٢٨٦ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٤٧ ؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٥٣٢ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٧ ؛ ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ص٢٤٩.

٢) ابن الخطيب، الإحاطة ١٢٤/٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١٢٩-١١٦٢م) رسالة إلى ابن مردنيش حول هذا الأمر[١] ، ولكن ابن مردنيش استمر يغزو بلاد الأندلس بالتعاون مع النصارى ، ففي سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م سار بقواته من مرسية بالتعاون مع قوات أسبانية فسيطر على مدينة جيّان Jaen ثم واصل سيره إلى مدينة قرطبة فشدد عليها الحصار ، ولم تقع بيده لصمود أهلها في الدفاع عنها[٢] ، واستمر ابن مردنيش في تمرده إلى أن توفي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م [٣].

بقي أن نشير إلى أن ابن أبي زرع ذكر أثناء ترجمته لسيرة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي(٥٤١-٥٥٨هـ/ ١١٤٧-١١٦٢م) ذكر أن نفوذه وصل إلى مدينة تطيلة قائلاً: إن حدود دولته امتدت ((من سويقة بن مكتود قاصية بلاد إفريقية إلى أقصا بلاد نول من أرض السوس الأقصا إلى آخر بلاد القبلة ، وملك بالأندلس من مدينة تطيلة ، قاصية بلاد شرق الأندلس إلى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس...))[٤] ، كما أشار أيضاً إلى أن الفونسو(٦٢١-٦٢٤هـ/ ١٢٢٤-١٢٢٦م) (وهو الفونسو التاسع) في سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ملك مربالة **Marbella**

---

١) **ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق١ ص٢٦١ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٦٤.**

٢) **ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٠٩- ١١٠.**

٣) **ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص ٥٠٦ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٧٦-١٧٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢ ص٢٦٢.**

٤) **الأنيس المطرب، ص٢٠٦.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ودخل تطيلة بالسيف وقتل بها خلق كثير من المسلمين[1] ، ويبدو في هذا النص بعض المبالغة وبالأخص ما يتعلق الأمر بنفوذ الموحدين في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي ، فأقصى ما وصل إليه نفوذ الموحدين في شرق الأندلس هو مدينة بلنسية[2].

---

١) الأنيس المطرب، ص٢٧٣.

٢) ينظر التفاصيل عن دور الموحدين في شرق الأندلس : عنان عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٦٩- ٣٧٢ ؛ شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ الإسلامي، ص٧٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثالثا: الحياة الفكرية في تطيلة

خضعت مدينة تطيلة لحكم العرب المسلمين مدة أكثر من أربعة قرون ، وقد استوطنها العديد من القبائل العربية والبربرية ، وطيلة تلك المدة طُبِعت المدينة بالطابع العربي الإسلامي ، فظهر فيها العديد من رجال الفكر في مختلف حقول المعرفة ، ومما ساعد على ازدهار الحركة الفكرية فيها أنها كانت منطقة ثغرية مواجهة لأعداء المسلمين طيلة تلك المدة ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المرابطة فيها للجهاد ، فكان منهم القراء والمحدثين والفقهاء واللغويين والأدباء ، نذكر منهم:

١- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري الخزرجي أندلسي يعرف بالتطيلي ويكنى أبا إسحاق ، محدث روى عن أبي محمد بن السيد[١] وأبي بكر بن

---

١) أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي ولد في بطليوس ونشأ في شلب كان إماما في اللغة والأدب ثقة مأمونا توفي سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، ينظر عنه: الضبي، بغية الملتمس، ص٣١٣ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/٩٦؛ الفيروزآبادي، البلغة، ص٣١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العربي[1] وأجاز أبو بكر غالب عطية[2] وأبو الوليد بن رشد[3] ، قيل إنه كان يروي المناكير ، كان من أبناء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[4].

٢- أحمدُ بن عامرِ بن مُصلٍ ، من أهل تُطِيَلَة ، قال ابن الفرضي: له رِحلةٌ إلى المَشرق[5].

٣- أحمد بن عبد الله بن هريرة أبو العباس القيسي التطيلي الإشبيلي المنشأ الضرير المعروف بالأعمى ، كان شاعراً ، امتدح الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين[6] ، وله باع في

---

١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري، من أهل إشبيلية، رحل إلى المشرق ودخل مكة وبغداد والشام ومصر والإسكندرية، ثم عاد إلى الأندلس وتولى قضاء إشبيلية، وتوفي بفاس سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، ابن بشكوال، الصلة، ص٤٥٩ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٨٨.

٢) هو أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي من أهل غرناطة روى عن أبي الحسن الحضرمي المقريء ومحمد بن حارث النحوي وغانم بن وليد له رحلة إلى المشرق، كان حافظاً للحديث وعلله، عارفاً بأسماء الرجال، توفي سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م، ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٦٤.

٣) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، فيلسوف من أهل قرطبة توفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨، ابن فرحون، الديباج المذهب، ١/١٧٤.

٤) ابن الأبار، التكملة، ١/١٣٤.

٥) تاريخ علماء الأندلس، ص٤٣.

٦) أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني بويع له سنة ٥٠٠هـ /١١٠٦م وتوفي سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م، ابن أبي زرع، الروض القرطاس، ١٥٧- ١٦٥ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الموشحات ، توفي سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م[١].

٤- أحمد بن علي بن غزلون الأموي يكنى أبا جعفر ، من أهل تطيلة ، محدث روى عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي[٢] ، وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء ، توفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م[٣]

٥- أحمد بن علي بن يونس بن خلف الثغري التطيلي يكنى أبا جعفر ، محدث روي عن أبي الوليد الباجي حدث عنه أبو عبد الله النميري[٤][٥] ، كان من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لأن وفاة الباجي كانت سنة ٤٧٤هـ/١٠٨٠م.

٦- أحمد بن محمد بن عمر يعرف بابن الإمام ويكنى أبا بكر ، من أهل تطيلة ، كان من أهل العلم وولي قضاء تطيلة وتوفي

---

١) ينظر ترجمته : الضبي، بغية الملتمس، ص١٧٣- ١٧٥ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/٤١٨- ٤٢١.

٢) هو سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي فقيه وحدث ومتكلم له رحلة إلى المشرق حيث أقام هناك ثلاثة عشر ثم رجع إلى الأندلس وكان له دور في الدعوة إلى التوحد أيام دويلات الطوائف، توفي سنة ٤٧٤هـ/١- ٨١م، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٨٠- ٢٨١ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٦- ٣٤٤.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٧٨ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٥/٤٣٧.

٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن صقالة النميري من أهل غرناطة يمنى أبا عبد الله كان من حذاق المحدثين عارفاً بعلل الحديث وأسماء رجاله صدراً في روايته ولم يكن في عصره مثله، توفي سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، ابن فرحون، الديباج المذهب، ١/١٦٢.

٥) ابن الأبار، التكملة، ١/٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[1].

٧- أبو أحمد المقرئ نزل تطيلة وأقرأ بها القرآن أخذ عنه أبو عبد الله بن مطرف التطيلي[2] المعروف بابن أبي بقورنية قبل رحلته إلى دانية في سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م[3].

٨- أحمد بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن حصيبٍ يعرف بابن الإمام ، من أهل تطيلة يكنى أبا بكر ، قال ابن الفرضي: محدث سمع من محمد بن شبل وولي القضاء بموضعه ، وكان فقيهاً عالماً ولد سنة سبع وعشرين وثلاث مائة وتوفي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م[4].

٩- إسماعيل بن موصل بن إسماعيل بن عبد الله بن سليمان بن داود بن نافع اليحصبى أبو مروان من أهل تطيلة ، وقيل: هو إسماعيل بن سهل بن عبد الله بن إسماعيل اليحصبى أندلسي ، يكنى أبا القاسم ، ذكروه في أهل تطيلة[5] ، لعل وفاته كانت قبل

---

١) ابن الأبار، التكملة، ٣٢/١ ؛

٢) محمد بن أحمد بن مطرف الكناني المقرئ يعرف بالطرفي من أهل قرطبة كان من أهل المعرفة بالقراءات، حسن الضبط لها، عالماً بوجوهها وطرقها وكان ديناً فاضلاً صاحب ليل وعبادة، ثقة فيما رواه، توفي سنة ٤٥٤هـ/١١٥٩م، ابن بشكوال، الصلة، ص١٧٣.

٣) ابن الأبار، التكملة، ١١٠/١

٤) تاريخ علماء الأندلس، ص٥٧ ؛ ينظر أيضا : القاضي عياض، ترتيب المدارك، ٤٧٤/١.

٥) ابن ماكولا، الإكمال، ٢٣٣/٧ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٤٧ ؛ السمعاني، الأنساب، ٤٦٧/١ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢١٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م ، فقد ذكره ابن ماكولا المتوفى في هذه السنة.

١٠- بلال بن عيسى بن هارون التجيبي من أهل تطيلة ، يكنى أبا بكر ، كانت له عناية بالعلم ورحلة ، وولي القضاء بتطيلة ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م[1].

١١- أبو بكر الزهري الزاهد من آهل تطيلة من الثغر الأعلى يعرف بالطغشي[2].

١٢- حيون بن خطاب بن محمد يكنى أبا الوليد ، من أهل تطيلة ، محدث روي عن أبي العاصي حكم بن إبراهيم المرادي[3] ، وسهل بن إبراهيم الأستجي[4] ، وأبي محمد ألأصيلي[5] ، وغيرهم ، ورحل إلى المشرق وحج ولقي العديد من علمائها ، حدث

---

١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٨٧.

٢) ابن الأبار، التكملة، ١٧٨/١.

٣) هو حكم بن إبراهيم بن محمد بن عابس المرادي من أهل سرقسطة سمع من قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة كان مولده سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٤- ١٠٥.

٤) هو سهل بن إبراهيم بن سهل بن نوح من أهل استجة يعرف بابن العطار كان عالما بمعاني القرآن والحديث توفي سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٦١.

٥) هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم ألأصيلي من الغرباء على الأندلس قدم قرطبة وسمع من أحمد بن مطرف ومحمد بن معاوية القرشي ووهب بن مسرة، وكانت له رحلة إلى المشرق سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م وتفقه هناك بمذهب مالك، ثم عاد إلى الأندلس وعمل مشاورا أيام الخليفة الحكم المستنصر، وتوفي سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٠٥- ٢٠٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنه أبو عبد الله محمد بن سمعان الثغري[1] وغيره ، وله كتاب جمع فيه الرجال الذين لقيهم[2]، وهو من أهل القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي.

١٣- خلف بن سيد من أهل الثغر الشرقي يحدث عن عيسى بن موسى هو ابن الإمام[3] لقيه بتطيلة وأخذ عنه[4] ، وهو من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

١٤- خوشب بن سلمة تطيلي ، منسوب إلى بلدته ، ولي قضاءها ، ومات بها في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن[5] ، فهو من أبناء القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي .

١٥- داود بن إسماعيل المكتب من أهل تطيلة يكنى أبا

---

١) هو محمد بن عبد الرحمن بن سمعان من أهل الثغر، يكنى أبا عبد الله، حدث عن أبي عمر الطلمنكي المقرئ، وأبي عبد الله بن الحذاء القاضي، ومحمد بن يمن وغيرهم. وكان معتنياً بالعلم وروايته، أخذ عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جماهر وغيرهم، ابن بشكوال، الصلة، ص١٧٥.

٢) ابن بشكوال، الصلة، ص١٣٩ ؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ١٥٧/١.

٣) هو عيسى بن موسى بن عيسى بن سعيد الأنصاري من أهل بلنسية يكنى أبا الأصبغ ويعرف بالمنزلي لسكناه منزل عطاء من قرى غربيها، روى عن أبي داود المقرئ سمع منه التقصي لأبي عمر بن عبد البر في سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م وأجاز له أبو الوليد الباجي، حذق علم الرأي وتقدم للشورى والفتيا ببلده وهو كان مفتي صاحب الأحكام، وتوفي سنة ٥٢٣هـ/١١٢٨م، ابن الأبار، التكملة، ٨/٤.

٤) ابن الأبار، التكملة، ٢٤١/١.

٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٩٧ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٥٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحسن ، قال ابن الأبار: حكى عنه أبو عمرو البلجيطي[1] [2] ، لعله من أبناء القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي.

١٦- زكرياء بن الخطاب بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن حزم الكلبي ، محدث من أهل تطيلة[3] ، كانت له رحلة إلى مكة سنة٢٩٣هـ/٩٠٥م فسمع بها كتاب النسب للزبير بن بكار ، وروى موطأ مالك بن أنس فكان الناس يدخلون إلى تطيلة للاستماع منه[4].

١٧- سعيد بن هارون بن عفان بن مالك بن عبد الله الحضرمي من أهل تطيلة ، يكنى أبا عثمان ، رحل إلى المشرق وسمع من علي بن عبد العزيز[5] وغيره ، وكان شيخاً فاضلاً مشهوراً بالعلم ،

---

١) نسبة إلى بلجيط من عمل مدينة سرقسطة إلى الجنوب منها، ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ١٧٠/٢ ؛ وهو عثمان بن يوسف بن أبي بكر بن عبد البر بن سيدى بن أبي القاسم ثابت بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن معافى الأنصاري من أهل سرقسطة ويعرف بالنسبة إلى بلشيد من أعمالها ويقال فيه البلجيطي يكنى أبا محمد وأبا عمرو أخذ القراءات عن أبي زيد الوراق بسرقسطة قبل تغلب النصارى عليها، توفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، ابن الأبار، التكملة، ١٦٩/٣- ١٧٠.

٢) التكملة، ٢٥٥/١.

٣) قال ابن الفرضي من أهل طليطلة توفي سنة ٣٣٧هـ/٩٤٨م، تاريخ علماء الأندلس، ص١٢٧- ١٢٨.

٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢١١ ؛ ابن ماكولا، الإكمال، ٤٥٠/٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٧١.

٥) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور البغوي، نزل مكة وصحب أبا عبيد القاسم بن سلام وروى عنه، وحدث بكتبه، وكانت وفاته سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص٤٠٨- ٤٠٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م[١].

١٨-سعيد بن مقرون بن عفان بن مقرون بن مالك بن عبد الله اليحصبى التطيلي من أهل تطيلة ، محدث له رحلة وطلب ، ذكره محمد بن حارث الخشنى[٢][٣].

١٩-سليمان بن سلمة القيسي من أهل تطيلة مولى لبني الخشاب ، كانت له رحلة سمع فيها من يحيى بن عمر[٤][٥] ،وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٢٠-عامر بن مؤمل بالميم ، وقيل موصل بالصاد ، بن إسماعيل بن عبد الله ابن سليمان بن داود بن نافع اليحصبي أبو مروان ، محدث من أهل تطيلة سَمع من يحيى بن عُمَر وغيره ، وكانَ من أهّل الزّهد توفي سنة٢٩١هـ/[٦].

---

١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٤٣.

٢) هو محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني ثم الأندلسي فقيه حافظ ومؤرخ له العديد من المصنفات منها كتاب قضاة قرطبة توفي سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٨٣- ٣٨٤.

٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٢٨٩ ؛ الدرويش وجابر، الأندلس من تاج العروس، ص١٢٩.

٤) هو أبو زكريا يحيى بن عمر بن يوسف الإمام، شيخ المالكية، له رحلة سمع فيها بإفريقية من سحنون، وأبي زكريا الحفري، وعون بن يوسف وطائفة، وسكن القيروان، وكان حافظاً للفروع، ثقة، ضابطاً لكتبه، توفي سنة ٢٨٩هـ/٩٠١م، الذهبي، سير، ٤٦٢/١٣- ٤٦٣.

٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٥٧.

٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٧٤ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٢١؛ السمعاني، الأنساب، ٤٦٧/١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢١-عبد الله بن بسام بن خلف بن عقبة الكلبي: من أهل تطيلة ، يكنى: أبا محمد ، له رحلة سمع فيها من الحسن بن رشيق[١] وغيره. حدث عنه من أهل بلده أبو بكر يحيى بن زكرياء الزهري[٢] ، وهو من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

٢٢-عبد الرحمن بن الحسين سكن تطيلة وله رواية عن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عبد العزيز بن الخراز[٣] صاحب الصلاة بقرطبة حدث عنه الصاحبان[٤] وقالا كتبنا عنه بتطيلة ذكره

---

١) الحسن بن رشيق القيرواني شاعر وأديب من أهل المغرب ،رحل إلى القيروان وبقي بها مدة ثم غادرها إلى صقلية، وتوفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، ومن أشهر كتبه العمدة في صناعة الشعر، الفيروزآبادي، البلغة، ص١٥ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ٥٠٤/١

٢) ابن بشكوال، الصلة ص٢٠٨.

٣) هو محمد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز من أهل قرطبة محدث سمع محمد بن عمر بن لبابة وغيره، كان عالما بالنحو، ولي قضاء طليطلة وباجة، توفي سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٥٧- ٣٥٨.

٤) الصاحبان هما : إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير الأموي: من أهل طليطلة، يكنى أبا إسحاق، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن ميمون، كانا معاً كفرسي رهان في العناية الكاملة بالعلم والبحث على الرواية والتقييد لها والضبط لمشكلها، سمعا معاً بطليطلة على من أدركاه من علمائها، ورحلا معاً إلى قرطبة فأخذا عن أهلها ومشيختها، وسمعا بسائر بلاد الأندلس، ثم رحلا إلى المشرق وسمعا بها على جماعة من محدثيها توفي الأول سنة ٤٠١هـ/١٠١٠م، والثاني سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ابن بشكوال، الصلة، ص٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أبو عمر بن عفيف[1][2] ،وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

٢٣- عبد الله بن محمد الفهري من أهل تطيلة كانت له رحلة ، وكان من الحفاظ موصوفاً بالصلاح ، قال ابن حبيش[3]: كان عالماً فاضلاً صالحاً ديناً من الحفاظ المتقدمين[4].

٢٤- عبد الله بن يوسف من أهل تطيلة يكنى أبا محمد ، قال ابن الفرضي: كانت له رحلة وسماع وكان لا بأس بحفظه[5].

---

١) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف الأموي القرطبي، كان واسع الرواية والجمع والإتقان، وكان يغسل الموتى وصنّف في تغسيلهم كتاباً، وصنّف كتاباً في أدب المعلمين وفي أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة ؛ توفي سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٦/٣ ؛الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٧٧/٢٨.

٢) ابن الأبار، التكملة، ٧/٣.

٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن أبي عيسى الأنصاري يعرف بابن حبيش وهو خاله ويكنى أبا القاسم من أهل المرية وأصله من شارقة عمل بلنسية وجده عبد الله هو المنتقل منها إلى المرية أخذ القراءات عن أبي القاسم أحمد بن عبد الرحمن القصبي وأبي القاسم بن أبي رجاء البلوي، قال ابن الأبار : كان أخر أئمة المحدثين بالمغرب والمسلم له في حفظ أغربة الحديث ولغات العرب وتواريخها ورجالها وأيامها لم يكن أحد من أهل زمانه يجاريه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم وموالدهم، توفي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، التكملة، ٣٤/٢- ٣٦.

٤) ابن الأبار، التكملة، ٢٣٠/٢.

٥) تاريخ علماء الأندلس، ص١٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٥- عمر بن محمد بن إسماعيل الزاهد ، المعروف بالتربي ، من أهل تطيلة يكنى أبا حفص ، له رحلة إلى المشرق وروى عن جماعة هناك ، توفي سنة٣٧٩هـ/ ٩٨٩م[١].

٢٦- عمر بن محمد بن حفص بن عبد الله بن سعيد المرادي المقرئ ، من أهل تطيلة ، يكنى أبا حفص ، حدث عن علي بن خليفة[٢] وغيره ، حدث عنه الصاحبان[٣].

٢٧- عمر بن يوسف بن موسى بن فهد بن خصيب الأموي من أهل تطيلة يكنى أبا حفص ويعرف بابن الإمام ، قال ابن الفرضي: وكان حافظاً للمسائل وامتحن بالأسر هو وابنه وأخوه فافتدوا بخمسة عشر ألف دينار ، ولي القضاء بتطيلة بعد بلال بن عيسى وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثلاث مائة فلم يزل قاضياً إلى أن توفى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ، وكان مولده يوم الأضحى سنة أربع وأربعين ومائتين[٤].

---

١) ابن بشكوال، الصلة، ص٣١٦ ؛

٢) هو علي بن خليفة، أندلسي، له رحلة لقي فيها أبا القاسم الجوهري بمصر وسأله عن مسائل في الحج رواها عنه حدث عنه أبو حفص عمر بن محمد التطيلي، ابن الابار، التكملة، ١٧٣/٣.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٣١٧.

٤) تاريخ علماء الأندلس، ص٢٥٨ ؛ينظر أيضا: الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٩/٢٥- ١٥٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٨-عيسى بن كنانة من أهل تطيلة يكنى أبا المضاء ، كان مشهوراً بالعلم والعبادة متفنناً ذا عقل ومرؤة وصلاح ، وكانت له رحلة[١].

٢٩-عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن خصيب الأموي مولى لهم يعرف بابن الإمام ، من أهل تطيلة يكنى أبا الأصبع ، قال ابن الفرضي: محدث سمع من عمه عمر بن يوسف ومن محمد بن شبل ، رحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من شيوخها ، وولي الصلاة بموضعه ، وكان خيراً فاضلاً ، توفي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م[٢].

٣٠-محمد بن إبراهيم بن سعيد بن موسى بن نعم الخلف الرعيني ، من أهل تطيلة ، يكنى: أبا عبد الله ، قال ابن بشكوال: سمع بسرقسطة من القاضي أبي الوليد الباجي بعد أن رحل حاجاً ، فسمع بالإسكندرية من شيوخها ، ولقي أبا معشر الطبري[٣] بمكة وقرأ عليه القرآن بالروايات وتوفي بأوربولة ٥٠٧هـ/١١١٣م [٤].

٣١-محمد بن أحمد بن مطرف البكري ، من أهل تطيلة ، يكنى أبا عبد الله ، قال ابن بشكوال: روي عن أبي الوليد الباجي ،

---

١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٦٣.

٢) تاريخ علماء الأندلس، ص٢٦٦.

٣) هو عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد القطان الطبري الشافعي كان عالما بالقراءات، مؤرخاً لرجالها من أهل مكة، وتوفي بها توفي بها سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، الزركلي، الإعلام، ٥٢/٤.

٤) الصلة، ص٤٤٥ ؛ ينظر أيضا : الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٦٨/٣٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيره ، وكان مقرئاً آخذ عنه بعض أصحابنا ، وتوفي بالمرية سنة إحدى وعشرين وخمسمائة[1].

٣٢- محمد بن علي بن محمد بن شبل بن بكر بن كليب بن معشر بن عبد الله القيسي من أهل تطيلة وصاحب الأحكام بها يكنى أبا عبد الله ، محدث سمع من أبي الأصبغ بن الإمام[2] وغيره حدث عنه وأبو الأصبغ عيسى[3][4].

٣٣- محمد بن عيسى ، المعروف بابن البريلي من أهل تطيلة وقاضيها ، يكنى أبا عبد الله ، قال ابن بشكوال : له رحلة إلى المشرق وحج فيها سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. ولقي مشيخة المصريين وأخذ عنهم. وكان موصوفاً بالعلم والصلاح ، والعفة ، والشجاعة ، والجهاد بثغره. وخرج مع المهدي محمد بن هشامٍ[5]

---

١) الصلة، ص٤٥١.

٢) هو عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، من أهل قرطبة يكنى أبا الأصبع، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد ابن عبد الله بن أبي دليم ونظرائهم، كان عالما بالنحو والغريب والشعر شاعرا مائلا إلى الكلام والنظر، توفي سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٢٧.

٣) وهو أبو الأصبع عيسى بن سعيد بن سعدان المقريء له رحلة إلى المشرق وكان أديبا عالما حسن الصوت، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٦٦.

٤) ابن الأبار، التكملة، ٣٠٦/١ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤٨٦/٦.

٥) وهو الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي الملقب بالمهدي ثار على الخليفة هشام المؤيد بقرطبة سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م وبويع=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لنصرته فقتل بعقبة البقر في صدر شوال سنة أربع مائة[1].

٣٤- محمد بن عيسى بن القاسم الصدفي من أهل تطيلة وسكن مدينة فاس يكنى أبا عبد الله ، محدث سمع أبا علي بن سكرة الصدفي [2] ولازم مجلسه لسماع الحديث ومسائل الرأي وكان فقيهاً عارفاً بالوثائق أديباً شاعراً ، وتوفي سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[3].

٣٥- محمد بن فتح من أهل تطيلة ، قال ابن الفرضي: رحل مع بلال بن عيسى بن هارون وسمعا بالقيروان من يحيى بن عمر[4].

٣٦- محمد بن محمد من أهل تطيلة ، عنى بالعلم وطلب وجمع ورحل سمع فيها من سحنون[5][6]

٣٧- نعم الخلف بن أبي الخصيب ، من أهل تطيلة ، يكني أبا

=بالخلافة وقتل سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م على يد واضح الصقلبي، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٠- ٣١.

١) الصلة، ص٣٨٧؛ ينظر أيضا :الدرويش وجابر، الأندلس من تاج العروس، ص١٨٦.

٢) هو أبو علي حسين بن محمد بن فيرة بن حيوة بن سكرة الصدفي، من أهل سرقسطة، سكن مرسية، روى عن أبي الوليد الباجي وغيره، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة والبصرة وواسط وبغداد ومصر، وعاد إلى الأندلس، واستشهد في وقعة قتندة سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ابن بشكوال، الصلة، ص١٣١- ١٣٤

٣) ابن الأبار، التكملة، ٣٥١/١.

٤) تاريخ علماء الأندلس، ص٣٤٤ وذكر في نسخة أخرى أنه من أهل طليطلة.

٥) سحنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، أصله من مدينة حمص، فدخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها، وانتهت إليه رياسة مذهب مالك هنالك وتوفي سنة ٢٣٩هـ/٨٥٣م، الخشني، قضاة قرطبة، ص٢٩٦، ٣٠٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥١/١٠.

٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٠٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القاسم ، كان محدثاً شاعراً زاهداً من أهل الغزو والرباط ، قتل شهيداً سنة ٢٩٨هـ /٩١٠م [١].

٣٨- وليد بن خطاب بن محمد ، من أهل تطيلة ، وله رحلة إلى المشرق كتب فيها عن أبي سعد الماليني[٢] ، وعن جماعة سواه ، سواه ، وكانت له عناية بالحديث والسماع من الشيوخ ثقة فيما رواه وعني به[٣].

٣٩- يحيى بن زكرياء بن محمد الزهري القرشي ، من أهل تطيلة ، يكنى أبا بكر ، محدث روى ببلده عن عبد الله بن بسام وغيره ، حدث عنه الصاحبان وقالا: كان رجلاً صالحاً[٤].

٤٠- يمن بن رزق الزاهد ، من أهل تطيلة من الثغر من قرية تجاورها ، يكنى أبا بكر ، قيل إنه لم يكن معه إلا مصحف وكتاب الزهد ، ولا في بيته شيء وإذا أراد شراء شيء أو يتصدق بشيء أدخل يده تحت الحصير فيخرج دراهم صحاحاً كباراً ، وكان في بيته النهار كله فإذا جاء وقت الفريضة صلاها في المسجد مع الناس ،

---

١) **ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤١٦ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٤٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٤٢.**

٢) **أبو جعفر محمد بن معاذ بن فره الهروي الماليني حدث عن الحسين بن الحسن المروزي، والفقيه محمد بن مقاتل، وتوفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، الذهبي، سير، ٤٨٥/١٤.**

٣) **ابن بشكوال، الصلة، ص٤٩٧.**

٤) **ابن بشكوال، الصلة، ص٥١٢.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان يمن ينام على حصير على الأرض ، وسُمِع يمن بن رزق يقول عند الموت وهى أخر كلمة منه الحمد لله على فراقي الدنيا[1].

٤١- يوسف بن موسى المعروف بالإمام ، من أهل تطيلة يكنى أبا عمر ، كان عالماً فاضلاً وكانت له رحلة سمع فيها وجمع وكان حافظاً[2].

---

١) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٤٧.

٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة سمّورة
في العصر الإسلامي

٩٥هـ - ٣٩٥هـ /٧١٣م - ١٠٠٤م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا: جغرافية مدينة سمّورة (Zamora):

ورد اسم المدينة في المصادر العربية بألفاظ مختلفة بعض الشيء، فجاءت بلفظة (سمّورة أو سمرة أو صمورة)[1] ، وقد وصفها الحميري بقوله: ((وسمّورة مدينة جليلة، قاعدة من قواعد الروم، وعليها سبعة أسوار من عجيب البنيان، وقد أحمته الملوك السالفة، وبين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة وسمّورة مدينة محدثة))[2].

تقع في الضفة الشمالية من نهر دويرة(Duero) ، في شمال شرقي البرتغال، بينها وبين البحر ستون ميلا[3] ، والى الشمال منها بانحراف إلى الشرق تقع مدينة ليون[4] ، إذ أن المسافة بينهما مائة ميل[5] ، وكذلك تبعد عن مدينة الكامبو(Medina delcompo) التابعة لمقاطعة بسقاية(بسكاية Vizcaya) حوالي٩٠كم وتفصل بينهما بلد(نفدو) التي تقع أعالي الوادي الجوفي[6].

---

١) العذري . نصوص عن الأندلس، ص٧٧، ٧٩، ٨٠ ؛ البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٣ ؛ الحميري، صفة، ص٩٨ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٤٨.

٢) صفة، ٩٨.

٣) الحميري، صفة، ص٩٨- ٩٩.

٤) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٨٥.

٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/ ٧٣١.

٦) أرسلان، الحلل السندسية، ٧٣١/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد عدّ الإدريسي مدينة سمّورة من ضمن بلاد البرتغال بقوله: ((فأما بلاد برتقال فمنها مدينة قلمرية ومنت ميور ونجاو وسرتان وشلمنقة وسمّورة وآبلة))[1].

ومن الأنهار التي تقع عليها مدينة سمّورة نهر دويرة ويسمى أيضا نهر سمّورة[2] ، وينبع هذا النهر من رأس جبل الشارات الذي يقع على مكان يدعى برت ياقة ، ومن هذا المكان نفسه يخرج نهر الابرو ، ثم يهبط ما بين الشريانيين وبلاد قشتالة على أرض صلبة حتى يصب في المحيط الأطلسي[3] ، وقد ذكر شيخ الربوة طول هذا النهر إلى أن يصب في البحر المحيط(المحيط الأطلسي) عند مدينة برتقال سبعمائة وثمانون ميلاً[4] ، وأن أهم ما يميز هذا النهر هو شدة جريانه وعمق قعره ، وقد وصفه الإدريسي بقوله: ((...وهذا النهر نهر كبير خرار كثير الماء شديد الجرية عميق القعر وعلى ضفته مدينة سمّورة))[5] ، ويعد هذا النهر من أكبر أنهار قشتالة[6] ، ويبدو أن هذا النهر كان دور مهم في الملاحة النهرية بين المدن الأندلسية.

وهناك نهر آخر ذكره ابن سعيد إلا أنه لم يحدد اسمه يجري من

---

١) نزهة المشتاق، ٧٢٥/٢.

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢.

٣) الزهري، جغرافية، ص١٠٥.

٤) نخبة الدهر، ص١٤٥، ٣٢٤.

٥) نزهة المشتاق، ٧٢٧/٢.

٦) الزهري، الجغرافية، ص١٣٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جهة الشمال ويصب في مدينة سمّورة وتقع عليه أيضا مدينة ليون[١].

وقد ساعد موقع المدينة على هذه الأنهار على قيام الزراعة والتجارة ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((ومكانها على شمال نهر دويرة ، وعليها سور حجارة حصين ولها خصب كثير وكروم ، ولأهلها أموال وتجارات)[٢].

وقد حدد الإدريسي الطرق البرية التي تربط مدينة سمّورة ببقية مدن الأندلس فقال: ((من مدينة قلمرية إلى مدينة شلمنقة ثلاث مراحل بين شرق وشمال ، ومن شلمنقة إلى سمّورة مرحلة... ومن سمّورة إلى مدينة ليون أربعة أيام وهي مائة ميل))[٣] ، أما ياقوت فقد حدد هو الآخر المسافات بقوله: ((وبين مدينة ترجيلة وبين قرطبة ستة أيام غرباً ، وبينها وبين سمّورة من بلاد الإفرنج ستة أيام))[٤].

وحسب تقسيم قسطنطين فقد قسم الأندلس إلى ستة أقسام ، وجعل لكل قسم ولاية ، ووضع مدينة سمّورة في الجزء الخامس وقاعدته مدينة ماردة ، وأضاف إليها مدن عدة منها: مدينة باجة **Bega** ، ومدينة أكشونبة **Ocsonoba** ، ومدينة صيوتلة ، ومدينة يابرة **Evora** ، ومدينة شنترة **Cintra** ، ومدينة شنترين **Santeren** ، ومدينة لشبونة **Lisbone** ، ومدينة قلنبرية(قلمونة) **Coimbra** ،

---

١) الجغرافيا، ص١٩٢.

٢) نزهة المشتاق، ٧٣١/٢.

٣) نزهة المشتاق، ٧٣١/٢.

٤) الأندلس من معجم البلدان، ص١٠٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومدينة قوريةCoria ، ومدينة شلمنقة Saamaca ، ومدينة سمّورة ، وهي محدثة برا إلى شنت ياقوب[1].

ويبدو أن الولايات الست التي أشار إليها البكري وهي: أربونة ، جليقية ، طركونة ، طليطلة ، ماردة ، إشبيلية[2] ، كانت في الوقت نفسه مديريات كنسية ، وكان يتوزع على هذه الولايات اثنان وثمانون أسقفاً[3] ، لهذا تعد هذه المدن مراكز الأسقفيات الدينية ، فضلا عن كونها مراكز الإدارة المدنية للولايات[4].

وقد تمتعت مدينة سمّورة بمجموعة كبيرة من الآثار ، منها قنطرة قديمة ذات عقود رومانية ، وقد كان للمسلمين دور في إصلاحها وتجديدها خلال مدة خضوع المدينة لحكمهم[5].

ومدينة سمّورة قديمة المظهر ، وتقسم إلى قسمين ، قديم وجديد ، والقديم يحتفظ بطابع العصور الوسطى ، وفيه تقع معالمها الأثرية ، أما القسم الجديد فيتكون من بضعة أحياء بنيت خارج المدينة القديمة[6] ، وفي وسط المدينة عدد من الشوارع القديمة المرصوفة بالحجارة ، ويوجد مقابلها من الناحية الأخرى شوارع مماثلة[7].

---

١) البكري، جغرافية، ص٥٩- ٦٣.
٢) جغرافية، ص٥٩- ٦٤.
٣) طه، الفتح والاستقرار، ص٧٢.
٤) طه، دراسات أندلسية، ص١٢٩.
٥) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٢.
٦) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٢.
٧) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن الآثار الأخرى التي توجد في هذه المدينة كتدرائية سمّورة التي في طرفها الأيمن ، وهي قديمة ترجع إلى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، قوطية الطراز ، ذات عقود مستديرة من الأعلى ، ولها قبة مستديرة هي أقرب إلى قبة الجامع عند المسلمين ، ويحيط بها من الخارج عدة قباب صغيرة مستديرة وهي جميلة الزخرف من الداخل بالرغم من صغرها ، ولها برج أجراس مربع عريض ذو طابع خاص قائم إلى يمينها ، وقد وجد في متحفها مجموعة ثمينة من السجاجيد ، وبها تحفتان أندلسيتان هما عبارة عن صندوقين ، الأول صندوق صغير من العاج ارتفاعه١٨ سنتمتراً وعرضه٥ ، ١٠ سنتمتراً وقد زينت جوانبه بصور الطيور والغزلان ونُقش عليه بالخط لكوفي مايأتي: ((بركة من الله للإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين مما أمر بعمله للسيدة أمّ عبد الرحمن على يدي درّي الصغير سنة ثلثة وخمسين وثلث مائة))[1].

والصندوق الثاني كبير الحجم من الخشب مطعم بالعاج طوله ١٥ ، ٣ متراً وعرضه متران وارتفاعه٣٥ ، ٢ متراً وعلى جوانبه نقوش عربية متقطعة وهي((...وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً خير حافظاً وهو العزة الدايمة والنعمة الكاملة والغبطة المتصلة والسعادة الـ قبيلة واليُمن والتأييد والنصر والتسديد والعز لصاحبه))[2].

ومن الآثار الأندلسية الأخرى قطعة من أسوار مدينة سمّورة

---

١) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٤.

٢) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القديمة أدمجت في ظهر بعض المباني الحديثة ، وتقع في جوار هذه الأسوار شوارع قديمة صاعدة نحو الكتدرائية والتي يبدو أنها تحتل مكان الجامع أو مسجد القصبة القديمة[1].

أما قلعة سمّورة فإنها تقع في أعلى جزء من الربوة ، ويطلق عليها حصن أوراكا نسبة إلى أوراكا ابنة فرديناند(فرناندو) الأول ملك قشتالة وليون(٤٢٦-٤٥٨هـ/ ١٠٣٤-١٠٦٥م) ، وكان الأخير قد أصلح قلعة سمّورة ومنحها لابنته المذكورة ، ويبدو أن حصن أوراكا قد بني فوق أسوار وأنقاض القلعة الأندلسية القديمة التي أنشأها المسلمون منذ الفتح ، وسمي أحد أبواب هذا الحصن باسم باب الخيانة لأنه فتح بخيانة حراسه في بعض المعارك التي دارت بين الملكة أوراكا وخصومها[2].

والراجح أن خطط المدينة القديمة وشوارعها الصاعدة نحو الكنيسة العظمى وما يتخللها من الدروب الضيقة والمنازل القديمة الطراز ، إنما كانت تقوم على الأغلب فوق رقعة المدينة الأندلسية متأثرة بمظهرها وطرازها[3].

---

١) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٢.

٢) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٤.

٣) عنان، الآثار الأندلسية، ص٣٥٤

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً: التاريخ السياسي والعسكري لمدينة سمّورة

كانت مدينة سمّورة قبل الفتح الإسلامي لشبه جزيرة أيبريا تحت السيطرة القوطية ومن قواعدهم المهمة ، وتمّ فتحها من قبل المسلمين أثناء فتح المدن الشمالية لشبه الجزيرة[١] ، إلا أن المصادر لم تحدد سنة فتحها ، وربما راجع ذلك إلى الفتوحات السريعة والمتواصلة عند عملية الفتح للمناطق الشمالية ، أضف إلى ذلك هو عدم معرفة المسلمين بأغلب أسماء المدن الشمالية باعتبارها بلاد أجنبية غريبة مما يصعب عليهم في بعض الأحيان ذكر أسماء المناطق التي فتحت ، والراجح أن سمّورة ومنطقتها وقعت تحت نفوذ المسلمين في عهد موسى وطارق إذ تشير إحدى الروايات أن موسى بن نصير عندما توجه إلى جليقية لاطف((مغيثا رسول الخليفة وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في الدخول إليها والمسير معه في البلاد أياما ويكون شريكه في الأجر والغنيمة ففعل ومشى معه حتى بلغ المفازة فافتتح حصن بارو وحصن لك فأقام هناك وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر))[٢] ، وقد رجح الحجي أن حصن بارو يقع في منطقة بلد الوليد[٣] القريبة من سمّورة ، كما أن حصن لك يقع إلى الشمال منها[٤] ، ومن جانب آخر تشير رواية إلى أن طارق بن زياد بلغ مدينة

---

١) عنان، الآثار الأندلسية، ٣٥٢.

٢) المقري، نفح الطيب، ١/٢٧٦.

٣) التاريخ الأندلسي، ص١٠٨.

٤) ابن الشباط، صلة السمط، ص١٥١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استرقة[1] التي تقع إلى الشمال من سمّورة مباشرة وبمقدار مرحلة[2] ، ولذلك نرجح أن فتح مدينة سمّورة كان أيام موسى وطارق وقبل مغادرتهما الأندلس سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م.

ويبدو أن هذه المدينة لم تستمر طويلاً بيد المسلمين ، إذ سرعان ما تمكن النصارى من استردادها بقيادة الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي **Alfonso Elcatolico** (١٢١-١٤٠هـ /٧٣٨-٧٥٧م) بعد أن سيطر على أهم المدن الشمالية مثل افراغة وليون وإسترقة واماية وسمّورة[3] ، لذلك عُدّ الفونسو الأول المؤسس الحقيقي للمملكة النصرانية ، لأنها توسعت وزاد نفوذها السياسي وقوتها في عهده ، إذ نفى المسلمون الذين كانوا يسكنون جليقية **Galicia** واستورقة **Asorga** عن هاتين المنطقتين إلى الجنوب[4].

ويبدو أن مدينة سمّورة كانت منطقة صراع بين المسلمين والنصارى حتى تمكن المسلمون من استردادها في نهاية عهد الفونسو الأول نفسه ، وبعد وفاته ومجيء ابنه فرويلا الأول استطاع السيطرة عليها ، فقد أشار ابن الأثير في حوادث سنة١٤٠هـ/٧٥٧م إلى أن فرويلا(يسميه تدويلية) لما ملك ((قوى أمره وعظم سلطانه وأخرج

---

١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٥.

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٧٣١/٢.

٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص٢٠٦ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١١٢-١١٣؛ طه، دراسات أندلسية، ص١٥٩ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص١٦٩.

٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المسلمين من ثغور البلاد وملك مدينة لك ، وبرطقال ، وشلمنقة ، وشمورة ، وإيلة ، وشقوبية ، وفشتيالة ، وكل هذه من الأندلس))[١] ، وهكذا استغل فرويلا الخلافات الداخلية التي نشبت بين المسلمين[٢] لتوسيع مناطق نفوذه وإحكام سيطرته على العديد من المناطق الحدودية ، وتمكن من الاستيلاء على مناطق إسلامية عدة مثل شقوبية **Segovia** وأبلة **Avila** وسمّورةوشلمنقة **Salamanca** وغيرها من المدن ، إلا أن فرويلا الأول لم يستمر طويلاً ، إذ سرعان ما قامت ثورة ضده من قبل النصارى أنفسهم وانتهت باغتياله سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م[٣].

ويبدو أنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الثالث الهجري/السابع والثامن الميلاديين عاشت مدينة سمّورة بصورة هادئة في علاقاتها مع المسلمين ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن مملكة ليون شهدت اضطراباً شديداً في الوضع الداخلي بعد وفاة فرويلا الأول ، إذ شهد الربع الثالث من القرن الثاني الهجري حكم أربعة ملوك ، وكان بعض هؤلاء يرغب في عقد تحالف مع المسلمين وخاصة سيلو **Sillo** ملك ليون(١٥٩-١٦٧هـ/٧٧٥-٧٨٣م) الذي عقد صلحاً مع المسلمين سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م[٤] ، وعند مجيء الفونسو الثاني(١٧٥-

---

١) الكامل في التاريخ، ٣٦٥/٤ ؛ ينظر أيضا : ابن خلدون، العبر، ١٢٢/٤، ١٨٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٣٠/١ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢١٢.

٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه الخلافات ينظر : ابن عذارى، البيان المغرب، ٥١/٢ وما بعدها ؛ النويري، نهاية الإرب، ٦٢/٢٢ وما بعدها.

٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢١٤.

٤) الحجي، أندلسيات، ٦٩/٢ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١٩٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤١م) أخـذت توجهاتـه تأخـذ منحـاً آخـر ، فقـد وظـف اهتمامـه بأفكـاره الدينيـة في حروبـه مـع المسـلمين في معظـم عهـده ، إذ استغل رواية أحد الرهبان في جليقية الغربية ذكر فيها أنه شاهد في أحد الأماكن نوراً سماوياً يكشف عن قبر القديس ياقب[١] ، لذلك أمر الفونسو أن تبنى فوق هذه البقعة كنيسة[٢] ، وصار قبر القديس ياقب مكاناً مقدساً لا يقل أهمية عن بيت المقدس وروما ، وتحول المكان إلى مدينة واسعة سميت شنت ياقب المقدسة[٣].

وتأتي أهمية هذه الحادثة إلى كونها محاولة إلى إثارة الانتباه حول أهميـة أسـبانيا الدينيـة بوجـود هـذا المـزار فيهـا ، ولعـل الأسـبان أرادوا اسـتثارت البابويـة لتسـتغل قدسـية هـذه البقعـة لـدعم الأسـبان ضـد المسلمين[٤] ، حتـى أن الأسـتاذ التاميرا علق علـى هذه الحادثـة وآثارها وأبعادهـا الدينيـة بقولـه: ((وقـد بعـث هـذا الاكتشـاف في النصـارى أيمـا سرور وانتظمت وفود عظيمة جاءت لتحج إلى القبر لا مـن الأراضـي الاسبانية وحدها ولكن من الخارج أيضاً ، وهكذا بدأ تيار من والمؤثرات

---

١) هو القديس يعقوب أحد حواري المسيح(u)، وتذكر الأسطورة أنه قتل بأمر من هيرود الثاني ملك بيت المقدس، وقد حمل تلاميذه جثته في موكب جاز به البحر المتوسط إلى المحيط ثم حملتهم الرياح شمالا حتى انتهوا إلى موضع قاصية جليقية ودفنت فيها، ينظر : الحميري، صفة، ص١١٥- ١١٦؛ المخلصي، تلاميذ المسيح، ص٥٦- ٦٤.

٢) لودر، أسبانيا شعبها وأرضها، ص٦١- ٦٢.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٩٤- ٢٩٥ ؛ طه، دراسات أندلسية، ص١٦٥- ١٦٦.

٤) العلياوي، العلاقة بين الكنيسة الغربية والكنيسة الاسبانية، مجلة آداب البصرة، العدد(٥٣)لسنة٢٠١٠م، ص٢٢٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأوربية في جليقية ، وكان لها أعظم تأثير في العادات والآداب))[1].

وعلى اثر ذلك بدأت أنظار المسلمين تتجه نحو مدينة شنت ياقب بدلا من مدينة سمّورة لأنها أصبحت تحث النصارى على مقاتلة المسلمين ، لذلك سار عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث سنة١٧٨هـ/٧٩٤م عن طريق الثغر الأوسط وتوغل في بلاد جليقية حتى هدم الكنيسة العظمى والكثير من حصون الفونسو[2].

ومن أجل المحافظة على المناطق الحدودية من خطر المسلمين قام ملك ليون أردونيو الأول(٢٣٦-٢٥٢هـ/٨٥٠-٨٦٦م) قام بتحصين بعض المدن فيها مثل سمّورة واسترقة تأهباً للدفاع عنها[3].

ومن جانب آخر فإن الإمارة الأموية في الأندلس شُغِلتْ هي الأخرى في عهد كل من الأمير الحكم بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) وعبد الرحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) بعدد من الثورات في منطقة غرب الأندلس منها ثورة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس سنة١٩٠هـ/٨٠٥-٨٠٦م) في مدينة ماردة استمرت سبعة أعوام[4] ، وثورة سنة٢١٣هـ/٨٢٧-٨٢٨م) والتي تزعمها كل من محمود بن عبد الجبار المصمودي وسليمان بن مارتين والتي

---

١) عنان دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢١٨.

٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٩٩.

٣) العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص٥٥.

٤) ينظر التفاصيل عن ثورة ابن وانسوس : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) ص١٨٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ١/١٦٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٧٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استمرت حتى سنة٢٢٦هـ/٨٤٠م[١] ، وقد أشغلت هذه الثورات الإمارة الأندلسية مهاجمة مناطق الثغور مع مملكة ليون في غرب الأندلس طيلة تلك المدة ، بل أن هذه الثورات تلقت التأييد والتعضيد من قبل مملكة ليون[٢] ، وهو ما دفع الإمارة في قرطبة إلى مهاجمتها بعد القضاء على تلك الثورات.

ففي سنة٢٦٤هـ/٨٧٧م حاول المسلمون استرجاع بعض المناطق التي كانت تحت حكمهم من سيطرة النصارى عليها ، إذ قاموا بمهاجمة ليون واسترقه[٣] ، إلا أنهم لم يتمكنوا من استرجاعها إذ حدثت بالقرب من مدينة سمّورة مواجهات تمكن خلالها ملك ليون الفونسو الثالث(٢٥٢-٢٩٧هـ/ ٨٦٦-٩٠٩م) من هزيمة الجيش الإسلامي ومنع تقدمه[٤] ، ويبدو أن القوات الإسلامية أرادت اتخاذ سمّورة قاعدة لتقدمها نحو المناطق الأخرى ، إلا أن يقظة القوات النصرانية منعتهم من ذلك ، وهذا يدلل على أهمية المدينة وأن تصبح منطقة صراع خلال هذه المدة.

ولا نستبعد أن خضعت هذه المدينة لحكم المسلمين فيما بعد لبعض الوقت بعد هذه الحقبة ، فقد ذكر ابن حيان أن ملك ليون

---

١) ينظر التفاصيل عن ثورة عبد الجبار المصمودي وسليمان بن مارتين : ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢ ؛ حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص٣٥- ٣٩.

٢) حمدي عبد المنعم، ثورات البربر في الأندلس، ص٣٥.

٣) ابن عذارى، البيان المغرب، ١٠٣/٢.

٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٣٦١ ؛ الحجي، أندلسيات، ٧٣/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفونسو الثالث تمكن من السيطرة علها سنة٢٨٠هـ/٨٩٣م وقام بتحصينها وأسكنها النصارى واتخذها قاعدة للإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة ، إذ قال: ((وفيها-أي سنة ٢٨٠هـ-قصد أذفونش بن أردون-الفونسو الثالث—ملك جليقية مدينة سمّورة المعطلة فبناها ومدنها وحصنها وأسكنها النصارى وعمّر ما حولها ، وكان بناتها من أهل طليطلة وعلى يد رجل من أعاجيمهم ، أنشأت أرجاؤها فعمرت من لدن هذا الوقت وكثر أهلها واتصلت عمارتها))[١] ، في حين أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: ((وفيها—أي سنة٢٨٠هـ-دخل أذفونش بن أردون مدينة سمّورة وبناها))[٢].

ولعل بناء مدينة سمّورة قد أثر على المسلمين القاطنين فيها ، فشعروا بالخطر يهددهم من قبل النصارى ، فقالوا: (قد كان أذاهم وطروقهم أرضنا من ليون كالمتولي عندنا فكيف يكون من سمّورة وقد اقتربوا منها ودبروا كيدها ، فأصابوا مقتلنا...مع إشغال أهل الثغر بالخلاف حتى انقطع الجهاد وكرت الجاهلية ، وصار أهل كل بلد من الثغور وما جاورها مضطرة إلى مسالمة المشركين وملاطفتهم ، لما بينهم وبين جيرانهم من داء الفتنة))[٣].

ويبدو أن صعوبة فتح مدينة سمّورة من قبل حكومة قرطبة

---

١) المقتبس(للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) ص١٣١.

٢) البيان المغرب، ١٢٤/٢ ؛ ينظر أيضا : مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٠٠ ؛ فيما ذكر الحميري أن ذلك كان سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، صفة، ص٩٩.

٣) العمايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخطورتها على المسلمين في الأندلس قد شجعت بعض الشخصيات أن تدعو إلى الجهاد ، وهو ما قام به ابن القط القرشي[١] سنة٢٨٨هـ /٩٠٠م وقاد حملة جهادية ضد مدين سمّورة ، بعد أن أخرج رسلا إلى جميع المناطق يدعو الناس إلى جهاد الأعداء من أهل جليقية[٢].

وكان ممن لحق به من المسلمين وهو في طريقه إلى مدينة سمّورة نفير من أهل طليطلة وطلبيرة **Tolavera** ووادي الحجارة **Gudlajara** وشنت برية واجتمعت عنده أعداد كبيرة من أهلها ، واستطاع ابن القط من دحر قوات الفونسو الثالث على نهر دويرة بالقرب من مدينة سمّورة[٣].

وقد علق ابن حيان على هذه الإحداث بقوله: ((ولما أن تلاءمت عنده–يقصد به ابن القط–جموع الثغر من البلدان... ، نهض لحشوده حتى نزل بشاطيء دويرة بالعدوة التي تلي بلد المسلمين على باب مدينة سمّورة وكتب من هناك إلى الطاغية أذفونش بن أرذون–الفونسو الثالث–ملك جليقية ، وجميع من كان اجتمع له من وجوه النصرانية كتابا مغلظا يدعوهم فيه إلى الإسلام وينذرهم

---

١) وهو أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان خرج على الأمير عبد الله بن محمد سنة ٢٨٨هـ وقتل في حملته على مدينة سمّورة في السنة نفسها، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٩٧؛ ابن حيان، المقتبس(تحقيق العربي)، ص١٥٥.

٢) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص١٥٦.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) ص١٥٧- ١٥٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٦٩/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالصاعقة ، وأمر رسوله أن يستعجل منهم جوابه ولا يتوقف عندهم ، وإن هم أبوا من مجاوبته أن يعود بالخبر إليه ،... ، فأتى رسوله أذفونش ومن معه وقد اجتمعوا له بداخل مدينة سمّورة ودفع إليهم الكتاب ، فلما قرى عليهم وترجم لهم نخروا وغضبوا ونهضوا من فورهم ذلك يريدون مكان محلته ، فتقدم الملك أذفونش في تعبئة من مدينة سمّورة حتى الوادي الكبير فقام بإزائه على الضفة التي تلي سمّورة وتعرضت خيله للحرب فطاش خيل من المسلمين ناشبتها الحرب بداخل الوادي فدارت بينهم مليا وتأججت نيرانها فما قاوموا المسلمين إلا يسيراً ، ثم انكشفوا وولوا المسلمين أكتافهم فمروا خلفهم يقتلون ويأسرون حتى أتوا على واد يقال له أردوني بقرب سمّورة ، وهو واد وعر لانخفاضه وضيق مسلكه ، أقحمهم المسلمون فيه فقتلوهم أقبح قتل وعبروا متبعين لهم وهم يقطعون إلى سمّورة ، فلما حقق المسلون عليهم النصر نكب أكثرهم عنها وجدوا في الهرب...)[1].

ويبدو أن النجاح الذي تحقق لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما أعادت قوات الفونسو الثالث الكرة مرة أخرى على ابن القط وأنصاره ، وتمكنت من قتل الأخير ودحر أتباعه ، وعلق رأسه فوق أحد أبواب مدينة سمّورة ، وعرفت هذه الحادثة بيوم سمّورة[2] ، وقد وصف ابن حيان ذلك بقوله((... ووقعت عليهم الصيحة فصحت على جميعهم

---

١) المقتبس(للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص١٥٨- ١٥٩.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م) ص١٥٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ٣٦٩/٢- ٣٧٠ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ١٨/٢- ١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهزيمة وظهر ذلك للمشركين فكروا عليهم وركبوا أكتافهم حتى أسلكوهم النهر فقتلوا منهم مقتلة عظيمة عند ازدحامهم فيه ثم عبروه في هزيمتهم والعدو يطلبهم ويرهقهم ،... ، وعلى الداعي –يقصد به ابن القط– أميرهم أنه غير ناج فشد على نفسه وهمز فرسه واستعرض العدو مقبلا عليهم بوجهه فقاتل حتى قتل هو ومن صابر معه وتغلب العدو على المحلة ، فانتسف ما كان فيها وجزوا رأس الداعي ابن القط ، فجيء به الملك أذفنش ، فأمر بنصبه على باب سمّورة ، وعظمت المصيبة بكثرة من قتل من المسلمين ، وزاد العدو استكلابا عليهم وجرأة ، وهذه الوقيعة تعرف عند أهل الثغر بيوم سمّورة ، وكانت لعشر بقين من رجب سنة ثمان وثمانين ومائتين))[1].

وعلى الرغم من الخسارة التي لحقت بابن القط وأنصاره إلا أننا نلمس تجاوب الفئات الشعبية مع دعوته إلى الجهاد ، وهذا يدلل على أن العمليات الجهادية لا تتوقف فقط على حكومة قرطبة ، أي الموقف الرسمي ، بل إن للشعب دوراً واضحاً في هذا المجال يمكن استنفاره في أي وقت تتطلب الحاجة إليه.

ويبدو أن تعرض مدينة سمّورة عدة مرات لهجمات المسلمين جعل ملك ليون الفونسو الثالث يبذل جهودا كبيرة في تحصينها ، وحشرها بالسكان والجند ، لكي تعدو سداً منيعاً لصد هجمات المسلمين ، كما قام بتحصين المدن الحدودية الأخرى مثل برغش

---

١) المقتبس(للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص١٥٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسيمانقة (شنت منكش)[1] ، أضف إلى ذلك أخذ الفونسو الثالث في توسيع حدود مملكته في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، فدفع حدودها جنوباً حتى نهر دويرة ، واختط هناك مدن وقلاع عدة اتخذها النصارى قواعد للإغارة على الحدود الإسلامية[2].

وفي عهد الخلافة الأندلسية غزا عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) مدينة سمّورة سنة٣٢٧هـ/ ٩٣٨م وحدثت تحت أسوارها مواجهة عنيفة بين القوات الإسلامية بقيادة الناصر وبين النصارى وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين وتكبدهم خسائر كبيرة[3].

وقد وصف المسعودي أحداث هذه المعركة بقوله: ((كان عبد الرحمن صاحب الأندلس... غزا سنة سبع وعشرين وثلاثمائة في أزيد من مائة ألف من الناس ، فنزل على دار مملكة الجلالقة وهي مدينة يقال لها سمّورة ، عليها سبع أسوار من عجيب البنيان ، وقد أحكمتها الملوك السالفة ، بين الأسوار فصلان وخنادق ومياه واسعة ، وافتتح منها سورين ، ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه الإحصاء وممن عرف أربعين ألفاً وقيل خمسين ألفاً وكانت للجلالقة والوشكند—البشكنس—على المسلمين ، وأخذ ما

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٣٦٤.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٣٧٨.

٣) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م)، ص٤٣٦- ٤٣٧ ؛الحميري. صفة، ص٩٨- ٩٩؛ ابن الخطيب. أعمال الأعلام، ق٢، ج١، ص٣٦-٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان بأيدي المسلمين من ثغور الأندلس مما يلي الفرنجة...))[١] ، وقد عرفت الموقعة بموقعة الخندق لوقوعها على خنادق مدينة سمّورة[٢] ، في حين ذُكرت هذه الموقعة في مصادر أخرى باسم غزوة القدرة تنويها بأهميتها وما كان بنى عليها من آمال في هزم التحالف النصراني[٣].

ويبدو أن مدينة سمّورة قاعدة مملكة ليون عاشت هادئة فيما بعد في علاقتها مع المسلمين وبخاصة في عهد ملكها سانشو(شانجة الأول)I Sancho المعروف بالسمين(٣٤٤-٣٥٤هـ/ ٩٥٥-٩٦٥م) الأمر الذي لم يرق لأشراف ليون فنجحوا في خلعه من العرش سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م[٤] ، بعد أن اتهموه بالضعف في مقارعة المسلمين وعجزه عن الدفاع عن المملكة ، فضلاً عن حجة أخرى وهي بدانته الفائقة التي تمنعه من ركوب الخيل وقيادة الجيش ، وقد اختاروا بدلاً عنه أردونيو الرابع IV Ordono المعروف بالرديء ونصبوه ملكاً على ليون ، وهو ابن الفونسو الرابع Alfonso IV (٣١٣-٣٢٠هـ/٩٢٥-٩٣٢م) وعمّ الملك المخلوع شانجة الأول وصهر الكونت فرناند كونثالث Fernan conzalez (٣١٩-٣٥٩هـ/٩٣١-٩٦٠م) أمير قشتالة ، ونتج عن ذلك فرار الملك المخلوع شانجة الأول إلى مدينة بنبلونة عاصمة البشكنس مستجيراً بجدته طوطة الوصية على مملكة نافار[٥].

---

١) مروج الذهب، ١/١٩٢- ١٩٣.

٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٣٧.

٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٥٦.

4) Atkinson، Spain abrief history ،p ،45.

٥) ابن خلدون، العبر، ١٤٣/٤ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٤٤/٢ ؛ الحجي،=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعلى إثر ذلك وطدت الملكة طوطة علاقتها مع المسلمين ، وأرسلت إلى قرطبة عدة سفارات في السنة نفسها طالبة مساعدة الخليفة عبد الرحمن الناصر لإعادة عرش حفيدها ، فقبل الخليفة ذلك ، مقابل تسليم بعض الحصون التي تقع على حدود الأندلس إلى المسلمين[1] ، ولا يُستبعد أن تكون مدينة سمّورة من ضمن تلك الحصون.

وفعلا فقد أمدّ الخليفة الناصر الملك المخلوع شانجة الأول بالمساعدات العسكرية لإسترداد عرشه ، فهاجم مملكة ليون واستطاع إخضاع مدينة سمّورة وبسط سيطرته التامة عليها سنة٣٤٨هـ/٩٥٩م ، وتبع ذلك إخضاع مدينة أوفيدو **Oviedo** سنة٣٤٩هـ/٩٦٠م ، وبذلك استرد عرشه في السنة ذاتها بعد فرار أردونيو الرابع إلى مدينة برغش **Burgos** وأسر فرناند كونثالث[2].

إن قراءة متأنية للأحداث تبرز الدور العسكري الذي تتمتع به مدينة سمّورة القاعدة النصرانية الخطيرة على الحدود الإسلامية لذلك كانت المعاهدة التي وقعها الخليفة الناصر مع النصارى هي بمثابة تحجيم لدورها ، بل خدمت المسلمين ، إذ لم نلاحظ أي صدام عسكري على أرض هذه المدينة أو أي هجوم ينطلق منها خلال مدة حكم الخليفة

=أندلسيات، ٢/ ٥٠، ٨٠.

١) ابن خلدون، العبر، ١٤٣/٤ ؛ بول، قصة العرب في أسبانيا، ص١٢١- ١٢٢.

٢) ابن خلدون، العبر، ١٤٣/٤ ؛ القلقشندي، صبح الاعشا، ٢٦٥/٥ ؛ الحجي، أندلسيات، ٨٢/٢ ؛ سالم، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص٢٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الناصر ، وعاشت هادئة فيما يبدو لبعض الوقت.

وعند وفاة الخليفة الناصر ومجيء ابنه الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) ، نقض شانجة الأول الاتفاق المبرم مع الناصر والذي ينص على تسليم بعض الحصون إلى المسلمين وهدم البعض الآخر منها ، فأرسل إليه الخليفة يطالبه بالالتزام بتعهداته السابقة وتنفيذها[1].

ويبدو أن مجريات الأمور دعت شانجة الأول إلى الالتزام بالمعاهدة السابقة بعد أن نقضها ، إذ سمع بأخبار سفارة أردونيو الرابع إلى بلاط قرطبة واستقبال الخليفة الحكم له ، لذلك داخله الخوف على عرشه ، لذلك سارع بإرسال سفارة إلى الخليفة الحكم سنة٣٥١هـ/٩٦٢م كانت تضم حاكم جليقية وسمّورة التابعين لمملكته ، معترفا بخلافة الحكم ومستعدا لتنفيذ بنود المعاهدة التي أبرمها سابقا مع الخليفة الناصر[2].

إلا أن وفاة أردونيو الرابع نهاية سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م جعل شانجة الأول يعود مرة أخرى إلى نقض المعاهدة ، وتطور الأمر أكثر من ذلك ، إذ عقد تحالفا نع جميع الحكام النصارى ضمّ فرناند كونثالث حاكم قشتالة ، وغرسيه شانجة الأول(٣١٤-٣٥٩هـ/٩٢٦-٩٦٩م) ملك نافار ، وبوريل **Borrel** حاكم برشلونة[3].

---

١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٣٢٥ ؛ الحجي، أندلسيات، ٨٢/٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٥/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٤٤/٤.

٣) ابن خلدون، العبر، ١٤٥/٤ ؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٦٥/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على إثر ذلك خرج الجيش الأندلسي سنة٣٥٢هـ/٩٦٣م بقيادة الخليفة الحكم لتفتيت التحالف النصراني ، فسار نحو قشتالة وأشرف على قلعة شنت أشتيبن المنيعة عند نهر دويرة ، فحاصرها المسلمون واستولوا عليها ، ولم يستطع حاكم قشتالة فرناند كونثالث مقاومة المسلمين فطلب الصلح ، ولكنه نكث عهده ، فهاجمه المسلمون مرة أخرى واستولوا على بلة أتينسة **Atienza** الحصينة[1].

وبعد هذا النصر وجه الخليفة الحكم حملات عدة إلى المناطق النصرانية المشتركة في التحالف ضد المسلمين ، ولا نستبعد أن تكون مدينة سمّورة من ضمن هذه المناطق ، وتمكنت القوات الإسلامية من تحقيق أهدافها ، وقد استغرقت هذه العمليات صائفتي سنتي٣٥٢ هـ و٣٥٣هـ/٩٦٣م و٩٦٤م[2].

وفي سنة٣٦٢هـ/٩٧٣م وصلت إلى قرطبة سفارة من مدينة سمّورة[3] ، كما وصلت سفارات من مناطق نصرانية أخرى[4] ، ولعل الهدف من هذه السفارات هي توثيق العلاقة بينها وبين الخلافة الأندلسية ، إلا أن المصادر لم توضح ماهية مطالبها سوى ما ذكرته من استجابة الخليفة لمطالبهم ومنحهم الهدايا.

وخلال خلافة هشام المؤيد(٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) برز محمد

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٦/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٤٤/٤.
٢) ابن خلدون، العبر، ١٤٥/٤ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق٢، ص٤٤٥ ؛ التواتي، مأساة، ص٥٧٠- ٥٧١.
٣) الحجي، أندلسيات، ٩٨/٢.
٤) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)، ص١٣٨- ١٣٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن أبي عامر الذي يعد أحد كبار الشخصيات المهمة في الدولة وصاحب القرار فيها ، وقد تميزت سياسته تجاه النصارى بطابع جهادي متميز ، وقد أحصيت حملاته العسكرية ضدهم أكثر من خمسين حملة[1] ، إذ كان يقوم بحملتين كل عام وأن معظم هذه الحملات كانت تحت قيادته المباشرة[2] ،وكانت لمدينة سمّورة حيزاً من هذه الحملات.

فقد ذكر مؤلف مجهول حملة قادها محمد بن أبي عامر وهي الغزوة السادسة إلى مدينة سمّورة وتمكن من دخولها عنوة وسبى أهلها ورجع إلى قرطبة بثلاثة عشر ألف سبية إلا أنه لم يحدد تاريخها[3] ، وقال أيضاً: إن الغزوة الرابعة عشر كانت على مدينة سمّورة ، وهي غزوة سمّورة الثانية ، إذ هاجمها وغلب عليها وانصرف بالسبي والغنائم[4] ، وقد أطلق العذري على هذه الغزوة اسم غزوة سمّورة الأولى وحدد تاريخها بسنة٣٧١هـ/٩٨١م ، إذ قال: ((وغزا محمد بن أبي عامر سمّورة الأولى ، وكانت خريفية مفردة يوم الأربعاء لعشر بقين من صفر سنة إحدى وسبعين ، ولست أيام باقية من شهر أغشت ، وعاد يوم السبت الرابع عشر من ربيع الأول

---

١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٧٧/٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٥٢/٤.

٣) تاريخ الأندلس، ص٢٢٧.

٤) م.ن، ص٢٢٨ ؛ ينظر أيضا : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٦٦- ٦٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منها إلى خمسة وعشرين يوما))[1].

وأشار أحد الباحثين إلى أن الغرض من هذه الحملة هو لتأديب ملك ليون راميرو الثالث RamiroIII (٣٥٥-٣٧٢هـ/ ٩٦٥-٩٨٢م) لتدخله في شؤون الأندلس الداخلية وإمداده القائد غالب بن عبد الرحمن بعدد من الجند الذين قاتلوا في صفه ، وقد تمكنت القوات الأندلسية من تدمير معظم القرى المحيطة بمدينة سمّورة[2] ، فيما علق دوزي على هذه الحملة بالقول: إن المنصور بن أبي عامر قصد مدينة سمّورة الحصينة وضرب حولها الحصار أوائل سنة٣٧١هـ/ ٩٨١م إلا أنه لم يستطع الاستيلاء عليها فتركها وقام بتدمير القرى المحيطة بها وهرب سكانها إلى الجبال والوديان[3].

وكانت الغزوة الحادية والعشرين للمنصور بن أبي عامر لمدينة سمّورة أيضاً ، وقد عرفت عند مؤلف مجهول باسم غزاة سمّورة ، فقد عاجلها وقاتل أهلها ثم صالحهم على دفع الأموال لقاء الانسحاب منها[4] ، وحدد العذري تاريخها بسنة٣٧٣هـ/٩٨٣م ، وعرفت عنده باسم سمّورة الثانية ، إذ قال: ((وغزا محمد بن أبي عامر سمّورة مرة ثانية ، وكانت شاتية مفردة ، يوم الاثنين لثلاث

---

١) نصوص عن الأندلس، ص٧٧؛ وينظر أيضا: ابن الأبار، الحلة السيراء، ٢١٦/١.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص١٩٣.

٣) المسلمون في الأندلس، ١١٦/٢.

٤) تاريخ الأندلس، ص٢٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ولأحد عشر يوما باقية من فبرير ، وعاد يوم الثلاثاء الخامس من شوال منها إلى ثلاثة وعشرين يوما))[1].

وعرفت الغزوة الخامسة والعشرون للمنصور بن أبي عامر عند مؤلف مجهول باسم غزوة سمّورة أيضاً ، وفتح فيها مدينة شلمنقة وحصن ليون ثم نزل على مدينة سمّورة حتى فتحها صلحاً[2] ، في حين عرفت هذه الغزوة عند العذري باسم غزاة المدائن والتي حدد تاريخها بسنة٣٧٦هـ/٩٨٦م وعلق عليها بقوله: ((وغزا محمد بن أبي عامر غزاة المدائن ، وكانت صائفة مفردة ، السبت لثمان خلون من صفر سنة ست وسبعين وثلثمائة ولأحد عشر يوما خلت من شهر يونيه ، فتح فيها شلمنقة وألبه وليون وصالح سمّورة ، وعاد يوم الأحد لتسع بقين من ربيع أول منها إلى أربعين يوما))[3].

وانفرد مؤلف مجهول عن العذري في ذكر حملة أخرى للمنصور بن أبي عامر على مدينة سمّورة ولم يحدد تاريخها قال: هي((الموفية ثلاثون غزوة سمّورة أيضاً ، حاصرها وشدّ علها القتال ، ونصب عليها المجانيق حتى فتحا عنوة ، وأخذ ما فيها من الأموال والمتاع ما لا يحصى ، ومن السبي أربعين ألف سبية ، ووجد فيها سبعة عشر حماماً ، وطول سورها الجوفي ألف وخمسمائة ذراع ،

---

١) نصوص عن الأندلس، ص٧٩.

٢) تاريخ الأندلس، ص٢٢٩.

٣) نصوص عن الأندلس، ص٨٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقبلي ألف وثلاثمائة ذراع ، والشرقي سبعمائة ذراع ، ثم انتقل إلى حصن الصور ففتحه ، وانصرف إلى قرطبة))[1].

ويرى أرسلان أن هذه الحملة حدثت في سنة٣٧٨هـ/٩٨٨م[2] ، وهو تاريخ مقبول إذا استقرأنا عدد الحملات العسكرية للمنصور بن أبي عامر بعد سنة٣٧٦هـ/٩٨٦م ، وعلى اعتبار قيامه بحملتين كل سنة.

وبعد سيطرة ابن أبي عامر على سمّورة قام بتعميرها وتحصينها في السنة نفسها(أي ٣٧٨هـ)ثم أسكنها عدداً من المسلمين سنة٣٨٩هـ/ ٩٩٩م ، وولى عليها أبا الأوس معن بن عبد العزيز التجيبي[3] ، ويبدو أنها لم تستمر بيد المسلمين ، إذ أشار ابن خلدون إلى أن معن بن عبد العزيز التجيبي كان على المغرب عند وفاة المنصور[4] ، مما يعني أن ولايته عليها لم تستمر طويلاً ، كما أن المظفر عبد الملك بن المنصور ابن أبي عامر(٣٩٢-٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م) غزاها سنة٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م ، فقد أشار ابن عذاري إلى أن عبد الملك المظفر خرج بقواته سنة٣٩٥هـ/١٠٠٤م وهي غزوته الثانية إلى مدينة سمّورة وجليقية ، إلا أنه لم يوضح أهدافها ونتائجها[5] ، مما يعني أنه لم يستطع استرجاعها.

---

١) تاريخ الأندلس، ص٢٣٠.

٢) الحلل السندسية، ٥٧/٢ ؛ ينظر أيضا : دوزي، المسلمون في الأندلس، ١٢٦/٢؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٩٤.

٣) ابن خلدون، العبر، ١٨١/٤.

٤) العبر، ٣٣/٧.

٥) البيان المغرب، ١٣/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن هذه الحملة كانت آخر حملات المسلمين على مدينة سمّورة وذلك حسب المصادر التي بين أيدينا ، وربما راجع ذلك إلى انهيار الدولة العامرية ثم الفتن والانقسامات التي أدت إلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وظهور دويلات الطوائف وهو ما أضعف من نشاط المسلمين بالتقدم نحو عمق الشمال الأسباني ، بل أن المبادرة انتقلت إلى النصارى الأسبان الذين قاموا بدفع حدود المسلمين إلى جنوب نهر تاجة وأصبحت سمّورة عند عبور المرابطين هدفا بعيد المنال.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة طركونة
من الفتح حتى السقوط
(٩٤- ٤٨٣هـ/٧١٢-١٠٩٠م)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولا:- جغرافية طركونة Tarragona التاريخية

ورد اسم المدينة في المصادر بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظة(طركونة ، أو تركونة ، أو طرقونة)[1] ، وذكر الحميري أن معنى طركونة عند أهل العلم هي: ((الأرض المشبهة بالجنة))[2] ، والجنة اسم مكان من الجنة[3] ، ويبدو أن موقع المدينة وجمالها كان له علاقة بهذا المعنى ، ومما يدلل على ذلك كان يقصدها الأباطرة الرومان للاصطياف بضواحيها الجميلة[4] ، وتذكر المصادر أنها مدينة قديمة[5] ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام[6] ، ويرجع بناؤها إلى عهد الأيبيريين ، ويقال: إن أول من

---

١) الإدريسي، نزهة المشتاق ،ج٢، ص٥٣٨ ،ص٥٥٥، ص ٧٣٤ ؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ١٢٧

ص١٦٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٢٥- ١٢٦ ؛ لودر، اسبانيا شعبها وأرضها، ص٤٠.

٢) صفة، ص١٢٦.

٣) ياقوت، معجم البلدان ،ج٥،ص٥٨- ٥٩.

٤) عنان، الآثار الأندلسية، ص ١١٨.

٥) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص ١٧ ؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص٣٢ ؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٣١.

٦) يسمي الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالمحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سكن فيها قبيلة من هؤلاء اسمها السيسيتان **cesselains**[1].

تقع مدينة طركونة في شمالي شرق شبه الجزيرة الأيبيرية ، على البحر المتوسط[2] ، وقد صنفت ضمن إقليم البرتات(البرت) والذي يضم مدينة طرطوشة **Tortosa** وطركونة ، وبرشلونة **Barcelona** ، وهذا الإقليم هو أحد الأقاليم الجغرافية الأربعة التي تتكون منها منطقة الثغر الأعلى الأندلسي[3] ، إلا أن المقري يضع جبال البرتات بين مدينتي طركونة وبرشلونة ، إذ قال: ((وأن الركن الموفى على بحر الزقاق بالمشرق بين برشلونة وطركونة في موضع يعرف بوادي (زنلقاطو) وهنالك الحاجز الذي يفصل بين الأندلس والأرض الكبيرة ، ذات الألسن الكثيرة ، وفي هذا المكان جبل البرت ، الفاصل في الحاجز المذكور))[4].

إلا أننا لا نتفق مع ما ذهب إليه المقري ، فجبال البرت(البرتات) ليست بين طركونة وبرشلونة بل هي إلى الشمال منهما ، وهي الحاجز بين الأندلس وأوربا[5].

---

١) أرسلان، الحلل السندسية ،ج٢، ص٢٦٣، ص٢٦٥.

٢) القزويني، آثار البلاد، ص ٥٤٥ ؛ الحميري، صفة، ص١٢٦؛ مجهول، تاريخ الأندلس، ص ١٣١ ؛ وينظر : دائرة المعارف الإسلامية، ج١٥، مادة طركونة، ص ١٧٨؛ البستاني، دائرة المعارف، ج١١، مادة طركونة، ص ٢٥٣.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢ ،ص٥٣٨ ؛ ولمزيد من التفصيل عن الأقاليم الثلاثة الأخرى ومدنها ينظر : السامرائي الثغر الأعلى الأندلسي، ص٥٦- ٥٧.

٤) نفح الطيب، ج١، ص١٢٨.

٥) ينظر: الخارطة، ص ١٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تبلغ مساحة طركونة ٦٤٩٠ كيلو متراً مربعاً[١] ، وهي تتوسط بين مدينتي برشلونة وطرطوشة ، إذ أن المسافة بينها وبين برشلونة خمسون ميلاً [٢] ، وكذلك إلى طرطوشة خمسون ميلاً أيضاً[٣] ، والتي تعد طرطوشة من أعمالها[٤] ، كما أن المسافة بينها وبين مدينة لاردة **Lerida** خمسون ميلاً[٥] ، وهذا يدل على أن المسافة بينها وبين المدن الثلاث برشلونة وطرطوشة ولاردة تكون متقاربة حسب ما أوردته المصادر التاريخية.

وقد تحدثت المصادر عن الطرق المؤدية إلى مدينة طركونة ، ففي النصوص التي تصف أحد أبواب قرطبة **Cordoba** المسمى باب طليطلة **Toledo** ، وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى اتجاهه إلى هذه المدينة ، وسمي أيضاً بباب رومية نسبة للمحجة العظمى أو السكة العظمى ، وهو الطريق الروماني الذي يبدأ من قادس **Cadiz** وينتهي بأربونة **Narbonne** ماراً بقرطبة واشبيلية **Sevilla** وسرقسطة **Saragosa** وطركونة[٦] ، وأشار إليه المقري بقوله: ((وباب ابن عبد الجبار وهو باب

---

١) أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص٢٥٥.

٢) الحميري، صفة، ص٤٢. والميل يساوي ٢كم، هنتس، المكاييل والأوزان، ص٩٨.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق ،ج٢،ص٥٥٥؛ الحميري، صفة، ص١٢٤ ؛ ويذكر ياقوت أن المسافة بين طركونة وبين كل من برشلونة وطرطوشة تساوي سبعة عشر فرسخاً. ينظر : معجم البلدان، ج٤، ص٣٢.

٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٠، هامش (١) ؛ ياقوت، م.ن، ص٣٢.

٥) الحميري، صفة، ص١٢٥.

٦) م.ن، ص ٥٦ ؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص٣٠٢- ٣٠٣ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طليطلة ، وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة الرصف التي تشق دائرة الأرض من جزيرة قادس إلى قرمونة **Carmona** إلى قرطبة إلى سرقسطة إلى طركونة إلى اربونة مارة في الأرض الكبيرة))[١].

ومن الجدير بالذكر أن الجغرافي الأندلسي أبو بكر الرازي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) عد مدينة طركونة كورة[٢] ،فيما لم يشر إلى ذلك معظم الجغرافيين العرب ، فالمقدسي عند كلامه عن الأندلس ومدنها ، عد قرطبة كورة ثم توقف عن أطلاق ذلك على باقي مدن الأندلس[٣] ، ويبدو هنا أن المقدسي عد طركونة مدينة وليست كورة ، أما ابن حوقل فأنه عند كلامه عن مدن الثغر الأعلى الأندلسي فأنه عدها كلها مدناً وليست كوراً[٤] ،وكذلك البكري[٥] ، وياقوت الحموي[٦] ، والحميري[٧] ، فضلاً عن أبي الفداء الذي وصفها بقوله: ((وهي أخر مدن الأندلس الساحلية بشرقيها

---

١) نفح الطيب، ج١، ص٤٦٥.

٢) أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص٤٠ (عن الرازي) والكورة هي :- تعبير تمدني استخدمه الجغرافيون العرب للدلالة على مناطق جغرافية أوسع من المدينة، وقال ياقوت الحموي،هي (كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها)، معجم البلدان، ج١، ص٣٦- ٣٧.

٣) أحسن التقاسيم، ص١٩٤.

٤) صورة الأرض، ص١١٦- ١١٧.

٥) جغرافية، ص٦١- ٦٢.

٦) معجم البلدان، ج٤، ص٣٢.

٧) صفة، ص١٢٥- ١٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وجنوبها))[١] ، وإلى ذلك ذهب ابن غالب[٢] ، والقزويني[٣].

يمكن أن نستنتج مما سبق أن طركونة مدينة وليست كورة لاتفاق أكثر المصادر التاريخية على ذلك.

إن موقع المدينة البحري ، قد جعل بعض الأنهار تمر بأرضيها ، إذ ضمت منطقة الثغر الأعلى حوض نهر الابرو **Ebro** وعدة أنهار أخرى أصغر منه تنحدر نحو الشرق والجنوب الشرقي وتصب في البحر المتوسط[٤] ، فنهر الابرو بعد أن يلتقي بنهر شيقر **Jucar** يخترق الجبال في جنوبي طركونة ويتوجه إلى البحر المتوسط ، ليصب فيه[٥] ، ويمثل حوض نهر الابرو منخفضاً تفصله عن سواحل البحر المتوسط تلال قطلونية وبين هذه التلال وساحل البحر المتوسط شريط ساحلي تقع فيه المدن طرطوشة وبرشلونة وطركونة أهم مدن الثغر الأعلى البحرية ، ويفصل هذا المنخفض عن بلاد الفرنجة جبال البرتات التي تعد الحاجز الطبيعي الذي يفصل الأندلس عن أوربا[٦].

كما أن المسافة من مدينة طركونة غرباً إلى مصب نهر الابرو تبلغ٤٠ ميلاً وهذا الوادي هنا يتسع سعة كثيرة[٧] ، ولعل ذلك

---

١) تقويم البلدان، ص ١٨٢ - ١٨٣.

٢) فرحة الأنفس، ص١٧.

٣) آثار البلاد، ص٥٤٥.

٤) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٤.

٥) أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص٢٥٦.

٦) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٤٥- ٤٦.

٧) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صحيحاً لأن طركونة تقع على ساحل البحر المتوسط مباشرة ، وبذلك فأن عرض مصب النهر يزداد كلما توجهنا نحو الخارج ، وقد جعل منها ذلك الموقع ميناء صالحاً للملاحة ويمكن التحكم في مداخله و مخارجه عند الحاجة ، كما حولها إلى أحد ثغور الأندلس البحرية في الشمال الشرقي.

ومن موقع هذا النهر إلى رابطة كشطالي غرباً على البحر١٦ ميلاً وهي رابطة حصينة ومنيعة على البحر المتوسط ، ومن هذه الرابطة إلى قرية يانه قرب البحر٦ أميال ومنها إلى حصن بنشكله٦ أميال[١] ، وقد وصفه الحميري بقوله: ((... ، بالقرب من مدينة طركونة حصن يدعى بنشكله ، وهو حصن منيع على ضفة البحر ، وهو عامر أهل ، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة ، وبه عين ثرة تريق في البحر...))[٢].

ومن الأنهار الصغيرة التي تصب بالقرب من مدينة طركونة نهر فرنكولي **Francoli** الذي تقع عند مصبه طركونة والتي جلبت اليها المياه أيضاً بواسطة القنوات المشهورة بها هذه المدينة من وادي غاية **Gaya** الذي يصب في البحر المتوسط شمالي هذه المدينة[٣].

إن توفر المياه بوجود نهر الابرو وروافده ، قد ساعد على قيام الزراعة في منطقة الثغر الأعلى ، ومنها مدينة طركونة ، فقد اشتهرت هذه المدينة بإنتاج الحبوب وخاصة القمح والشعير ، وعدت هذه الحبوب

---

١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٥٥.

٢) صفة، ص٥٦.

٣) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٤٤- ٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المواد الأساسية التي يخزنها السكان في سراديب خاصة تكون مؤونة لهم عند الحاجة[١] ، وقد أوضح ذلك القزويني بقوله: ((تحت مدينة طركونة سراديب واسعة ، وفيها بنيان كثيرة ، قال حدثني شيخ مسن يقال له ابن زيدان أنه نزل في هذا البنيان ، فضل فيها هو وأصحابه ثلاثة أيام ، فوجد بيوتاً مملؤة قمحاً وشعيراً من الزمان الأول ، وقد تغير لونها ، ولولا ضوء رأوه في اليوم الثالث ما خرجوا أبداً))[٢].

ويبدو أن هذه المدينة كانت قاعدة عسكرية للدفاع والهجوم ضد نصارى الشمال وبلاد الفرنجة ، فضلاً عن أنها كانت مركزاً لكثير من حركات التمرد والعصيان ضد العاصمة ، وعلى ما يبدو أن جيوش السلطة كثيراً ما تفشل في فتح مثل هذه المدن الثائرة ، إذ كانت تغلق أبواب أسوارها وتقتات على ما هو مخزون من الطعام فيها[٣].

كما أن كثرة إنتاج الحبوب قد ابتكر وجود الارحاء وهي آلة تدار بالماء لطحن الحبوب عند هبوب الرياح[٤] ، وقد علق الحميري على ذلك بقوله: ((... ، ومن الغرائب بطركونة ارحاء نصبها الأول ، تطحن عند هبوب الريح وتسكن بسك ،...))[٥].

وتكثر في مدينة طركونة بساتين الفاكهة فمؤلف مجهول قال عنها: ((... ، وبها من الجوز واللوز والقسطل والفستق والعنب ما لا

---

١) القزويني، آثار البلاد، ص٥٤٥؛ الحميري، صفة، ص١٢٦.
٢) آثار البلاد، ص٥٤٥ ؛ وينظر: الحميري، م. ن، ص١٢٦.
٣) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٥٨.
٤) مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٣١- ١٣٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٠٢.
٥) صفة، ص ١٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحصى ،...))[1] ، وقد تميزت الأعناب بكبر الحجم ، وإمكان الاحتفاظ بها معلقة مدة طويلة[2] ، كما انتشرت حول سهولها بساتين الزيتون[3] ، كذلك أشادت المصادر بجودة عصيرها ، فقد أشار مؤلف مجهول بقوله: ((... ، وعصيرها لا يحتاج إلى عسل ولا نار))[4].

كما جعل موقعها البحري من أهلها صيادين مهرة ، ويبدو أنها تشكل الحرفة الرئيسة للسكان[5] ، واشتهرت أيضاً بصناعة السفن وذلك لتعدد موانئها[6].

وتحدثت المصادر عن وجود المعادن في طركونة ، وخاصة الرخام ، فقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: ((... ، وهي أكثر البلاد رخاماً محكماً ،...))[7].

أما بالنسبة للوضع الإداري للمدينة ، فقد قام الإمبراطور الروماني دقلديانوس **Diocleetian**(٢٨٤- ٣٠٥م) في نهاية القرن الثالث الميلادي ، بتنظيم ولايات شبه الجزيرة الأيبيرية ، فأصبحت أسبانيا ديقونية(أي عملاً كبيراً أو ولاية عظيمة) تابعة إلى مديرية غاله **Caul** ، وقسمت إلى ست ولايات ، وقد جعل مدينة طركونة

---

١) تاريخ الأندلس، ص١٣٢.
٢) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٥٩.
٣) أرسلان، الحلل السندسية ،ج٢،ص٢٠٠، ص ٢٦٨.
٤) تاريخ الأندلس، ص ١٣٢.
٥) أرسلان، الحلل السندسية ،ج٢، ص٢٧٠.
٦) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٦١ ؛ سالم، تاريخ مدينة المرية، ص ٣٦.
٧) صفة، ص ١٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عاصمة الولاية الرابعة وهذه الولايات الستة هي:-

١-باطقة Baetica كانت عاصمتها قرطبة Cordoba.

٢-لشدانية Lusitania كانت عاصمتها ماردة Merida.

٣-جليقية الاشتوريش Gallaecia كانت عاصمتها براقرة Braga.

٤-الولاية الطركونية Torraconesis التي ضمت مدن برشلونة Barcelona وسرقسطة ، ووادي الابرو ، وسفوح جبال البرت ، وما يعرف الآن ببلاد الباسك وشرقي كانتبرية Cantabria وكانت عاصمتها طركونة Tarragona.

٥-الولاية القرطاجنية Carthaginensis التي تمتد من شاطئ البحر المتوسط إلى عمق الداخل ، وتضم معظم مركز الميزيتا ، وكانت عاصمتها قرطاجنه Cartagena

٦-وقد أضيفت إلى ولايات شبه الجزيرة هذه ولايتان أخريان ، هما ولاية موريطانيا الطنجية Mauritania tingitania والجزائر الشرقية Balearec Laslslas[١].

واستمر هذا التقسيم الإداري في إثناء العهد القوطي ، وحتى بعد الفتح العربي الإسلامي لشبه جزيرة ايبيريا ، وأن هذا التقسيم وبعض أنماط الإدارة الرومانية الأخرى ظلت باقية مع بعض التغيرات البسيطة ، ويبدو أنه لا توجد معلومات كافية لتوضيح أي تقسيم إداري إسلامي في الأندلس ، وربما أن المسلمين قد وجدوا نظاماً

---

١) طه، الفتح والاستقرار، ص٧٠- ٧١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إدارياً جيداً معمولاً به في البلاد ولا يستلزم إعادة تنظيمه[1].

كما وصف البكري التقسيم الإداري الروماني الأخير لدقلديانوس على الرغم من أنه ينسبه خطأ إلى أوغسطين **Augustus** ، فيسميه بقسمة قسطنطين[2] ،وأن هذا الوصف يشابه إلى درجة كبيرة تقسيم دقلديانوس الأصلي ، ولكن البكري وضع مدينة طركونة في الجزء الثالث وأضاف اليها مدناً لم تذكر في التقسيم السابق ، والجزء الثالث يشمل مدينة طركونة وأضاف إليها مدينة سرقسطة وشقة **Huesca** ولاردة وطرطوشة وتطيلة **Tudela** وأعمال بلد ابن شانجو كلها وبلد بلياريش **Pallars** وبرشلونة وجرندة **Gerona** ومدينة ابنوريش **Apenones** ومدينة بنبلونة **Pamplona** ومدينة أوقه ومدينة قلهرة **Calahorra** ومدينة طرسونة **Tarazona** ومدينه امايه **Amaya**[3].

ومن جانب آخر ، فأن معلومات البكري عن التقسيم الروماني تنطبق تماماً من حيث الأجزاء على تقسيم الكنيسة المسيحية في أسبانيا ، فالولايات المدنية الست التي أشار اليها البكري وهي اربونة ، جليقية ، طركونة ، طليطلة ، ماردة ، إشبيلية ، كانت في الوقت نفسه ، مديريات كنسية ، والمدن الرومانية ، أو بعضها كانت مراكز ديقونياتها وكان يتوزع على هذه الولايات اثنان وثمانون

---

١) طه، الفتح والاستقرار، ص٧١.

٢) جغرافية، ص٥٩- ٦٤؛ وينظر : طه، الفتح والاستقرار، ص٧١.

٣) جغرافية، ص٦١- ٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسقفاً[1] ، لهذا تعد هذه المدن مراكز الأسقفيات الدينية ، فضلاً عن كونها في الوقت نفسه مراكز الإدارة المدنية للولايات[2].

أما كراسي المطرانيات فكانت هي عواصم الولايات التي ذكرها البكـري وهـي: أربونـة ، جليقيـة ، طركونـة ، طليطلـة ، مـاردة ، واشبيلية[3] ،وفي العهد الإسلامي خرجت اثنتان من هذه الولايات عن نطاق الأندلس ، وهما جليقية واربونة ، وبقيت اشبيلية ومـاردة وطركونة وطليطلة وقد استبدل المسلمون عاصمة ولاية اشبيلية بقرطبة ، وولاية طركونة بسرقسطة[4].

أما النظام القضائي ، فكان يقسم كل ولاية إلى١٤ دائرة قضائية يكون مرجعها مدينة مهمة في الولاية[5].

لقد كانت كل ولاية في العهد الروماني تحكم من قبل دوق **Duke** ، ويعد الرئيس الأعلى للسلطة المدنية والعسكرية في الولاية ، وكان للمدينة أهمية كبيرة في هذا العهد ، لأنها كانت الأساس الذي قام عليه التنظيم الإداري والسياسي الروماني ، وقد شكلت المدينة والحرز ، أو الزمام الذي يحيط بها ، بلدية خاصة بها ، وكانت مشيخة البلدية ، مكونة من مواطني المدينة البارزين المعروفين باسم **Curiates** ،

---

١) طه، الفتح والاستقرار، ص٧٢.

٢) طه، دراسات أندلسية، ص١٢٩.

٣) البكري، جغرافية، ص٥٩- ٦٤.

٤) مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٧.

٥) عطية الله، موسوعة دائرة المعارف الحديثة، ج١، ص ٢٢٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وهم المسؤولون عن إدارة المدينة والمناطق الريفية المعتمدة عليها ، إلا أنه بعد انحلال الإدارة البلدية ، انيطت أعمال المشيخة بالكونتات[1].

وكان الكونت رئيساً للدائرة الإدارية في مدينته ، وهو يعين من قبل الملك ، ويمتلك ثروة كبيرة ، وينتسب إلى أصل نبيل ، وكان الكونت ومساعده **Vicar** مسؤولين عن إدارة القضاء ، وجمع الواردات الملكية ، وضرائب الدولة ، واستدعاء الجند ضمن دائرة ال **Territorium** أي المدينة وما حولها ، وهي التي حلت محل الوحدة الرومانية للإدارة المحلية ، وكان القرويون يتبعون الكونت ومساعده مباشرة ، أما كبار ملاكي الأراضي وأصحاب المقاطعات الكبيرة ، فكانوا يتمتعون بالاستقلال عن المسؤولين الرسميين المحليين ، وأن هؤلاء الملاك كانوا يمارسون سلطتهم على موظفيهم ووكلائهم والقرويين الذين يعيشون في مقاطعاتهم ، والذين غالبا ما كانوا تحت حمايتهم[2].

لقد شكل اليهود طبقة أخرى من طبقات المجتمع في شبه جزيرة ايبيريا قبل الفتح العربي الإسلامي لها ، إذ كانوا ينتشرون في المناطق المتقدمة من البلاد وبشكل خاص في العاصمة طليطلة وفي غرناطة واليسانه **Lucena** وبيانه **Baena** ، وعلى سواحل البحر المتوسط ولاسيما في منطقة طركونة[3] ، ولهذا أطلقت على هذه

---

١) طه، الفتح والاستقرار، ص٧٢.

٢) م. ن، ص٧٢- ٧٣.

٣) لمزيد من التفاصيل عن تواجد اليهود في هذه المناطق ينظر :؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢- ١٦٩؛ الحميري، صفة، ص١٣٤ ؛ مصطفى، المدن في الإسلام، ج٢، ج٣٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدينة تسمية مدينة اليهود[1].

ويبدو أن أحوال هؤلاء اليهود في كل المدن والمناطق التي كانوا يعيشون فيها ، كانت سيئة للغاية ، بسبب الاضطهاد الذي تعرضوا اليها وبخاصة أثناء سيطرة القوط الغربيين على معظم شبه جزيرة أيبيريا[2] ، وعلى ما يبدو أن هذه الأعمال التي مورست ضدهم كانت من الأسباب الرئيسة نحو الترحيب بالفتح العربي الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا.

تمتعت مدينة طركونة بمجموعة كبيرة من الآثار القديمة ، يرجع أغلبها إلى العهد الروماني ، وربما يعود ذلك إلى طول بقائهم في هذه المدينة ، باتخاذها مركزاً من مراكز السيطرة الرومانية في شبه جزيرة ايبيريا ، ومن ثم أصبحت قصبة[3] الولاية الرومانية المعروفة باسم الولاية الطركونية[4].

ومن هذه الآثار الأسوار الرومانية ، وهي أسوار ضخمة عالية مشيدة بأحجار كبيرة ، وليس بها أبراج ، ويبلغ طول هذه الأسوار نحو كيلو متر[5] ، ويذهب البعض بأن طولها هو٤٠ ميلاً[6] ، ويوجد في طركونة

---

١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٥٥.

٢) طه، دراسات أندلسية، ص١٣٢.

٣) القصبة معناها جوف القصر، وقصبة البلد مدينته والقصبة:- هي جوف الحصن يبني فيه بناء هو أوسطه وقصبة القرية وسطها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص ٩٥.

٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٥، مادة طركونة، ص ١٦٨.

٥) عنان، الآثار الأندلسية، ص ١١٨.

٦) لودر، اسبانيا شعبها وأرضها، ص ٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضاً عدة هياكل منها الهيكل العظيم الذي بناه الإمبراطور الروماني أوغسطين قيصر سنة٢٦ق. م لعبادة آلهة روما[١] ، كذلك وجد فيها القصور ومشاهد للتمثيل وملاعب للخيل وحمامات وهي من أفخم وأضخم المباني الرومانية[٢] ، فقد بلغ ثخن الجدار خمسة أو ستة أمتار ، وطول الحجارة أربعة أمتار وعرضها مترين[٣] ،ولعل اتخاذ هذه القياسات من قبل الرومان هو لجعل المدينة حصناً منيعاً ضد هجمات القبائل البربرية في تلك الحقبة الزمنية.

ومن جملة مباني طركونة المشهورة القناة الرومانية المعلقة ، وقد جلب الماء إلى هذه القناة من وادي غاية **Caya** وهذه القناة طبقتان أدناها ذو١١قوساً وأعلاها ذو٢٥قوساً ، وطول الطبقة الأولى٧٣متراً ، وطول الطبقة الثانية٢١٧متراً ، ومجرى المياه من رأس نبعها طوله٣٥كيلو متراً[٤].

وهناك بعض الآثار ترجع إلى عهد اليونان[٥] ذكرتها المصادر

---

١) أرسلان، الحلل السندسية، ج١، ص ١٥٩.

٢) م.ن، ص١٠٨، ص٣٠٤.

٣) م.ن ،ج٢ ص ٢٦٥ هامش (١).

٤) م.ن، ج١، ص٣٦١، ج٢، ص ٢٦٧.

٥) إن اليونانيين جاءوا الى السواحل الاسبانية من جهة البحر المتوسط، ويبدو أن ذلك ما بين سنة ٦٣٠ وسنة ٥٧٠ ق. م، ولم ينحصر تبسطهم في سواحل البحر المتوسط، بل اخترقوا بحر الزقاق، وامتدوا الى سواحل جليقية وكنتبرية، ومع هذا فأكثر ما كانت لهم مستعمرات في السواحل الشرقية التي تدعى قطلونية الى بلنسية ودانية، ومن هذه المستعمرات كانوا يتقدمون الى الداخل لأجل=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التاريخية بشكل مقتضب فأشارت إلى أن((في الأندلس آثار عظيمة لليونانيين... ، وكان من ملوكهم الذين اثروا الآثار بالأندلس هرقلش[1] ، وله الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والأثر في صنم طركونة الذي لا نظير له))[2].

أما آثار المسلمين في مدينة طركونة فيبدو أنها ترجع إلى عهد الخلافة الأندلسية ومنها مسجد طركونة الجامع الذي بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢- ٩٦١م)سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م وهو يقع في وسط المدينة ، ومما يدلل على هذا المسجد وجود محراب رخامي صغير يبلغ طوله نحو متر وربع وعرضه نحو ثمانين سنتمتراً ، وقد ثبت في مكان عال ، وفي إفريز عقده من الجانبين ومن أعلى كتابة كوفية ، وهذا نصها: ((بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله عبد الرحمن أمير المؤمنين أطال الله بقاه مما أمر بعمله على يدي جعفر فتاه ومولیه سنة تسع وأربعين وثلث مائة))[3].

=التجارة مع الأيبيريين ينظر : أرسلان، م.ن، ج١، ص ١٥٨.

١) هو هرقل، إمبراطور بيزنطة للحقبة من سنة ٦١٠- ٦٤١م، وقد شهد عهده خوضه الحرب ضد الفرس. ينظر : العريني، الدولة البيزنطية، ص ١١٥ – ١٢٩.

٢) البكري، جغرافية، ص ٧٠ ؛ الحميري، صفة، ص٣ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٢٦.

٣) عنان، الآثار الأندلسية، ص ١١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً :- التاريخ السياسي لمدينة طركونة

مرت مدينة طركونة بعدة تيارات سياسية خضعت لحكمها ، ابتدأت بالأيبيريين[1] ، ومن ثم الرومان سنة٢١٨ ق.م[2] ، ومن بعدهم القوط سنة٤٧٥م ، وانتهت بالمسلمين[3].

بعد الفتح الإسلامي لمدينة سرقسطة سنة٩٤هـ/٧١٢م من قبل القائدين موسى بن نصير[4] وطارق بن زياد[5][6] ، سار القائدان نحو

---

١) بنيامين التطيلي، رحلة بنيامين، ص٤٩، هامش(٣).

٢) دخل الرومان الحرب إلى جانب اليونانيين ضد دولة قرطاجنه، فبعد أن جاء اليونانيين الى منطقة قطلونية على حساب الفينيقيين وتمكنوا من إنشاء مستعمرات على شواطئ البحر المتوسط وبخاصة في مدينة برشلونة، وعندما عظمت دولة قرطاجنة في القرن الثالث ق. م، زاحموا اليونانيين وانتشروا في برشلونة، ولما كان الرومانيون خلفاء لليونانيين لم تلبث أن نشبت الحرب بين الرومان والقرطاجنيين، ولهذا أرسل الرومان في سنة ٢١٨ ق. م القائد سيبيون Scipion ورفاقه بأسطول الى مياه امبوريون ثم طركونة، ودارت الحرب بين القرطاجنيين والرومان، فأنهزم سيبيون ورفاقه، وفي طركونة نفسها عاد الرومانيون وحشدوا لقتال القرطاجنيين، وصارت هذه البلدة قاعدة للرومان ومن أعظم مستعمراتهم ومنها امتدوا وانتشروا في شبه الجزيرة الأيبيرية. ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص ٢٠٠- ٢٠١، ص ٢٦٥.

٣) م. ن، ج١، ص ١٠٨، ج٢، ص ٢٦٥.

٤) وهو من التابعين والي شمال إفريقيا، عبر إلى الأندلس سنة ٩٣هـ / ٧١١م، لإتمام عملية الفتح، غادر الأندلس سنة ٩٥هـ / ٧١٣م، وترك ابنه عبد العزيز والياً عليها. ينظر : ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٣٢- ٣٣٤ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٧١- ٢٧٢.

٥) وهو من القواد المشهورين بحسن القيادة، كان والياً على مدينة طنجة من قبل أمير إفريقيا موسى بن نصير وأوعز إليه بالعبور الى الأندلس وفتحها، وكان عبوره سنة ٩٢هـ/٧١٠م. ينظر: المراكشي، المعجب، ق١، ص ٣٢.

٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢،=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدن إقليم قطلونية وهي طرطوشة وطركونة وبرشلونة وجيرونة ، وقد فتحت هذه المدن مباشرة بعد فتح مدينة سرقسطة[١].

ويبدو أن الجيوش الإسلامية سارت من مدينة لاردة إلى مدينة طركونة ، على ساحل البحر المتوسط ، وجعلت منها قاعدة مهمة لإرسال الحملات العسكرية لفتح المدن القريبة منها ولا سيما مدينة جيرونة في الشمال ومدينة طرطوشة في الجنوب[٢] ، وعلى ما يبدو أن مدن إقليم قطلونية قاومت الجيش الإسلامي وخاصة المدن الواقعة على البحر دون أن تذكر المصادر القديمة اسمها[٣] ، ولا يستبعد أن تكون مدينة طركونة أحدى أوجه المقاومة ضد الجيش الإسلامي لوقوعها على ساحل البحر مباشرة.

وقد استطاع القائد موسى بن نصير بخبرته العسكرية أن يفتح هذه المدن ، إذ قام بتوزيع الجيش على جهات المدينة المقاومة ، كما أنه زاد من حماس جنده من خلال تقدمه أمام الجيش مستأثراً بالخطر دون أصحابه[٤].

لم تشر المصادر التاريخية إلى سنة فتح طركونة ، ولكن يبدو أن

=ص ١٩ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٧٣. ٢٧٤ ؛ العمايرة، مراحل، ص ٢١- ٢٢.

١) مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٩ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٧١ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٦.

٢) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٧.

٣) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٩٢- ٩٣ ؛ وينظر : السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٧٨.

٤) ابن قتيبه، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ٩٣ ؛ وراجع التفاصيل: ابن القوطية، تاريخ، ص ٢١٢- ٢١٣؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص ١٦- ١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك كان عند فتح المسلمين لمنطقة الشمال الشرقي للأندلس ، وقد ذهب أرسلان إلى أن سنة٩٤هـ/٧١٢م تأريخاً عاماً لافتتاحها[١] ، بينما ذهب البعض إلى اعتبار افتتاح مدينة طركونة في سنة١٠٦هـ/٧٢٤م[٢] ، ونحن لا نتفق مع تحديد التأريخ الأخير لفتحها ، لأنه من الخطأ أن يترك المسلمون هذه المدينة بدون فتح إلى هذا التأريخ ، لأنها ستكون مصدر قلق للمسلمين وذلك لوقوعها على البحر ، ولا نستبعد أن تصل الإمدادات عن طريق هذه المدينة للنصارى لمقاومة المسلمين.

بعد أن فتح إقليم قطلونيه تعب المسلمون من طول الجهاد ورغبوا في الراحة ، وقد نقل رغبتهم هذه حنش الصنعاني[٣] إلى القائد موسى بن نصير بقوله: ((سمعتك أيها الأمير تقول حين فتحت طنجة لم يكن لعقبة ولا لأبي المهاجر من ينصحهما حتى أتيت أنصحك اليوم ، فأرجع ، فقد توغلت بالمسلمين))[٤] ، ويبدو أيضاً أن الخليفة الوليد بن عبد الملك(٨٦ـ٩٦هـ/٧٠٥ ـ٧١٤م) ، خشي أن يعبر موسى بقواته إلى أوربا وربما يؤدي بالمسلمين إلى المهالك ، ولهذا فقد أرسل

---

١) الحلل السندسية، ج٢، ص ٢٦٥، ص ٢٨٠.

٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، مادة طركونة، ص ١٦٨.

٣) حنش الصنعاني: نسبة الى قرية صنعاء دمشق، عاصر الإمام علي(ع)، وقدم مصر بعد مقتله وشارك في فتح الأندلس وكان أول حاكم مسلم لمدينة سرقسطة، ولقب مهندس المساجد، توفي سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م، ودفن عند باب القبله في سرقسطة وقيل دفن في قبله الجامع أمام المحراب، وقيل توفي بإفريقية. ينظر للتفاصيل:- ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٩. ١- ١١١؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٧، ص٢١٩.

٤) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقيا والمغرب، ص٨٠ - ٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسولاً إلى القائد موسى ليحثه بالرجوع ويمنعه من الاستمرار في الفتح[1].

ولكن القائد موسى بن نصير لم يستجب لكلا الأمرين ، وقد استمر الجيش الإسلامي في عملية التوغل في الشمال الاسباني وتمكن موسى وطارق من إتمام فتح الأندلس باستثناء بعض الأجزاء من اشتوريس[2] وجليقية[3] ، التي لم يتعرفا على طبيعتها الجغرافية فأكتفيا بأخذ الجزية من أهلها[4].

وفي هذه الإثناء أرسل الخليفة الوليد رسولاً أخر إلى موسى يحثه في الرجوع إلى الشام ، فقرر موسى العودة استجابة لأوامر الخليفة[5].

إن السياسة التي اتبعها القائدان موسى بن نصير وطارق بن زياد في وضع الحاميات العسكرية في المناطق التي يتم فتحها من أجل

---

١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٢٥٥

٢) منطقة تقع في شمال غرب شبه جزيرة أيبيريا، ويبدو أنها كانت تابعة لمنطقة جليقية وفيها جبال وعرة ومناخها قاس. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ١٧٦.

٣) مدينة تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة ايبيريا وتحاذي حدودها من جهة الغرب ساحل المحيط الأطلسي وخلي بسكاية من جهة الشمال وتجاورها من جهة الشرق والجنوب بلاد البشكنس الغربية، ومدينة ليون، ومن أشهر مدن هذه المنطقة مدينة شنت ياقب، ولك، واشتوريس، وايبط، وأقش وغيرها. ينظر: الحميري، صفة، ص ٦٦- ٦٧.

٤) ابن القوطية، تاريخ، ص ٣٥- ٣٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢٧١.

٥) مجهول، أخبار المجموعة، ص٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٣- ٢٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحفاظ على المكتسبات التي تحققت[1] ، استطاعت من أن تحد من طموحات بعض رجالات الأسر المتنفذة للوصول إلى السلطة في تلك المناطق ومنها مدينة طركونة ، إلا أنه وبالرغم من ذلك نلاحظ حدوث بعض التمردات ، ففي عهد الوالي السمح بن مالك الخولاني(١٠٠-١٠٢هـ/٧١٨-٧٢٠م) ، حدث أن تمرد أكويلا(أخيلا) وهو أحد أبناء الملك غيطشة[2] والذي حاول الوصول إلى العرش ليحكم هذه المدينة ، وقد استطاع الوالي السمح القضاء على حركته وإخضاع المدينة لحكم المسلمين[3].

وبعد مقتل السمح بن مالك الخولاني في وقعة طولوشة سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م[4] ، حاول أكويلا التمرد ، وقام بثورة مرة أخرى ، وقد تصدى له الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي(١٠٣-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٥م) ،

---

١) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص ١٦ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٤.

٢) هو ملك القوط الغربيين، تولى العرش سنة٨١ هـ / ٧٠٠م، وقد شهد عهده حدوث بعض الاضطرابات والمؤامرات ومن ضمنها تآمر أهله عليه، واستطاعت زوجته أن ترغمه على تعيين ابنها الصبي (أخيلا) حاكماً على طركونة واربونة، توفي غيطشه في أواخر سنة٩٠هـ / ٧٠٨ م أو بدايات سنة٩١هـ/٧٠٩م. ينظر : مؤنس، فجر الأندلس، ص١٢- ١٥؛ سالم، تاريخ المسلمين، ص ٥٨- ٥٩.

٣) ابن القوطية، تاريخ، ص٢٨- ٣٠ ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٠٦.

٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٢٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٣٥ ؛ طرخان، المسلمون، ص١٤٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتمكن هذا الوالي من القضاء على هذا التمرد ، وقد استسلم أكويلا وانتقل بعدها إلى طليطلة فأقام بها ، ولم يحاول الثورة بعد ذلك[١].

استطاع الوالي عنبسة بن سحيم تهدئة الأمور في مدينة طركونة وبقية مناطق الأندلس قبل السير الى بلاد الفرنجة سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م[٢].

قام الوالي عنبسة بعدة حملات عسكرية نحو بلاد الغال (الجنوب الفرنسي) ، وتمكن من أسر أعداد كبيرة منهم[٣] ، وربما كانت مدينتا طركونة وبرشلونة ، مراكز لتجميع الأسرى الذين يقوم الجيش الإسلامي بأسرهم ، ومن ثم يفرقون الى سائر أنحاء الأندلس[٤] ، فضلاً عن أن هذه المدن كانت قواعد عسكرية يكمن المسلمون فيها عند طلب الفرصة في الغزو[٥].

ويبدو فيما بعد أن طركونة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصر الولاة وبداية عصر الإمارة ، وليس لدينا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أو البربرية ، ولكن بشكل عام فأن بعض المصادر أشارت الى أن بعض القبائل العربية سكنت في الشمال الشرقي من الأندلس

---

١) ابن القوطية، تاريخ، ص٢٨؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٠٦ – ٥٠٧؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص١٢٨.

٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٨٥.

٣) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ٧٣؛ طرخان، المسلمون، ص ١٤٤.

٤) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ، ص ١٢٩.

٥) الحميري، صفة، ص ١٢٦ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ١٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتي تقع ضمنها طركونة ، فابن حزم أشار الى أن بعض قادة قبيلة بني تجيب وهما عميرة بن المهاجر التجيبي وأخوه عبد الله بن المهاجر قد استقرا هما وأتباعهما في الشمال الشرقي من البلاد أثناء عملية الفتح الإسلامي الأولى ، وأصبحت منطقة الثغر الأعلى الموطن الرئيس لقبيلة بني تجيب ، ولاسيما سرقسطة ، ومن ثم دروقه **Daroca** وقلعة أيوب **Calatayud** [1].

وقد أصبح عميرة بن المهاجر حاكماً على مدينة برشلونة لمدة سنتين في أثناء الفترة المبكرة التي أعقبت الفتح[2] ، ولكن لا توجد معلومات أكيدة عن ذريته ، ولا يشير ابن حزم إلى ذلك وهو الذي يورد معلومات مفصلة عن أصل هذه الأسرة ودورها في المنطقة[3] ، في حين ذكر أن عبد الله بن المهاجر الذي كان شقيق عميرة كان الجد الأعلى لهذه الأسرة ، وكان أحفاد عبد الله كثيرون ، وقد استمروا في تأثيرهم الكبير في المنطقة حتى سقوط الخلافة الأموية[4] ، واستطاع بنو صمادح الذين ينتسبون لهذه الأسرة نفسها ، السيطرة على مدينة وشقة وما حولها[5] ، كذلك عاش بنو سلمه التجيبيون ، الذين كانوا أيضاً من المستقرين الأوائل ، في الشمال الشرقي من مدينة وشقة[6].

---

١) ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٠.

٢) ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٠.

٣) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٢٤.

٤) ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٠ – ٤٣١.

٥) ابن حزم، جمهرة، ص ٤٣٠– ٤٣١.

٦) العذري، نصوص، ص ٥٦– ٥٧؛ وينظر : طه، الفتح والاستقرار، ص ١٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن انتشار بعض أفراد وبطون بني تجيب في الشمال الشرقي للأندلس وبخاصة في منطقة برشلونة ووشقة ، ولا نستبعد أن قسماً منهم ذهب الى طركونة وسكانها ولاسيما أن هذه المدينة مطلة على البحر ، وربما تكون مصدر رزق لساكنيها ، أضف الى ذلك أنها تشتهر بالمعادن وخاصة الرخام الذي يستخرج من باطن الأرض والذي يحتاج الى أيدي عاملة ويمكنها الانتفاع منه.

أما القبائل البربرية ، فيبدو أنها كانت أكثر وضوحاً من حيث الانتشار في مدينة طركونة والمناطق المجاورة لها ، ولاسيما مدينة لاردة ، وكان لقبيلة زناته النصيب الأكبر في الاختلاط مع هذه المناطق ، وقد أشار الى ذلك حسين مؤنس معتمداً على بعض المراجع الأجنبية الحديثة[١].

ويبدو لنا أن وجود بربر زناته في مدينة طركونة والمناطق المجاورة لها ، ربما يرجع الى التشابه بين بيئة المغرب العربي وبيئة المناطق الشمالية الشرقية من الأندلس[٢].

إن من أوائل الأحداث المهمة التي تعرضت لها طركونة منذ دخول المسلمين اليها هو محاولة الفرنجة عزلها عن بقية الأندلس من أجل سهولة السيطرة على مدينة برشلونة ، ففي

---

١) فجر الأندلس، ص ٣٨١.

٢) طه، الفتح والاستقرار، ص ٢٨٩ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٧٨- ٧٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة١٨٥هـ/٨٠١م ، أرسل شارلمان[1] ابنه لويس بالجيش الفرنسي الى برشلونة ، وقسم الجيش الى ثلاث فرق ، الأولى تهاجم برشلونة ، والثانية برئاسة جيوم مقرها بين منطقتي لاردة وطركونة ، والثالثة عند جبال البرت برئاسة لويس ، وكان هدف الجيشين الآخرين — الثاني والثالث—منع المسلمين من إنقاذ مدينتهم ، وقطع الاتصالات عنها وبعد حوالي سبعة أشهر من الحصار ، سقطت المدينة وكان فقدان المسلمين لها خسارة كبيرة ، لأنهم فقدوا مركزاً عسكرية مهماً في الثغر الأعلى ، حوله الفرنجة مقراً لقواتهم العسكرية ، والتي صارت تشن هجماتها على مناطق الثغر الأعلى ، ومنها مدينة طركونة وطرطوشة ، إذ هاجم الفرنجة ، في سنة١٩٢هـ/٨٠٧م ، طرطوشة ، بقيادة لويس بن شارلمان[2] ، ومعنى هذا كما يذكر السامرائي أن مدينة طركونة قد وقعت تحت السيطرة الإفرنجية لأنها تقع شمال طرطوشة ، كما ذكر السامرائي بأن الجانبين الإسلامي والإفرنجي كانا يتناوبان السيطرة عليها[3].

وقد رد الأمير الحكم الأول(١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) ، على هذا

---

١) يطلق عليه شارل الكبير أو شارل الأول وهو إمبراطور الغرب للمدة (١٨٤- ١٩٩هـ / ٨٠٠- ٨١٤ م)، وملك الفرنجة للمدة (١٥١- ١٩٩هـ / ٧٦٨- ٨٤١ م)، وهو أكبر أبناء بيبن القصير وحفيد شارل مارتل أقتسم مع أخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة أبيه، وعندما توفي كارلومان سنة ١٥٥هـ / ٧٧١ م نودي بشارل الأول بمفرده ملكاً على الفرنجة. ينظر: عاشور، أوربا، ج١، ص ٢٠٠-٢١٣.

٢) أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص ١٣١- ١٣٢.

٣) الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٢٤٤، هامش(١).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الهجوم بإرسال جيش كبير برئاسة أبنه عبد الرحمن[1] ، واسهم فيه العديد من المجاهدين ، لردع عدوان الفرنجة الذين استباحوا أراضي المسلمين ، واشتبك الجيشان في معركة طاحنة ، انتصر فيها المسلمون ، وأبادوا معظم القوات المعادية ، وأنقذوا المدينة من السقوط ، وفي سنة١٩٣هـ/٨٠٨م أعادت القوات الإفرنجية المحاولة ، ولكنها أخفقت أيضاً ، ونجح المسلمون سنة١٩٦هـ/٨١١م ، في صدهم عنها أيضاً[2].

وكرد فعل على الهجمات الإفرنجية ، فقد خرج أسطول[3] أندلسي في سنة٢٠٥هـ/٨٢٠م من مدينة طركونة ، ميناء الثغر الأعلى الوحيد ، وسار نحو جزيرة سردانية[4] ، وقد تصدى له أسطول نصراني ، واستطاع الأسطول الأندلسي الانتصار عليه واغرق ثمانية

---

١) هو عبد الرحمن الأوسط، تولى الحكم بعد وفاة أبيه الحكم سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١م، ويعرف بالأوسط تميزاً له عن الأول عبد الرحمن الداخل والثالث عبد الرحمن الناصر، وقد توفي سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢م. ينظر : المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٤٤- ٣٤٧.

٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٢٠٢ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص٤٠ ؛ النويري، نهاية الإرب، ج٢٢، ص ٣٥؛ وينظر: Collins، the Basques، P.124 .

٣) اهتم المسلمون بالأسطول بالأندلس منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأول (١٣٨- ١٧٢هـ / ٧٥٥- ٧٨٨م)، فقد اتخذ هذا الأمير دور للصناعة في مراسي طركونة وطرطوشة وقرطاجنة واشبيلية والمرية، ومن ثم اهتم الأمراء والخلفاء من بعده بتطوير البحرية الأندلسية وبخاصة بعد هجمات النورمان على سواحل الأندلس. ينظر: أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٣٩ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٢٩.

٤) جزيرة ايطالية، تقع غرب البحر المتوسط، وهي كبيرة المساحة. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مراكب للنصارى واحرقوا أيضاً مراكب أخرى[١].

ومن الجدير بالذكر أن نفوذ دولة الفرنجة السياسي في عهد شارلمان كان يمتد على بعض جزر البحر المتوسط مثل سردانيه وكورسيكة وكانت تصد عنها حملات المسلمين[٢].

وفي سنة٢٢١هـ/٨٣٦ م ، خرج أسطول أندلسي أخر من ميناء طركونة والجزر الشرقية(البليار)[٣] ، باتجاه مياه الفرنجة الجنوبية ، وهاجم مدينة مرسيلية واستولى على مناطقها ، وقد أستطاع الأسطول الأندلسي أسر الكثير من رجال المدينة[٤] ، وقد نسج الفرنجة من قصة القديسة اوزيبيا **Cusebia** رئيسة دير الراهبات في مرسيلية ، والأربعين راهبه اللائي كنّ معها ، وذلك أنهن خشين من المسلمين أن يتجاوزا على أعراضهن ، ((فشوهن خلقة أنفسهن بجدع أنوفهن حتى يكن بمأمن من تجاوز غزاة العرب))[٥].

ويبدو أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، لأن المسلمين في فتوحاتهم المتعددة ، لم يمارسوا أي نوع من هذا السلوك ، وربما أن هذه الرواية تندرج ضمن إطار الصراع النصراني الإسلامي الطويل

---

١) **أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٤٤- ١٤٥ ؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٢٥٣.**

٢) **أرسلان، م.ن، ص ١٣٩ ؛ السامرائي، م.ن، ص٢٥٣.**

٣) **هي ثلاث جزر، تقع على البحر المتوسط، ميورقة ومنورقة ويابسة. ينظر: الحميري، صفة، ص ١٨٨- ١٩١.**

٤) **عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٢٦٣.**

٥) **أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص١٥٠ ؛ Hoyt and chodorow، Europe in the middle Ages، p.192 .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذي أستمر عدة قرون ، والذي حاول خلاله رجال الدين النصارى تشويه الدين الإسلامي هذا من جانب ، ومن جانب آخر هو إثارة النصارى وتشجيعهم للتصدي للمسلمين.

بعد هذه الحملة لم نلاحظ أي نشاط سياسي وعسكري للمسلمين في مدينة طركونة ، ويبدو أنها تركت من قبلهم ، ربما يرجع ذلك لعدة عوامل منها تعرض الساحل الغربي للأندلس بشكل عام ولشبونة **Lisbon** خاصة الى هجمات النورمان **Normans**[1] سنة٢٢٩هـ/٨٤٣م[2] ، ومن ثم الهجوم الثاني للنورمان على سواحل الأندلس سنة٢٤٥هـ/٨٥٩م[3] ، فضلاً عن الثورات الداخلية التي حدثت في الأندلس ، ومنها تمرد بعض الأسر على حكومة قرطبة والتي كانت تقود المقاومة ضد النصارى[4] ، وظهر

---

١) يطلق عليهم الأردمانيون، كذلك عرفوا بالفيكنج، وهم سكان الدول الأسكندنافية. اعتنقوا النصرانية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، سكنوا نورمنديا شمال غرب فرنسا وغزو ايطاليا، ثم توثقت علاقاتهم بالبابوية ينظر : ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م) ص٢٤٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٢٤٧هامش(٢).

٢) ابن حيان، المقتبس(للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/٨٤٦- ٨٨٠م)، ص٤٥٠- ٤٥١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص ١٠١ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٢٨٨؛ الدرويش والعلياوي، لشبونة في العصر الإسلامي، ص ٧.

٣) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٩٠؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص ٩٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٢، ص١٠٧.

٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص ٨٤ـ ٨٥ ؛ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٣٩ ؛ وينظر: السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ٣٠٥- ٣٢٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضاً عمر بن حفصون[١] وثورته التي ابتدأت منذ عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) ، أي منذ سنة٢٦٧هـ/٨٨٠م ، واستمرت الى سنة٣٠٥هـ/٩١٧م أي إلى بداية عهد الرحمن الثالث(٣٠٠- ٣٥٠هـ /٩١٢- ٩٦١م)[٢].

ويبدو أن ترك المسلمين لثغر طركونة ، قد ملأ من قبل النصارى وتمكنوا من الاستحواذ عليه فيما يبدو لبعض الوقت.

وعندما تولى عبد الرحمن الناصر الحكم حاول استرجاع هذا الثغر من النصارى ، وقام بعدة حملات عسكرية نحوه ، إلا أنه لم يتمكن من استرجاعه وبقيت برشلونة ومنطقة قطلونية ومن ضمنها مدينة طركونة خارجه عن حكم العرب المسلمين[٣].

ويذكر المسعودي أن الحدود بين المسلمين والنصارى في عهد الخليفة الناصر ، كانت في ذلك الوقت من طرطوشة ، ومنها الى افراغة **Fraga**[٤][٥].

---

١) وهو من أخطر الثوار في لأندلس، وكان قيام ثورته في قلعة ببشتر بين رندة ومالقة. ينظر : ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج١، ص ٥٣.

٢) ابن القوطية، تاريخ، ص ١٠٩- ١١٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٣٧-١٣٨؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ص٣٧٠- ٣٧٥ ؛ السامرائي، تاريخ العرب، ص ١٥٠- ١٥٤.

٣) أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص ٢١٢.

٤) مدينة بالأندلس، تقع غرب لاردة، تبعد عنها بمسافة ثمانية عشر ميلاً، لها حصن منيع وبساتين كثيرة. ينظر: الحميري، صفة، ص٢٤.

٥) مروج الذهب، ج١، ص ١٩٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن مدينة طركونة في عهد الخليفة الناصر ، كانت تابعة الى برشلونة وكانت يحكمها ملك واحد ، ومما يدلل على ذلك ما ذكره ابن خلدون عن قدوم سفارة الى بلاط قرطبة من قبل مغيرة بن شبير ملك برشلونة وطركونة ، راغباً في الصلح مع المسلمين ، فقبل الخليفة ذلك وكان ذلك في سنة٣٤٧هـ/٩٥٨م[١].

لم تكشف لنا المصادر التاريخية عن مضمون الصلح الذي تم بين الطرفين الإسلامي والنصراني ، إلا أننا نستشف من خلال قراءتنا للأعمال والإجراءات التي تمت فيما بعد الى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:-

١-عقد السلم بين الطرفين والتعهد بعدم الاعتداء لكيهما على الأخر ، وهذا ما تم بالفعل حتى نهاية عهد الخليفة الناصر.

٢-استقلال مدينة طركونة ، وفك تبعيتها عن برشلونة وممارسة حقها السياسي كما كانت في السابق ، وسوف نلاحظ ذلك فيما بعد من خلال السفارات في عهد الخليفة الحكم المستنصر ، واستقلال هذه السفارات الواحدة عن الأخرى.

٣-يحق للمسلمين السكن في مدينة طركونة وممارسة عقيدتهم الدينية ، وبناء جوامعهم ومساجدهم ، وربما هذا الإجراء قد شجع الخليفة الناصر على بناء مسجد طركونة الجامع سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م[٢] ، أي بعد سنتين من عقد الصلح ، ويبدو أن هذه

---

١) العبر، ج ٤، ص ١٤٨.

٢) عنان، الآثار الأندلسية، ص ١١٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدة الزمنية كافية لبناء مثل هذا المسجد ، وأن وجوده يدلل على أن المدينة كانت مأهولة بالسكان المسلمين.

ويبدو أن وفاة الخليفة الناصر سنة٣٥٠هـ/٩٦٢م ، شجعت النصارى على عدم تنفيذ بعض نقاط الاتفاق ، واخذوا يغيرون على أراضي المسلمين ، الأمر الذي حفز الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-١٠٠٨م) ، على مهاجمتهم والانتصار عليهم ، وقد بادروا الى عقد السلم معه ، فوافق على ذلك[١].

وفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ((بعث ملكا برشلونة وطركونة سفراءهم الى الخليفة الحكم المستنصر يسألان تجديد الصلح ، وإقرارهما على ما كانا عليه ، وبعثا بهدية وهي عشرون صبيا من الخصيان الصقلية ، وعشرون قنطاراً من الصوف السمور ، وخمسة قناطير من الفرصدس ، وعشرة أذراع صقلية ومائتا سيف إفرنجية فقبل هديتهم ، وعقد لهم على أن يهدما الحصون التي بقرب الثغور ، وعلى أن لا يظاهروا عليه أهل ملتهم وأن ينذروه بما يكون من النصارى في الأجلاب على المسلمين))[٢].

ويبدو من خلال النص أن مدينتي برشلونة وطركونة كانتا في

---

١) ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٤٩.

٢) م. ن، ص ١٥٠ ؛ أقتصر ابن حيان على ذكر حاكم برشلونة فقط، ولم يتطرق الى سفير حاكم طركونة، إلا أنه يضيف إلى الهدية ثلاثين أسيراً مسلماً بين رجال ونساء وأطفال. ينظر: المقتبس (للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)، ص ٢٠- ٢١ ؛ الحجي، أندلسيات، ص٩١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك الحقبة الزمنية أي في أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، تحت سيطرة وحكم أهلها ، إلا أنهم كانوا يعدون أنفسهم تحت سيادة المسلمين ، ولعل أن هنالك اتفاقاً سياسياً قد تم بينهم وبين الخليفة باستمرار ولائهم للمسلمين.

وخلال خلافة هشام المؤيد(٣٦٦ـ ٣٩٩هـ/٩٧٦- ١٠٠٨م) ، والأحداث التي سبقت سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ، برز محمد بن أبي عامر وهو واحد من كبار الشخصيات المهمة في الدولة والذي كان له دور في تثبيت السيادة الإسلامية في معظم أراضي أسبانيا.

وقد تميزت السياسة التي أعتمدها المنصور بن أبي عامر تجاه النصارى بطابع جهادي متميز ، وقد أحصيت الحملات التي سيرت ضد النصارى أكثر من خمسين حملة[١] ، ويبدو أن المنصور كان يقوم بحملتين كل عام حملة في الصيف وأخرى في الشتاء[٢] ، وأن جميع هذه الحملات كانت تحت قيادته المباشرة[٣].

وكانت لمدينة طركونة نصيباً من هذه الحملات ، ففي غزوته الثالثة والعشرين سنة٣٧٤هـ/٩٨٤م ، التي سار فيها الى ثغر برشلونة قاعدة إمارة قطلونية ، تم اجتياح الإقليم بما فيها مدينة طركونة

---

١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٦٧٧ ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج ٢، ص ٣٠١ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٥٢.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٢.

٣) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص ٣٠١ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومهاجمة برشلونة ودخولها بعد تضييق الحصار عليها ، واستطاع تدمير قوات الكونت بريل تدميراً نهائياً إلا من تمكن من الفرار[1].

وفي غزوته الحادية والثلاثين ، ذكر مؤلف مجهول بأن المنصور بن أبي عامر بعد غزوة أشتورقه(استرقة) Astorga[2] ((ارتحل الى طركونة فخربها وحمل رخامها الى قرطبة ، وفتح عدة حصون ، وانصرف بالغنائم والسبي))[3] ، إلا أنه لم يحدد تاريخ هذه الغزوة ، إلا إننا نستطيع أن نقدر سنة حدوثها ، من عدد الحملات التي قام بها المنصور بعد حملة سنة٣٧٤هـ/٩٨٤م والتي تبلغ ثمان حملات وعلى اعتبار قيامه بحملتين في كل سنة يمكننا أن نخرج برأي توافقي لسنة حدوثها أي سنة٣٧٨هـ/٩٨٨م.

ويبدو أن المنصور بن أبي عامر ، أستطاع بعد هذه الحملة أن يبسط نفوذه على معظم أراضي الثغر الأعلى بما فيها طركونة ، وقد ولى بإقرار منه على حكم هذا الثغر يحيى بن عبد الرحمن التجيبي سنة٣٧٩هـ/٩٨٩م ، وظل حاكماً عليها حتى وفاته سنة٤٠٨هـ/١٠١٧م ، ثم تتابع أولاده من بعده على حكم منطقة الثغر الأعلى حتى سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[4] ، لينتهي في هذا التاريخ حكم بني تجيب ، لتبدأ

---

١) مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٢٩ ؛ وينظر : السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ١٩٣.

٢) مدينة أندلسية، تقع في شمال نهر دويرة. ينظر : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٦٧.

٣) تاريخ الأندلس، ص ٢٣٠.

٤) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ح٣، ص ١٧٥- ١٧٨؛ السامرائي=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسرة أخرى في حكم الثغر الأعلى وهي أسرة بني هود[١].

وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس[٢] تمزقت الى طوائف ودويلات حيث((تناثرت أشلاؤها ، وتعددت الرياسات في أنحائها ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة ، لكن تفرق بينها منافسات وأطماع شخصية وضيعة ، وتضطرم بينهما حروب أهلية صغيرة ، والأندلس خلال ذلك كله تفقد مواردها وقواعدها القديمة تباعاً ويحدق بها خطر الفناء من كل صوب))[٣] ، وقد أدى هذا إلى أن استقل بنو هود في الثغر الأعلى ومركزهم مدينة سرقسطة[٤] ، وبنو ذي النون بطليطلة[٥] ، وقد دخلت الأسرتان في صراع مرير ، ودار هذا الصراع بين سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة(٤٣١-٤٣٨هـ

=وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٣٧.

١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢ ،ص ٢٤٦- ٢٤٧ ؛ ابن خلدون، العبر ،ج٤، ص ١٦٧- ١٦٨.

٢) ينظر التفاصيل عن سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج١، ص ٣١٧- ٣٢١؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٠٩- ٢١٧.

٣) عنان، دول الطوائف، ص ٤.

٤) ترجع هذه الأسرة الى سليمان بن هود. الذي أسس دولة في سرقسطة سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م، واستمرت حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٥٠٣هـ / ١١٠٩م. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٠- ١٧٦.

٥) ترجع هذه الأسرة الى إسماعيل بن ذي النون الذي أسس دولة في طليطله سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس وحلفاءه الأوربيين سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م. ينظر : ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ١٧٦- ١٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

/١٠٣٩-١٠٤٦م) ، والمأمون بن ذي النون حاكم طليطلة(٤٣٥-٤٦٧هـ /١٠٤٣-١٠٧٤م) ، وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين طليطلة وسرقسطة موضع الاحتكاك بين الجانبين ، حيث دارت معارك عنيفة في سنة٤٣٦هـ/١٠٤٤م وما بعدها بين الطرفين ، وقد استعان الطرفان بعقد التحالفات مع حكام الممالك الاسبانية لقاء أن يدفعوا لهم الجزية فتحالف بن هود مع ملك قشتالة فرناندو الأول(٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٤-١٠٦٥) ، وتحالف المأمون بن ذي النون مع ملك نافار غرسية(٤٢٦-٤٤٦هـ/١٠٣٤- ١٠٥٤م) ، واستمر ملكا قشتاله ونافار يعملان بتوسيع هذه الفتنة ، فيغير الأول على أراضي طليطلة بجانب ابن هود ، ويغير الثاني على أراضي سرقسطة لحساب ابن ذي النون ، ولم ينتهي هذا الصراع إلا بعد موت ابن هود في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م[١].

ويبدو أن مع بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي بدأت الثغور الأندلسية تواجه حرباً نصرانية[٢] ، بفعل التجزئة التي فتحت المجال أمام الممالك الأسبانية لتعيد بناء نفسها ، وبالتالي زيادة قوتها وتجديد نشاطها لتستولي على أكبر المدن الثغرية وتعيدها نصرانيه كما كانت ، وهذا ما حدث بالفعل لمدينة طركونة ، ومما زاد من سرعة سقوطها هو الخلاف بين أولاد ابن هود من بعده ، والذي شجع

---

١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٦٨ ؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٣، ص ٢٨٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٨ ؛ بروفنسال، الإسلام، ص ١٢٣- ١٢٤.

٢) العمايرة، مراحل، ص ٥٣ ؛ الدرويش، مدينة سالم الأندلسية، ص١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصارى الأسبان على مواصلة سياستهم التوسعية ، فبعد أن توفي المقتدر بن هود في سنة٤٧٤هـ/١٠٨١م ، قسمت مملكته بين ولديه المؤتمن وأخيه المنذر ، وقد اختص المنذر بن هود بالجانب الشرقي من مملكة سرقسطة وفيه ثغر طركونة وطرطوشة ، ثم توفي المنذر بن هود في سنة٤٨٣هـ/١٠٩٠م ، وخلفه ولده الطفل سليمان الملقب بسعد الدولة[١] ، وفي ذلك الوقت واصلت مملكة برشلونة الاسبانية توسعها على أراضي الثغر الأعلى(مملكة سرقسطة)[٢] ، وكان الكونت رامون برنجير الثاني أمير برشلونة(٤٦٨- ٤٨٩هـ/ ١٠٧٥- ١٠٩٥م) ، ومن ورائه أحبار برشلونة يأملون انتزاع ثغر طركونة من المسلمين واعادته كما كان مركزاً للكنيسة البرشلونية فكتبوا بذلك الى البابا أوربان الثاني **Urbain II** (٤٨١- ٤٩٣هـ/١٠٨٨- ١٠٩٩م)وهو محرك الحرب الصليبية في المشرق وقد شجع البابا مشروعهم وباركه ، وأسبغ عليه الصفة الصليبية ، وأصدر طائفة من المنح والمزايا الدينية للذين يشتركون في هذه الحملة ، وكتب الى سائر الأمراء والفرسان ورجال الدين في البلاد المجاورة ، يحثهم على الاشتراك في هذه الحملة المقدسة[٣] ، وهكذا جهزت حملة صليبية قوية لافتتاح طركونة على رأسها رامون برنجير الثاني ، وجاءت وفاة المنذر بن هود في تلك المدة بالذات مشجعة للغزاة ، وقد سارت الحملة الى طركونة واستطاعت انتزاعها من المسلمين بسهولة

---

١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص ٨٦ هامش(١).

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٦.

٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ١١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة٤٨٣هـ/١٠٩٠م ، لضعف وسائلها الدفاعية ، وتخلى المستعين بن هود صاحب سرقسطة عن أنجادها ولأن الجيوش المرابطية[1] لم تكن قد وصلت يومئذ في زحفها نحو الشمال الى الثغر الأعلى[2].

وقد حاول المرابطون استرجاع ثغر طركونة وبرشلونة ، حيث أرسلت القوات المرابطة البرية في سنة٤٩٥هـ/١١٠١ ، وفي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م الى برشلونة وتوغلت في أراضيها ، إلا أنه كان نصراً محدوداً وخسر المرابطون خيرة رجالهم في هذه الحملات[3].

---

١) يرجع تأسيس الدولة المرابطية الى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وقد قامت دعوة المرابطين سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، على أساس العقيدة الدينية الإسلامية على يد عبد الله بن ياسين الجزولي، وقد تزعمت قبيلة لمتونة الجهاد لهذه الدعوة في بلاد المغرب العربي اولاً ثم الأندلس بعد ذلك. ينظر : ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦١٨- ٦٢١؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج٤، ص ٧- ١١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٢٢- ١٢٧.

٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص ١١٦- ١١٧ ؛ العلياوي، الحملات الصليبية على الأندلس، ص٩٢.

٣) السلاوي، الاستقصا، ج٢، ص ٥٨ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٢٥٦- ٢٥٧؛ مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي، ص ١١٢- ١١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة قلعة رباح الأندلسية

٩٣ - ٦٠٩هـ/ ٧١١- ١٢١٢م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: الجغرافية التاريخية لقلعة رباح Calatrava

تقع مدينة قلعة رباح بين مدينتي قرطبة (Cordoba) وطليطلة (Toledo) وإلى الغرب من الأخيرة[1]، وتعد من أعمالها[2]، وهي مدينة محدثة في عهد الإمارة الأموية، وقد عُمرت بخراب مدينة أوريط(Oreto)[3]، إذ كانت أوريط مدينة قديمة مرتبطة مع مدينة طليطلة وملاصقة لها في حد واحد من قسمة قسطنطين[4].

وقد تحدث أبو الفدا عن ذلك بقوله: ((ومن معاقل الأندلس قلعة رباح، وكانت من مضافات طليطلة فلما ملك الفرنج طليطلة[5] انضافت قلعة رباح إلى قرطبة وهي من المعاقل الحصينة))[6].

وقد وصف مؤلف مجهول حصانتها ومناعتها عند ذكره لمدينة طليطلة بقوله: ((طليطلة هي مدينة عظيمة خصيبة من أمنع معاقل

---

١) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٢٠ ؛ الحميري، صفة، ص١٦٣.

٢) ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص١٢٥.

٣) الحميري، صفة، ١٦٣.

٤) الحميري، صفة، ص٣٣.

٥) استولى النصارى الأسبان على مدينة طليطلة سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، ينظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٥.

٦) تقويم البلدان، ص١٨٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلس... ، وبها محارث عظيمة ومدن كثيرة ، وأقاليم واسعة ، وحصون منيعة منها طلبيرة وقلعة رباح بناها الإمام ابن عبد الرحمن[١] وسكنها بالناس في سنة إحدى وأربعين ومائتين))[٢].

كما تمتعت مدينة قلعة رباح نفسها بوجود الحصون فيها ، فقد أشار الحميري إلى ذلك بقوله: ((...وهي مدينة حسنة ، ولها حصون حصينة على نهر...))[٣] ، ومن هذه الحصون حصن الأرك (**Alarcos**)[٤] وحصن شلبطرة(**Salvatierra**)[٥].

وتمر عبر أراضي مدينة قلعة رباح بعض الأنهار ، منها نهر آنه (يانة **Rio Guadiana**) الذي يتجه بعد ذلك إلى حصن مدلين (**Madelin**) ثم إلى مدينة بطليوس(**Badajoz**) حيث يصب في البحر عند حصن مرتلة(**Martola**) من كورة أشكونبة(أو أكشونبة **Ocsonba**) من بلاد غرب الأندلس ، ويبلغ طوله ثلاثمائة وعشرون ميلاً[٦].

كما تحدث الإدريسي عن هذا النهر بقوله: ((...قلعة رباح على ضفة نهر يانة وهذا النهر يأتي من مروج فوقها فيمر بقرية يانة إلى

---

١) هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني الذي حكم الأندلس للمدة من ٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م، ينظر عنه : ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٣ ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٤- ٢٥.

٢) تاريخ الأندلس، ص٩٥.

٣) صفة، ص١٦٣.

٤) الحميري، صفة، ص ١٢.

٥) الحميري، صفة، ص١٠٨.

٦) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلعة رباح ثم يصير منها إلى حصن أرندة ومنه إلى ماردة ثم يمر ببطليوس فيصير منها إلى مقربة من شريشة ثم يصير إلى حصن مارتلة فيصب في البحر المظلم...)[1].

وقد أوضح لنا مؤلف مجهول منبع هذا النهر بقوله: ((... نهر آنه المنبعث من فحص الغدور(فحص الفج) ، وهذا النهر لا يبلغ إليه أحد أصلاً ولا مخرجاً غير انه ينبعث من الغدور ، ويغيب في موضع ، ويخرج من ثان حتى يخرج ، ويجري متصلاً إلى مدينة قلعة رباح ثم إلى بطليوس ، ثم ينتهي على البحر الأعظم))[2].

اشتهرت مدينة قلعة رباح بوجود العيون ، وقد أوضح ذلك مؤلف مجهول بقوله: ((ومن عجائبها عين من ماء بقرب قلعة رباح تجري بماء حامض كالخل الحاذق ولا يقدر أحد أن يسيغه ، فإذا ملىء منه زق و مخض(حلا) وساغ شربه))[3] ، كما أشار إلى ذلك الحميري بقوله((... وبقرب قلعة رباح حامض إذا مخض في سقاء حلا))[4]. كما اشتهرت مدينة قلعة رباح بوجود المراعي وتربية الحيوانات ، وقد وصف ذلك ابن غالب بقوله: ((مدينة قلعة رباح وهي غرب طليطلة يطيب مرعاها ، ويزكو طعامها ، وتحسن الماشية في مسارحها ، ولألبانها فضل بائن على غيرها))[5].

---

١) نزهة المشتاق، ٢/ ٥٥٠.
٢) تاريخ الأندلس، ص١٩٠.
٣) تاريخ الأندلس، ص ٦٦.
٤) صفة، ١٦٣.
٥) فرحة الأنفس، ص٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما خطط المدينة فقد أشار إليها ابن حوقل بشكل مقتضب إذ ركز على سورها وأسواقها وحماماتها ومتاجرها بقوله: ((...قلعة رباح مدينة كبيرة ذات سور من حجارة وهي على وادٍ لها كبير منه شرب أهلها ويزرعون عليه ، وبها أسواق وحمامات ومتاجر...))[1] ، كما وصفها عنان بقوله : وقد أتيح لنا أن نزور أطلال قرية رباح القديمة ونشهد بقايا هذه القلعة المنيعة ، التي لبثت دهراً من حصون الأندلس الأمامية ، والتي لعبت دوراً كبيراً في الصراع بين المسلمين والنصارى ، وتقع هذه الأطلال على قيد خمسة عشر كيلو متراً من مدينة ثيودادريال ، وعلى قيد نحو سبعة كيلو مترات من ضاحيتها كريون ، وهي عبارة عن مجموعة ضخمة من الأطلال الدارسة ، تقع فوق ربوة قليلة الارتفاع ، وسط بسيط كبير تظلله الجبال الشاهقة ويستند من الشمال إلى نهر وادي يانه ، وتنقسم هذه الإطلال إلى مجموعتين في إحداها وهي اليمنى ، يوجد جدار برج عال ، ومن تحته عضادة تظلل عقداً كبيراً كاملاً ، وفي الوسط يقوم جدار ضخم من عقد سابق ، والمجموعة الأخرى يفصلها عن المجموعة الأولى فراغ كبير تتخلله الأنقاض والخرائب ، يبلغ طوله نحو ثمانين متراً ، وهي عبارة عن كتلة كبيرة ، يبدو أنها كانت قاعدة لعدة أبراج ضخمة ، وتمتد الإطلال من الناحية الأخرى إلى مدى يبلغ نحو مائة وخمسون متراً ، ويغمر هذه الإطلال الضخمة العالية ، والمكان

---

١) صورة الأرض، ص١١٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كله ، جو من الوحشة والرهبة انقبضت له نفسي ، وأنا أطوف حول المكان منفرداً بين الأشواك والأدغال ، ونعيق الغربان والنسور الصغيرة ، التي تغمر المكان ، يزعجني وينذرني بسرعة الرحيل[١].

ثانياً : التاريخ السياسي لمدينة قلعة رباح

لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا إشارة عن كيفية فتحها ووقت دخول المسلمين إليها ، ولكن طارق بن زياد بعد هزيمته الجيش القوطي في معركة وادي لكة(بكة **Rio Guadalete**) اندفع شمالاً باتجاه إستجة(**Ecija**) ، والتي حصل فيها على غنائم كثيرة مكنته من الاندفاع أكثر في العمق الاسباني ، وخاصة من الخيول حتى لم يبق بينهم راجل ، عندها وزع جيشه لفتح المناطق الأخرى ، فأرسل مغيثا الرومي إلى قرطبة ، وجيشاً آخر إلى مالقة(**Malaga**) ، وآخر إلى البيرة(**Elvira**) وتدمير(**Tudmir**) ، فيما سار هو إلى عاصمة القوط طليطلة ماراً بجيان(**Jaen**) حيث تم له فتحها[٢] ، وقد استغرق طارق في فتح تلك المناطق بين رجب سنة٩٢هـ/٧١٠م حتى أواخر سنة ٩٤هـ/٧١٢م.

وهذا يعني أن المنطقة الواقعة بين قرطبة وطليطلة قد وقعت تحت

---

١) عصر المرابطين والموحدين، ص٢١٤- ٢١٥.

٢) ينظر عن فتوحات طارق بن زياد في الأندلس قبل عبور موسى بن نصير : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩- ٢٤ ؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٤- ٣٥ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٩- ١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيطرة المسلمين أو نفوذهم خلال تلك المدة إذ فرّ معظم أهالي تلك المناطق لما((...سُقط في أيديهم ، وتطايروا عن السهول إلى المعاقل ، وصعد ذوو القوة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة...))[1] ، ثم إن طليطلة عندما دخلها طارق وجدها خالية من الجنود ولم يبق فيها إلا قلة من الأهالي[2] ، ويبدو أن المنطقة التي تضم قلعة رباح قد فتحت خلال سنة٩٣هـ/٧١١م ، إذ أن طارق بن زياد بعد فتحه لطليطلة مكث فيها سنة كاملة لم يتجاوزها حتى التقى بموسى بن نصير في أواخر سنة٩٤هـ/٧١٢م[3] ، وليس من المعقول أن يبقى هناك دون حركة ، إذ الموقف يحتم عليه أن يقوم بتطهير المناطق المحيطة به من جيوب المقاومة وخاصة جنوب طليطلة التي تمثل حلقة اتصاله بالجنوب.

أما عن اسمها[4] فلم ترد في المصادر المتوفرة لدينا عن سبب تسميتها بذلك ، والسمعاني عند ذكرها قال: لعل الذي بناها رجل اسمه رباح[5] ، وليس لدينا ما يرجح أن رباح هذا هو علي بن رباح اللخمي أحد التابعين الذين دخلوا إلى الأندلس واشترك في الفتح

---

١) المقري، نفح الطيب، ١/٢٦٠.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢/٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ١/٢٦٤.

٣) المقري، نفح الطيب، ١/٢٦٥ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٨٣.

٤) ذكر المقري أن قلعة رباح تدعى أيضا المدينة البيضاء، نفح الطيب، ٥٥٩/٣؛ كما أن مدينة سرقسطة(Saragoza) تدعى المدينة البيضاء سميت بذلك لكثرة جصها وجيارها، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٣٨١/١ ؛ الحميري، صفة، ص٩٦.

٥) الأنساب، ٣٩/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ووصل مع القوات الإسلامية إلى شمال الأندلس[1] ، وكانت المدينة تحمل هذا الاسم منذ فترة مبكرة من تاريخ المسلمين في الأندلس ، ففي سنة١٤٣هـ/٧٦٠م عندما فرّ يوسف الفهري من سجن عبد الرحمن الداخل في قرطبة التجأ إلى قلعة رباح[2] ، وهذا يعني أنها كانت تسمى بذلك قبل هذا التاريخ ، فضلاً عن أن النصوص التي تشير إلى بنائها سنة٢٤١هـ/٨٥٥م في إمارة محمد بن عبد الرحمن الأوسط—كما سيأتي— توضح أنه في ذلك التاريخ تم تجديد اعمارها وإصلاح شؤونها وإعادة سكانها[3].

أشارت بعض المصادر إلى أن بعض القبائل العربية سكنت قلعة رباح ، فذكر ابن حزم أن بعض الأنصار(من قبيلتي الأوس والخزرج)

---

١) هو علي بن رباح بن قصير بن القشيب بن يينع بن أردة بن حجر بن جزيلة بن لخم اللخمي، تابعي روى عن عدد من الصحابة منهم جنادة بن أبي أمية ورافع بن خديج وربيعة الجرشي وزيد بن ثابت وسراقة بن مالك بن جعشم وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعتبة بن الندر وعقبة بن عامر الجهني ومعاوية بن أبي سفيان، وهو من الثقات يعد في أهل مصر، ولد سنة١٥هـ/٦٣٦م، واشترك في فتوح مصر والمغرب والأندلس حيث دخلها مع موسى بن نصير، وتوفي سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م، ينظر ترجمته : البخاري، التاريخ الكبير، ٢٧٤/٦ ؛ الرازي، الجرح والتعديل، ١٨٦/٦ ؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٤٨- ٢٤٩؛ الذهبي، سير، ١٠١/٥- ١٠٢ ؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٢٦/٢٠- ٢٢٨.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٠/٢.

٣) ينظر: ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٢٩٣- ٢٩٤؛ الحميري، صفة، ص١٦٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استقروا في مدينة قلعة رباح[1] وأضاف أيضاً أن بعض ولد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط(ت٢٧٣هـ/٨٨٦م) قد اتخذوها منزلاً[2] ، كما ذكر المقري أن البلديين الذين ينتمون إلى عشيرة جذام العربية استقروا فيها[3] ، كما استقر بعض من قبيلة بكر بن وائل في المناطق التي تقع بين البيرة وقلعة رباح وبخاصة في المنطقة الأخيرة ومنطقة وادي آنه[4].

أما القبائل البربرية فيبدو أنها كانت أقل وجوداً من حيث الانتشار في هذه المنطقة ، إلا أن بعض المصادر أشارت إلى أن منطقة جبال المعدن **Sierrade Almaden** التي تقع إلى الجنوب من وادي آنه التابع إلى مدينة قلعة رباح كانت مأهولة بالبربر البرانس ، وأن غالبية سكانها من البرانس ، وهذه المنطقة غنية بمصادرها المعدنية ولهذا أطلق عليها المسلمون جبال المعادن[5] ، وكذلك إلى الشرق من هذه الجبال عاشت مجموعة أخرى من البربر البرانس الذين ينتمون إلى مسطاطة **Mestanza** ، وهي فرع من عشيرة وزداجة ،

---

١) جمهرة انساب العرب، ص٣٤١ ؛ ينظر أيضا : السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص٣٩.

٢) جمهرة أنساب العرب، ص٩٩.

٣) نفح الطيب، ٢٩٦/١ ؛ ينظر أيضاً : مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٧٤.

٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص٦٨.

٥) ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٣٣١، ٦١٥ هامش(٥٤٦)؛ الحميري، صفة، ص١٤٢ ؛ طه، الفتح والاستقرار، ص٢٧٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكان لهؤلاء حصنهم الخاص بهم وهو حصن مسطاطة في الإقليم الذي يسمى أيضاً باسمهم والذي يقع بالقرب من أوريط في منطقة قلعة رباح[1].

استخدمت مدينة قلعة رباح كقاعدة عسكرية للمسلمين للقضاء على التمردات الداخلية التي حدثت في المناطق القريبة منها ضد حكومة قرطبة ، ففي عهد الأمير عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) تمرد أهالي طليطلة سنة٢١٩هـ/٨٣٤م ، الأمر الذي تطلب من الأمير أن يرسل جيشا بقيادة أخيه أمية بن الحكم ، فحاصرها وانتسف ما حولها من الزروع والأراضي ، إلا أن المدينة لم تخضع لحكمه ، فرحل عنها وقد أبقى على بعض قواته بقيادة ميسرة الفتى في مدينة قلعة رباح الواقعة إلى جنوبها استعداداً لمحاصرتها مرة أخرى ، لذ أخذ المتمردون في طليطلة بالاستعداد لمواجهة قوات حكومة قرطبة المتمركزة في قلعة رباح ، وعندما اقتربت هذه القوات من طليطلة حدثت مواجهة بين الجانبين ، إذ خرج أهالي طليطلة لقتال قوات ميسرة الذي تمكن من تكبيدهم خسائر كبيرة[2] ، فارتدوا إلى داخل

١) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٠- ١١١ ؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٨٩ ؛ ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٣٦١، ص٦٣٨- ٦٣٩ هامش (٥٩٠) ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص ٧٠ ؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ١٧٨/٢ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص١٣٤.

٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/ ٧٩٦- ٨٤٦م)، ص٤٢٥- ٤٢٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٤/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٩٧/٢٢- ٩٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدينة للاحتماء بأسوارها المنيعة ، وفي سنة٢٢٠هـ/٨٣٥م سارت حملة عسكرية أحرى بقيادة الأمير عبد الرحمن الثاني إلى مدينة طليطلة ، إلا أن هذه القوات لم تتمكن من تحقيق أهدافها ، لذلك انسحب الأمير عبد الرحمن إلى قلعة رباح ، ثم ولى عليها أبا الشماخ وترك فيها بعض قواته لمواجهة متمردي أهالي طليطلة ، ويبدو أن هذه القوات استمرت في حملاتها ضد مدينة طليطلة إلى أن أخضعتها سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م[1].

ولعل استخدام قلعة رباح كقاعدة عسكرية لمواجهة تمرد أهالي طليطلة ، قد أثار حفيظة نصارى طليطلة ، مما دفعهم إلى مهاجمتها والاستيلاء عليها ، لذلك جهزت حكومة قرطبة حملة عسكرية لاسترجاعها سنة٢٣٩هـ/٨٥٣م وتمكنت من السيطرة عليها وإصلاح أحوالها[2] ، وقد علق ابن حيان على أحداث تلك السنة قائلاً: ((فيها غزا بالصائفة الحكم بن عبد الرحمن أخو الأمير محمد(٣) ، فأتى قلعة رباح ، وقد أقفرت من أهلها وخربت أسوارها ، بدوس أهل طليطلة لها وقتلهم كثير من أهلها ، فاحتلها الحكم بالجيش ، ونظر في إتقان سورها ، وتحصين حوزتها ، واسترجاع أهلها إليها ، وتأنيسهم

---

١) ابن الأثير، الكامل، ١٤١/٦، ١٥٠، ١٥٣، ١٦١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٤/٢- ٨٥.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٤/٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢٨٣/٤- ٢٨٤..

٣) حكم الأمير محمد بن عبد الرحمن للمدة من (٢٣٨- ٢٧٣هـ/ ٨٥٢- ٨٨٦م) ينظر عنه : الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بجيش كثيف من الحشم ندبهم عندهم...))[1].

ويبدو أن المدينة قد جدد إصلاحها الأمير محمد مرة أخرى سنة٢٤١هـ/ ٨٥٥م ، وقد بين ذلك الحميري ذلك بقوله: ((وفي سنة ٢٤١ أمر الأمير محمد بتحصين مدينة قلعة رباحٍ والزيادة في مبانيها ، ونقل الناس إليها...))[2] ، وقد أشار إلى ذلك مؤلف مجهول أيضاً بقوله: ((وهو الذي بنى السور على مدينة قلعة رباح وبنى قصبتها ،...))[3].

برزت أهمية مدينة قلعة رباح مرة أخرى في سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م عندما حدث تمرد آخر في مدينة طليطلة ، وقد استمد المتمردون العون من النصارى وبخاصة من أمير البشكنس(Bascons) غرسيه بن ونقه (غرسيه أنيجس ٢٣٧-٢٦٦هـ/ ٨٥١-٨٧٩م) وكذلك من ملك ليون(Leon) أردونيو الأول بن راميرو(٢٣٦-٢٥٢هـ/٨٥٠-٨٦٦م) وقد أمد النصارى المتمردون بالتعزيزات العسكرية الكبيرة بقيادة أخو ملك ليون الذي يعرف باسم غثون(غاتون)[4] ، ولما علم الأمير محمد بن عبد الرحمن بذلك تأهب لقتالهم واستخدم مدينتي قلعة رباح وطلبيرة (Talavera) القريبتين من طليطلة كقاعدتين للجند قبل التوجه لإخماد التمرد ، وقد استنفر قواته وأعد لهم الكمائن بناحية وادي

---

١) المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٢٩٣- ٢٩٤.

٢) صفة، ص١٦٣.

٣) تاريخ الأندلس، ص١٩٢.

٤) ابن الأثير، الكامل، ٧٤/٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٤/٢- ٩٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٣٦/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سليط(Guazalete) أحد روافد نهر تاجه(Rio Tajo)[١] ، وتقدم إليهم والتقى الطرفان–الإسلامي والنصراني– وتمخضت المواجهة عن انهزام النصارى بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف ، وواصل المسلمون تقدمهم حتى بلغوا ألبه والقلاع(lava et castella vetula)[٢].

وذكر ابن حيان أن عدد القتلى بلغ أحد عشر ألفاً وأسر عدد كبير منهم ، بينهم مجموعة من القسيسين وقد ضربت أعناقهم بأمر الأمير بعد أن أخذ المسلمون صلبانهم فنكسوها وكسروها[٣] ، أما أهل طليطلة فإنهم فقدوا في هذه المعركة عشرين ألفا[٤] ، وقد عدت هذه الموقعة من أمهات الوقائع لم يعرف الأندلس مثلها من قبل[٥].

ومن أجل تضييق الخناق على أهل طليطلة وعدم تكرار ما حدث ، فقد قام الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني سنة٢٤١هـ/ ٨٥٥م بإيقاء بعض القوات العسكرية في مدينتي قلعة رباح وطلبيرة القريبتين منها لمواجهة ما قد يحدث ، وقد ولى على مدينة قلعة رباح القائد الحارث بن بزيع[٦] ، وعلق ابن عذاري على ذلك بقوله: ((وفي

---

١) ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٢٩٦.
٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٠- ٢١.
٣) المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٢٧٩.
٤) ابن الأثير، الكامل، ٧٤/٧ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٠٦/٢٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٣٦/٤.
٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤٩٥/٤ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٢.
٦) ويقال الحارث بن بزيغ، وهو أحد كبار قواد الأمير عبد الرحمن الثاني، ومن عائلة قدمت خدمات كبيرة لحكومة قرطبة وبخاصة والده بزيغ الذي اشترك في إخماد حركة الربض على الأمير الحكم بن هشام، ينظر: ابن=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سنة٢٤١ ، شحن الأمير محمد قلعة رباح وطلبيرة بالحشم ، ورتب فيها الفرسان ، وترك فيها عاملاً حارث بن بزيع))[١].

وفي سنة٢٥٩هـ/ ٨٧٢م تمرد عامل مدينة قلعة رباح المدعو ابن يامين البربري ، وخرج على طاعة حكومة قرطبة ، وامتنع بجبال البرانس(**Sierra de Almaden**)[٢] ، واخذ يشن غاراته على المدن القريبة منه ، لذلك أرسل الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني الحارث بن بزيع لقتاله ، وقد تمكن من إخماد تمرده والقبض عليه ، إذ تم صلبه هو وأصحابه على أسوار مدينة طليطلة[٣].

وفي السنة نفسها بنى الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني ما كان قد تهدم من مدينة قلعة رباح ، ورجع إليها أهلها بعد أن غادروها بسبب هجمات نصارى طليطلة المتكررة ، كما أنزل فيها الجيوش الكثيرة من خيل ورجال للدفاع عنها وحماية أهلها ، وجعلها قاعدة لقواته وإدارة العمليات العسكرية فيها [٤].

وفي نهاية عهد الأمير عبد الله بن محمد(٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-

=الأثير، الكامل، ٦/٣٠٠.

١) البيان المغرب، ٢/٩٥.

٢) كان لفظ جبال البرانس يطلق على سلسلة الجبال الواقعة في شمال قرطبة بينها وبين مدينة طليطلة ممتدة من الغرب إلى الشرق، وهي التي تعرف باسم جبال المعدن، أما لفظ البرانس فيبدو انه يشير إلى ساكني هذه المنطقة من البربر البرانس تمييزا لهم عن البربر البتر، ينظر: ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٦١٦ هامش (٥٤٦)؛ الحميري، صفة، ص١٤٢.

٣) ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٣٣١.

٤) ابن حيان، المقتبس(الحقبة ٢٣٢- ٢٦٧ هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م)، ص ٣٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩١٢م) وذلك سنة٢٨٩هـ/٩١٠م تمرد أهالي مدينة قلعة رباح على حكومة قرطبة ، الأمر الذي تطلب إرسال الأخيرة الوزير عباس بن عبد العزيز القرشي ، وتمكن من إخضاعها ، وقد علق ابن عذاري على ذلك يقوله: ((وفيها غزا الوزير عباس بن عبد العزيز إلى مدينة قلعة رباح ، وكان أهلها قد خالفوا ، وخلعوا الطاعة ، فافتتحها...))[١].

وفي بداية عهد الأمير عبد الرحمن الثالث(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) ، حدث تمرد في المدينة وكان الوالي عليها آنذاك عبيد الله بن فهر ، إذ خرج بها الفتح بن موسى بن ذي النون وكان من زعماء البربر ، واشترك معه حليفه محمد بن إدريس الرباحي المعروف بابن أرذبلش ، وعلى اثر ذلك بعث الأمير عبد الرحمن الثالث حملة عسكرية هي الأولى في عهده بقيادة الوزير عباس بن عبد العزيز القرشي ، الذي تمكن من هزيمة الفتح بن موسى وأتباعه وفراره من المعركة فيما قتل حليفه ابن أرذبلش ، وقد بعث برأسه إلى قرطبة حيث علق على باب السدة ، وبذلك طُهرت مدينة قلعة رباح وأحوازها من المتمردين والخارجين وكان ذلك سنة٣٠٠هـ/٩١٢م[٢].

وقد علق ابن حيان على هذه الأحداث بقوله: ((وكان أول الفتوح على الناصر لدين الله حدثان ولايته الفتح على فتح بن موسى بن ذي النون ، وذلك انه نكث اثر انعقاد بيغنه وخرج ينتهز الفرصة في مدينة قلعة رباح ومعه ظهيره محمد بن إدريس الرباحي

١) البيان المغرب، ١٤٧/٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٥٩/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المارد المعروف بابن أرذبلش فتلقى به الوزير القائد عباس بن عبد العزيز القرشي بالحشم ودارت بينهما حرب شديدة انجلت عن هزيمة فتح وقتل جملة من رجال ، واتبع جند السلطان إياه سحابة يومه حتى حجز بينهما الليل ، ونجا فتح إلى معقله مفلولا ، وظفر عبيد الله بن فهر عامل السلطان بقلعة رباح إلى مديدة بمحمد ابن أرذبلش صاحب فتح منصرفاً من بعض غاراته ، فقتله وبعث برأسه إلى باب السدة ، فكان أول رأس لمارق رفع في هذه السنة ، فتهافتت رؤوس المارقين بعده تهافت الدر.. وورد رأسه يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الأخر من هذه السنة لتتمة أربعين يوماً من بيعة الناصر لدين الله ، فبدت على إثره تباشير الصنع ودلائل الإقبال تقدمها))[1].

ولعل حالة عدم الاستقرار في مدينة قلعة رباح ، هي التي دعت فيما بعد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى إحداث تغييرات مستمرة في إدارة حكم هذه المدينة ، فذكر ابن حيان أنه في سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م تم تعيين شبيب بن أحمد لإدارة حكمها[2] ، ثم تم استبداله بعبد الله بن عبد الملك في شهر ربيع الآخر من سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م[3] ، كذلك تم استبدال الأخير بمحمد بن حمدون بن بسيل سنة٣٢١هـ/٩٣٣م[4] ، ولم يدم الأخير طويلاً في حكم المدينة

---

١) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٥٣- ٥٤.

٢) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٢٥٤.

٣) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص٢٨٥

٤) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٣١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ تم عزله وتعين بدلاً عنه عبد الملك بن عبد الله سنة٣٢٢هـ/ ٩٣٣م[١] ، ثم عزل في سنة٣٢٥هـ/٩٣٦م بأحمد بن محمد بن مبشر وعبد الله بن محمد بعد أن ضمت مدينة طليطلة إلى مدينة قلعة رباح[٢] ، وفي سنة٣٢٦هـ/٩٣٧م عُزل الأخيرين عن مدينتي طليطلة وقلعة رباح وفصلت إدارتهما ، وتم تعين براء بن مقاتل على مدينة طليطلة وعبد العزيز بن دري على مدينة قلعة رباح[٣] ، ثم تم تعيين هشام بن جهور على المدينتين سنة٣٢٨هـ/ ٩٣٩م بدلاً من قاسم بن رحيق الذي لم يذكر ابن حيان تاريخ توليته[٤].

ويبدو أن قاسم بن رحيق رجع إلى حكم مدينة طليطلة بعد مدة وجيزة ، وبقي هشام بن جهور في حكم مدينة قلعة رباح بعد انفصال إدارة الواحدة عن الأخرى ، ومما يدلل على ذلك ما ذكره ابن حيان أنه في سنة٣٢٩هـ/ ٩٤٠م عُزل قاسم بن رحيق عن مدينة طليطلة واستبدل بعيسى وسليمان أبناء محمد بن عيسى ، وقد ضمت إليهما مدينة قلعة رباح بعد عزل هشام بن جهور عنها[٥] ، وفي سنة٣٣٠هـ/٩٤١م عُزل عيسى وسليمان أبناء محمد بن عيسى وتولى بدلاً منهما الياس بن سليمان[٦].

---

١) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٣٥٥.
٢) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٤١٧.
٣) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٤٢٩.
٤) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٤٦٢.
٥) المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٤٧٢.
٦) لمقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص ٤٨٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والملاحظة الجديرة بالانتباه هنا فضلاً عن سرعة التغييرات الإدارية ، هي دمج إدارة المدينتين لأكثر من مرة ثم فصلهما ، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة قوة الدولة وضعفها فكلما كانت الدولة قادرة على بسط هيبتها على مناطقها قل عدد الولاة في حكم المنطقة الواحدة ، وكلما ضعفت الدولة كثر عدد الولاة والتغييرات الإدارية.

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) شارك أهالي مدينة قلعة رباح في استقبال القائد غالب بن عبد الرحمن[١] وقواته على اثر انتصاره على جيش الحسن بن كنون الإدريسي في المغرب سنة٣٦٣هـ/٩٧٣م والذي أقتيد أسيرا إلى قرطبة[٢] ، وقد أوضح ابن حيان في أحداث سنة٣٦٤هـ/٩٧٤م الحفاوة الكبيرة التي تم فيها استقبال القائد غالب بن عبد الرحمن بحضور الخليفة الحكم المستنصر وولده هشام المؤيد واستعراض قوات المدن الأندلسية القادمين من مناطقهم ، وضمنها قوات مدينة قلعة رباح ، والتي رجعت إلى مناطقها بعد انتهاء المراسيم[٣] ، ويدلل فخامة هذا

---

١) غالب بن عبد الرحمن مولى الخليفة الناصر واحد القادة المشهورين في حرب الثغور في عصر الخلافة فضلا عن أنه كان شاعرا أديبا قتل في مواجهة له مع ابن أبي عامر سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣٥ ؛ ابن الأبّار، الحُلة السِّيراء، ٢٥٧/١ - ٢٦٨ ؛ ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب، ٢٠١/١- ٢٠٢؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ٢٧٨/٢- ٢٩٨

٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)، ص١٠٢ ؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص٩٨ ما بعدها ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٤٤/٢- ٢٤٨.

٣) المقتبس(الحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)، ص ٢٠١- ٢٠٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشهد على أهمية الانتصار الذي تحقق ، وأيضا على دور المدن الأندلسية وتشجيعها العمليات العسكرية التي ترسل إلى خارج مناطق الأندلس.

وبعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر سنة٣٦٦هـ/٩٧٦م تعرضت مدينة قلعة رباح إلى هجمات النصارى ، وأصبحت معبرا لهجماتهم إلى المدن الأندلسية الأخرى وبخاصة مدينة قرطبة ، الأمر الذي أثار الرعب عند الوزير جعفر بن عثمان المصحفي[١] الذي طالب أهالي قلعة رباح بسد الطرق المؤدية إلى العاصمة قرطبة ، إلا أن الحاجب محمد بن أبي عامر رفض ذلك وأمر بالجهاد ، وقد علق ابن سعيد على ذلك بقوله: ((...وكانت النصرانية قد جاشت بموت المستنصر ، وجاء صراخهم إلى باب قرطبة ، وظهر من المصحفي جبن ، وأمر أهل قلعة رباح بقطع سد نهرهم ، يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته ، فأنف ابن أبي عامر من ذلك ، وقام بأمر الجهاد...))[٢].

ومن هذه الاعتداءات على مدينة قلعة رباح ما حدث سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م عندما قامت مملكة قشتالة(Castilla) بهجوم شديد على مدينة قلعة رباح مما أجبر أهلها إلى طلب النجدة من حكومة قرطبة

---

١) جعفر بن محمد بن عثمان المصحفي من البربر أديب شاعر استوزره الحكم المستنصر وولي الحجابة لهشام المؤيد توفي سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٥٦- ٦٥ ؛ ابن الأبّار، الحُلة السِّيراء، ٢٥٧/١ - ٢٦١ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ٢٦٥/٢ وما بعدها.

٢) المغرب في حلى المغرب، ١٩٥/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي بدت وكأنها عاجزة عن مناصرتهم ، واكتفى المصحفي على نسف القنطرة المبنية على نهر آنه لمنع تعرض الجيش القشتالي لقلعة رباح ، وهنا برز دور ابن أبي عامر الذي تولى قيادة حملة تمكنت من دخول أراضي جليقية(Galicia) ثم عاد منتصراً إلى قرطبة[1].

عاد محمد بن أبي عامر مرة أخرى لمهاجمة مملكة قشتالة في السنة نفسها ، وقد اشترك معه في هذه الحملة القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الجبهة الشمالية ، وخرجا من مدينة مجريط(Madrid)[2] ، وتوغلا بقواتهما العسكرية في أراضي مملكة قشتالة ، وتمكن من السيطرة على حصن مولة(Mola) بعدها عادت القوات أدراجها ، وقد تمكن ابن أبي عامر من كسب القائد غالب بن عبد الرحمن إلى جانبه في هذه الحملة[3] ، بعد أن عانى الأخير كثير من لوم المصحفي واتهامه بالتخاذل عند هجوم مملكة قشتالة على قلعة رباح[4].

وفي أعقاب سقوط الدولة العامرية وما صاحبها من فتن ، كانت قلعة رباح مسرحا يأوي إليها المتصارعون على السلطة ، فقد التجأ إليها الخليفة سليمان المستعين(ت٤٠٧هـ/١٠١٦م) مع أنصاره من البربر

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٦٤- ٢٦٥ ؛السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص١٨٩.

٢) يطلق عليها أيضاً مدريد وهي مدينة أندلسية تقع بالقرب من مدينة طليطلة بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني وتعد من الحصون المنيعة في الأندلس، ينظر : الحميري، صفة، ص١٧٩- ١٨٠.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢ /١٨٩.

٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، ١/٦٣- ٦٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أثناء صراعهم مع الخليفة المهدي(ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وذلك سنة٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م[١] ، كما التجأ إليها أيضا الخليفة المخلوع هشام المؤيد ومنها كان اختفاءه[٢] ، ويبدو أن لتوسط موقع مدينة قلعة رباح بين قرطبة ومنطقة الثغر الأوسط فضلاً عن حصانة قلعتها وانتشار العرب بها جعلها محط أنظار المتنافسين على السلطة في قرطبة آنذاك.

وبعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م تمزقت البلاد إلى طوائف ودويلات متناحرة((إذ تناثرت أشلاؤها ، وتعددت الرياسات في أنحائها ، لا تربطها رابطة ، ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة ، لكن تفرق بينها منافسات وأطماع شخصية وضيعة ، وتضطرم بينهما حروب أهلية صغيرة ، والأندلس خلال ذلك كله تفقد مواردها وقواعدها القديمة تباعاً ويحدق بها خطر الفناء من كل صوب))[٣] ، وقد أدى هذا إلى أن استقل بني ذي النون بحكم طليطلة ، وكانت مدينة قلعة رباح تابعة في ذلك الوقت إلى طليطلة ، فبعد وفاة يحيى بن ذي النون[٤] (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م) ومجيء

---

١) ابن الأثير، الكامل، ٢١٨/٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٩٠/٢٧.

٢) ابن الأثير، الكامل، ٢١٨/٩- ٢١٩ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩ / ٣٨٩.

٣) عنان، دول الطوائف، ص١٤.

٤) دخل يحيى الملقب بالمأمون في نزاع مع سليمان بن هود حول بعض المناطق الحدودية وبخاصة وادي الحجارة (Guadajara)، فاستعان الأول بملك قشتالة، ولكن طريق النزاع لم يتغلب بعضهما على بعض، ولكن أدى ذلك إلى إضعافهما، وإنهاكهما مادياً، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٨١/٣- ٢٨٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٧- ١٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حفيدة القادر بن ذي النون[1] لحكم طليطلة ، فقد ولى الأخير حكم مدينة قلعة رباح إلى حريز بن حكم بن عكاشة ، إذ كان الأخير وعائلته من المخلصين لدولة بني ذي النون والمدافعين عنها[2].

ومما يدلل على شجاعة حريز ما ذكره المقري من أنه في عهد المأمون بن ذي النون كان قد طلب منه ملك قشتالة الفونسو السادس الاجتماع به يوماً ، فوافق حريز على طلبه بشرط أن يسترهنه في نفسه عدة من أمراء الروم ، فأجابه الملك إلى ما ارتهن ، وكان مكان اللقاء مدينة قلعة رباح ، وخرج حريز لابسا لامة حربه ، فلما وصل فسطاط الملك تلقته الأمراء بالرحب والسعة ، ولما أراد النزول عن فرسه ركز رمحه في الأرض ، ثم قال له الملك: يا حريز أريد أن أنظر إلى مبارزتك هذا الفارس البطل ، فقال له حريز المبارز لا يبارز إلا أكفاءه ، وأن لي بينة على صدق قولي أن ليس لي فيهم كفء ، هذا رمحي قد ركزته ، فمن ركب واقتلعه فقد بارزته ، كان واحداً أو عشرة ، فركب عظيمهم فلم يهز الرمح من مكانه حين رامه ، ثم فعل ذلك مراراً ، فقال له الملك: أرني يا حريز كيف تقلعه ، فركب وأشار بيده واقتلعه ، فعجب القوم ، ووصله الملك وأكرمه[3].

---

١) تولى حكم مدينة طليطلة بعد وفاة جده المأمون سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م وقتل سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، ينظر : ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٧٩، ١٠٣.

٢) ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/١٧٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٥٨- ١٥٩ ؛ ابن خلدون، العبر، ٤/١٦٦.

٣) نفح الطيب، ٥/٩٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد سقوط طليطلة بيد النصارى سنة٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، أصبحت مدينة قلعة رباح تابعة إلى قرطبة[١].

وعند دخول المرابطين(Almoravides) قرطبة سنة٤٨٤هـ/١٠٩١م والسيطرة عليها من أمراء الطوائف ، أخذوا في ذلك الوقت الاهتمام بمدينة قلعة رباح قاصية بلاد المسلمين لأنها تشكل الخط الفاصل بينهم وبين النصارى ، لذلك بعث المرابطون بعد سيطرتهم على قرطبة قوة عسكرية تقدر بألف فارس إلى مدينة قلعة رباح لضبط أمورها وسد ثغورها[٢].

تعرضت مدينة قلعة رباح في بداية الربع الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لهجمات النصارى ، ولعل الغرض من ذلك هو النفاذ منها إلى العاصمة قرطبة القريبة منها ، إذ كانت قلعة رباح حلقة الوصل التي تربط مدينة طليطلة بقرطبة ، ففي سنة٥٢٦هـ/١١٣١م خرجت حملة عسكرية من مملكة قشتالة وانطلقت من طليطلة إلى جهة قرطبة ، وعلى أثر ذلك وصل الخبر إلى أمير غرناطة(Granada) والمرية(Almeria) المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فجهز حملة تصدت لهم ، وحدثت بالقرب من قلعة رباح معركة شديدة بين الجانبين أسفرت عن هزيمة النصارى وتكبيدهم خسائر جسيمة ، وقد أسر في هذه المعركة قائد الجيش القشتالي وعشرين من زعمائهم بالإضافة إلى غنائم كثيرة ،

---

١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٣٩/٢ ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٦٨.

٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٤- ١٥٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعدها توجه الأمير المرابطي تاشفين بن علي إلى مدينة قلعة رباح فوجدها معرضة للتخريب والتدمير ، وربما كان بسبب هجمات النصارى عليها ، فأمر بإصلاح أحوالها ، وترك فيها أسرى النصارى لكي يفادوا بها من أسراهم الذين أسرهم النصارى من أهالي قلعة رباح في المواجهات السابقة ، بعدها رجع تاشفين بن علي إلى مدينة غرناطة وهو ظافر بالنصر[١].

وكرد فعل على هجمات النصارى ، ومن أجل إيقافها والحد منها ، ارتأى المرابطون القيام بمهاجمة النصارى بعقر دارهم ، فتوجهت حملة بقيادة تاشفين بن علي بن يوسف إلى مملكة قشتالة سنة٥٣١هـ/١١٣٦م حيث اقتحم مدينة كركي(كركوي) على مقربة من مدينة قلعة رباح ، إلا أن المدينة وجدت خالية من أهلها ، وقد أورد ابن الخطيب أبياتاً نظمها الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال[٢] يمتدح فيها الأمير تاشفين بن علي ويشير إلى موقعة كركي جاء فيها:

الله أعطاك فتحاً غير مشترك

ورد عزمك عن فوت إلى درك

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٥/٤- ٨٦ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٥١/١- ٤٥٢.

٢) هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن خالصة بن فرج بن مجاهد ابن أبي الخصال الغافقي، أصله من فر غليط من شقورة، من كورة جيان، وسكن قرطبة وغرناطة، كان كاتباً بليغاً ومحدثاً وله معرفة باللغة والأدب والتاريخ، قتل بقرطبة سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٩٣/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أرســل عنــان جــواد أنــت راكبــه

واضــم يــديك ودعــه في يــد الملــك

حتــى يصــير إلى الحســني علــى ثقــة

يهــدي ســبيلك هــاد غــير مؤتعــك

قــد كــان بعــدك للأعــداء مملكــة

حتــى اســتدرت علــيهم كــورة الفلــك

ســارت بــك الجــردا وطــار القضــابها

والحــين قــد قيــد الأعــداء في شــرك

فمــا تركــت كميــا غــير منفغــر

ولا تركــت نجيعــاً غــير منســفــك

نــاموا ومــا نــام موتــور عــل حنــق

أســدى إذا فرصــة مــن الســلك

فصــبحتهم جنــود الله باطشــة

والصبح من عبرات الفجر في مسك[1]

ويبدو أن المكاسب التي تحققت للمسلمين على النصارى لم تستمر طويلاً ، إذ سرعان ما عاد التفوق النصراني مرة أخرى مع نهاية الدولة المرابطية وقيام دولة الموحدين(Los، Almohades) ، إذ سادت

---

١) ابن الخطيب، الإحاطة، ٤٥١/١ - ٤٥٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص١٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فترة من الاضطراب السياسي والعسكري في الأندلس بعد أن ثارت أغلب المدن الأندلسية ضد الحكم المرابطي[1] ، ولعل هذا الأمر قد سهل للنصارى تحقيق أهدافهم ، ففي أواخر سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م قاد ملك قشتالة الفونسو السابع(السليطين)(Alfonso Raimudez)(٥٢٠-٥٥٢هـ/١١٢٦-١١٥٧م) حملة عسكرية إلى مدينة قلعة رباح التي تعد آنذاك من أهم معاقل الثغر الأوسط الأندلسي ، وتمكن من الاستيلاء عليها محدثاً بذلك ثغرة خطيرة في خطوط الدفاع الأندلسية[2] ، ثم تتابعت المدن الأخرى بالسقوط بيد النصارى ، ففي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م سقطت مدينة المرية[3] ، ومن ثم مدينة طرطوشة(Tortosa) سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م[4].

وبعد إحكام النصارى سيطرتهم على مدينة قلعة رباح ، أصبحت الأخيرة في مقدمة المعاقل الأمامية التي تحمي مداخل مملكة قشتالة ، فضلاً عن أهميتها الدفاعية ، إذ كانت تشرف على مقاطعة جيان الأندلسية ، وكان الفونسو السابع قد عهد بالدفاع عنها

---

١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورات، ينظر : دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٤٧- ١٠٠.

٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٧١.

٣) ابن الأثير، الكامل، ١٢١/١١ ؛ المراكشي، المعجب، ص١٤٧ ؛ ابن الآبار، التكملة، ٥٢/١ ؛ المقري، نفح الطيب، ٤٦١/٤.

٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٠ ؛ ابن الأثير، الكامل، ١٣٦/١١ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ١٢٦/٢ ؛ ابن السباط، صدق الأخبار، ٨٩/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى فرسان الداوية[1] ، إذ كانت القوات الموحدية تهاجم هذه المدينة من وقت لآخر دون التمكن من السيطرة عليها[2].

وبعد استرجاع الموحدون مدينة المرية سنة٥٥٢هـ/١١٥٧م[3] ، جددوا هجماتهم في سنة٥٥٣هـ/١١٥٨م على مدينة قلعة رباح ، ولم يستطع فرسان الداوية إنقاذها إلا بصعوبة وذلك بسبب قوة الجيش الموحدي ، ولعل هذا السبب دفع فرسان الداوية إخلاء مدينة قلعة رباح بعدما أيقنوا بعدم قدرتهم على مقاومة المسلمين ، وقبيل مغادرتهم سلموها إلى ملك قشتالة سانشو للدفاع عنها أو يعهد إلى من يستطيع ذلك ، وفعلاً عهد إلى الراهبان رامون ريموندو رئيس دير فتيرو ، والراهب ديجو بلاسكيت من مدينة طليطلة ، وقد تعهد الراهبان بمهمة الدفاع عنها ، وأيد مهمتهما يوحنا مطران طليطلة الذي وعدهما بالغفران ، ولكل من يتقدم للدفاع عن القلعة[4].

---

١) هم فرقة من الصليبيين حبسوا أنفسهم لقتال المسلمين وامتنعوا عن النكاح وغيره، ولم يكن عليهم لأحد طاعة وكانوا ينسبون إلى حصن حصين من نواحي الشام، وقد أطلق المسلمون هذا على فرسان المعبد Templers وهم الجماعة التي أسسها Hughda payns سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م لحماية طرق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس، ثم تحولت إلى هيئة عسكرية دينية أصبح لها شأنها في الحروب الصليبية، ينظر : ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، م٤، ٣٨/٢ ؛ حاشية(١٤١).

٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥١٩.

٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٧١/١ ؛ سالم، تاريخ مدينة المرية، ص٩٧.

٤) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استطاع الراهب رامون من أن يجمع حوله في مدينة قلعة رباح عشرين ألف مقاتل ، للتمكن من صد هجمات الموحدين ، كما رأى الراهب أن يؤسس جمعية من الذين يرغبون أن يكرسوا حياتهم للدفاع عن النصرانية ، وهكذا أقيمت جمعية أطلق عليها اسم(فرسان قلعة رباحLa، Orden de Calatrava)سنة٥٥٧هـ/ ١١٦١م ، وقد انتخب الراهب رامون أول رئيس لها ، وصادق البابا الاسكندر الثالث(٥٥٤-٥٧٧هـ/١١٥٩-١١٨١م) على قيامها ، وطبقت عليها النظم الحربية كي تؤدي مهمتها الرئيسة في محاربة المسلمين بكل حماسة ، ولما توفي مؤسسها رامون سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م خلفه في رئاستها الراهب غرسيه النافاري ، ووضع الراهب الجديد للجمعية نظاماً جديداً أقره البابا الاسكندر الثالث ، ثم وضع البابا أنوسنت الثالث(٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٨-١٢١٦م) بعد ذلك الجمعية تحت حمايته سنة٥٩٦هـ/١١٩٩م[1].

ويبدو أن وجود مدينة قلعة رباح كقاعدة عسكرية فاصلة بينهم وبين المسلمين قد ساعدهم في تسهيل مهاجمة المناطق الأندلسية ، ففي سنة٥٦٨هـ/١١٧٢م خرجت قوة عسكرية من مملكة قشتالة بقيادة حاكمها الكونت خمينو(سان منوس) مخترقة مناطق قلب الأندلس جنوباً عبر نهر الوادي الكبير وانحدرت إلى أحواز أستجة ثم اتجهت صوب قرطبة ، وعلى اثر ذلك أخذت الاستعدادات العسكرية الإسلامية لمواجهة النصارى ، إذ عبر الجيش الموحدي نهر الوادي

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٥١٩ - ٥٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الكبير وسار باتجاه قرطبة ، وأخذ بملاحقة نصارى قشتالة وتتبع أثرهم ، وكان الجيش القشتالي قد توقف في سهل متسع يعرف بفحص كركوي على مقربة من مدينة قلعة رباح ، وقد أدرك الموحدون من أن النصارى يريدون اللقاء في هذا المكان ، فاخذوا بالاستعداد للمعركة الفاصلة ، وحدثت المواجهة بين الطرفين ، وانهزم النصارى ولجأوا إلى جبل وعر في نهاية سهل كركوي ، فلاحقهم المسلمون إلى أعلى الجبل واشتبكوا معهم في معركة شديدة ، وكان الكونت خمينو يراقب المعركة من خيمته في أعلى الجبل ويحث جنوده على مواصلة القتال ، إلا أن المسلمين تمكنوا من هزيمة أعدائهم بعد أن مزقت صفوفهم وقتل الكثير منهم ، ووصل الموحدون إلى خيمة الكونت خمينو وقتلوه ولم يفلت من النصارى سوى مأتين منهم بعد أن فروا من أرض المعركة[١].

وقد علق ابن أبي صاحب الصلاة على هذه التطورات العسكرية بقوله: ((...فتدافع الموحدون أيدهم الله مع النصارى المذكورين في ذلك الجبل الوعر الملتف بالشعراء والحجارة ، في حيث لا ينفد لفارس جري ولا مشي ، فبعد نصف النهار من طعن وضرب ، ومقارعة وحرب ، هزم الله المشركين ، وقطع دابر الكافرين ، والحمد لله رب العالمين ، ووصل الموحدون إلى اللعين الأحدب الكافر وهو على سريره في خبائه ، وقتل عليه ، واحتز رأسه من جسده لديه ، وقتل جميع من

١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٥٦٠- ٥٦١ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٨٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان معه ، واتصلت الهزيمة على النصارى في ذلك الجبل وفي الفحص المتصل به حتى حال الليل بين الموحدين وبينهم ، ولم ينج من النصارى إلا قليل قدروا بنحو مائتي فارس...))[١].

ولعل اتخاذ النصارى المعركة بالقرب من مدينة قلعة رباح هي محاولة من قبلهم للانقضاض عليهم ، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك بسبب يقظة الجيش الموحدي وقوته ، وعدم السماح لأعدائه من التحكم بسير المعركة وبالتالي إلى انهزام النصارى وقتل أعداد كبيرة منهم.

ويبدو أن سهولة اختراق المسلمين مدينة قلعة رباح لرد الاعتداءات النصرانية ، دعت فيما بعد ملك قشتالة الفونسو الثامن (٥٥٣-٦١١هـ/١١٥٨-١٢١٤م) بإنشاء حصن جديد في المحلة المسماة بالأرك(**Alarcos**) ، وهي محلة صغيرة من أعمال قلعة رباح ، تقع فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادي آنه ، وكانت في ذلك الوقت هي نقطة الحدود بين مملكة قشتالة وأراضي المسلمين ، لذلك اتخذ ملك قشتالة من هذه المنطقة معسكرا لقواته حتى يمنع الجيش الموحدي من العبور إلى داخل مملكته(٢) ، في حين استمر الخليفة الموحدي المنصور(٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) سيره مخترقاً مدينة قلعة رباح حتى وصل إلى مقربة من مكان القوات النصرانية

---

١) تاريخ المن بالإمامة، ص٥٦١.

٢) الحميري، صفة، ص١٢- ١٣ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٥- ٢٢٦ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعسكرة في منطقة الأرك وعلى مرحلتين منها تقريباً ، ونزل في هذا المكان في يوم الخميس٣شعبان٥٩١هـ/١٣ يوليه ١١٩٤م[١].

وتشير الرواية النصرانية إلى أن الخليفة الموحدي المنصور قرر الزحف بقواته إلى محلة النصارى ، وفعلاً تحركت الجيوش الموحدية أمام ربوة الأرك حتى صارت على مقربة منها ، ثم نزلت في السهل الممتد أمامها ، وكان ذلك في٨ شعبان سنة٥٩١هـ/١٧ يوليه ١١٩٤م ، وعلى اثر ذلك خرجت قوات النصارى وتقدمت قليلاً من مراكز القوات الموحدية ، ولكن الموحدين لم يخوضوا المعركة في ذلك اليوم ، وقرروا خوضها في اليوم التالي ، ولما رأى النصارى المتقدمون فتور الموحدين عادوا إلى محلتهم فوق ربوة الأرك وقد أثقلتهم أسلحتهم[٢].

وفي يوم٩ شعبان/١٨ يونيه من السنة أعلاه وقعت المعركة بين الجانبين-الإسلامي والنصراني—إذ اندفعت الجيوش الموحدية نحو محلة القشتاليين ، واشتد القتال بينهما ، وكثر القتل في مقدمة القشتاليين ، واستمر القتال على هذا الوضع بكل عنف وشدة حتى اضطر الجيش القشتالي إلى الفرار نحو الربوة التي تحت سيطرتهم ، وبدت بوادر الهزيمة على قوات مملكة قشتالة[٣].

بعد ذلك لجأت فلول القشتاليين إلى حصن الارك بقيادة دون ديجولوبث دي بسكاية وكانوا حوالي خمسة آلاف ، فحاصر الموحدون

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٣.

٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨/٧؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٢.

٣) الحميري، صفة، ص١٣ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٥- ٢٢٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحصن ، إذ كان الخليفة الموحدي يعتقد أن ملك قشتالة لجأ إليه ، ولكنه تأكد فيما بعد أن الملك القشتالي قد لاذ بالفرار إلى مدينة طليطلة ، وفي ضوء ذلك طالبهم الخليفة المنصور بتسليم الحصن فورا ، وأن يعطوه اثنا عشر فارساً كرهينة مقابل أن يحضر دون ديجولوبث إليه في مراكش ويسلم نفسه أسيراً ، وإلا أنه سوف يقوم باقتحام الحصن ويقتل كل من فيه ، وبعد مفاوضات اتفق الطرفان أن يفرج النصارى عن خمسة آلاف من أسرى المسلمين مقابل إطلاق القشتاليين المحصورين بالحصن ، وقد قبل الخليفة المنصور ذلك حرصاً على استنقاذ أسرى المسلمين ، وهكذا استطاع دون ديجولوبث أن يخرج من الحصن ويلحق بملك قشتالة في مدينة طليطلة[1].

وقد أكد الحميري هذه الرواية بقوله: ((...فالتقى الجمعان بجسر الارك والتحم القتال فانهزم العدو وركبهم بالسيف في ضحى يوم الأربعاء تاسع شعبان إلى الزوال وانتهب محلة الروم وقتل منهم ثلاثين ألفاً ، واستشهد من المسلمين دون الخمسمائة ، وأفلت أذفونش واجتاز على طليطلة لا يعرج على شيء في عشرين فارساً ، وحصر المسلمون فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف فصالحوا بقدرهم من أسارى المسلمين))[2].

أما ابن أبي زرع فقد ذهب عكس ذلك ، فأشار إلى أن الموحدين دخلوا حصن الارك عنوة بعد قتل وأسر أعدادا كبيرة من

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٠٩.

٢) صفة، ص١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصارى ، إذ قال: ((...وأحاط المسلمون بحصن الارك ، وهم يظنون أن الفونسو لعنه الله قد تحصن فيه ، وكان عدو الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الأخرى ، فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة ، واضرموا النيران في أبوابه ، واحتووا على جميع ما كان فيه وفي محلة النصارا من الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية ، وقتل في هذه الغزاة من الكفرة ألوف لا تعد ولا تحصى ، ولا يعلم لها عدد إلا الله تعالى ، وأخذ في حصن الأراك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا ، فامتن عليهم أمير المؤمنين وأطلقهم بعد ما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان ويد علياً عليهم ، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك ، وكانت هاذه الغزاة الكريمة والوقعة العظيمة يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم من سنة إحدى وتسعين وخمسمائة/١٨ يوليوز سنة ١١٩٥م))[١].

وبعد هذا الانتصار الذي تحقق للمسلمين ، بعث الخليفة المنصور قواته مباشرة إلى أراضي مدينة قلعة رباح ، واستطاعت الاستيلاء على عدة حصون في هذه المدينة ، بعدها هاجموا المدينة نفسها[٢] ، وتمكنوا من اقتحامها بعد قتال شديد ، وانتزاعها من أيدي فرسان جمعية قلعة رباح الموكلة إليهم الدفاع عنها ، وقد قتل في هذه

---

١) الأنيس المطرب، ص٢٢٨.

٢) المراكشي، المعجب، ص٢٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعركة رئيس الجمعية نونيو دي فوينتس ، وغادر الفرسان قلعة رباح ، ولجأوا إلى قلعة شلبطرة القريبة منها[1] ، وهكذا تمكن المسلمون من استرداد مدينة قلعة رباح المنيعة بعد أن لبثت بيد النصارى منذ سقوطها في أيديهم زهاء نصف قرن ، وقد أمر الخليفة المنصور بتطهير جامعها الذي كان قد حول إلى كنيسة ، وجعل على حاميتها يوسف بن قادس[2] ، وبعد معركة الارك عقدت هدنة بين الطرفين ابتداءً من سنة٥٩٤هـ/١١٩٧م ولمدة عشر سنوات[3].

ويبدو أن هزيمة النصارى في موقعة الارك ومن ثم استرجاع المسلمين لمدينة قلعة رباح ، كان دافعاً للنصارى لأخذ الثأر ، وذلك بمهاجمة المناطق الأندلسية ، ففي سنة٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م خرج الفونسو الثامن بقواته من مملكة قشتالة ، وانضم إليه فرسان قلعة رباح الذين احتشدوا في قلعة شلبطرة ، وكانوا قد لجأوا إليها منذ أن انتزع الخليفة الموحدي المنصور قلعة رباح من أيديهم بعد معركة الارك ، وقد سار الفونسو الثامن باتجاه مدينتي جيان وبياسة(**Baeza**) وعاث فيها فساداً ، ثم انتسف الحقول وخرب الضياع وقتل وسبى ، كما عاث فرسان قلعة رباح خراباً وتدميراً في أحواز أندوجر واستولوا على عدة حصون ، وأصاب المسلمون خسائر كبيرة من جراء

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢١٤.

٢) المراكشي، المعجب، ص٢٠١ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٨/٧ ؛ الحميري، صفة، ص١٦٣.

٣) المراكشي، المعجب، ص٢٠٢ ؛ المقري، نفح الطيب، ٣٨٢/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غارات النصارى ، كما خرج الفونسو الثامن مرة أخرى سنة٦٠٧هـ/ ١٢١٠م وعاث في أراضي جيان وبياسة ووصلت غاراته إلى مرسية (Murcia) ، بعدها عاد إلى طليطلة محملا بالغنائم[1].

وفي الوقت نفسه ، تعرضت مناطق شرق الأندلس إلى هجمات النصارى ، وذلك على اثر هجمات الأسطول الموحدي إلى مياه مدينة برشلونة(Barcelona) ، فقد خرج ملك أراغون(Aragon) بيدرو(بطرة الثاني Pedro II)(٥٩٣-٦١٠هـ/١١٩٦- ١٢١٣م) بقواته من منتشون (Monzon) ومعه فرقة من فرسان المعبد(الداوية) وسار جنوبا نحو أراضي مدينة بلنسية(Valencia)واستولى على عدة حصون فيها[2].

إن تجمع النصارى في قلعة شلبطرة جعلها تشكل خطورة على المدن الأندلسية ولاسيما مدينة قلعة رباح القريبة منها ، لذلك كان من الضروري دفع هذا الخطر ، لذا جهزت حملة عسكرية إسلامية وقامت بمهاجمة شلبطرة بعد أن استولت على ارباضها والحصون القريبة منها وبخاصة حصن اللج ، واستمر الموحدون بمحاصرتها إحدى وخمسون يوماً إلى أن اضطر النصارى إلى تسليمها ومن ثم مغادرتها سنة٦٠٨هـ/١٢١١م ، بعد أن دخل الموحدون إليها وحولوا كنيستها إلى مسجد[3].

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٨٤.

٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٨٤.

٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٦ ؛ الحميري، صفة، ١٠٨- ١١٠ ؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر أيضاً : الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٩١ ؛=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن إجراءات المسلمين بتحويل الكنائس إلى مساجد في المدن التي تم الاستيلاء عليها من النصارى ، قد أثار حفيظتهم وحثهم على التحشد ضد المسلمين ، كما سارع في وصول الدعم الأوربي إليهم ، وبذلك أخذت حروبهم مع المسلمين تأخذ الصفة الصليبية ، وخاصة بعد سقوط شلبطرة وهي مركز فرسان قلعة رباح في أيدي الموحدين ، وقد أيد البابا أنسونت الثالث ذلك وكتب إلى الأساقفة يدعو النصارى في جنوب فرنسا وغيرها إلى التطوع لقتال المسلمين[١].

كانت الوفود المتطوعة تأتي تباعاً إلى مدينة طليطلة ، بعد أن أصبحت مكاناً لتجمع الجيوش النصرانية ، فجاءت أعداد كبيرة من المتطوعين الفرنسيين ، فضلاً عن وفود أخرى من المدن الاسبانية وفرسان الولايات القشتالية المختلفة ، وفرسان الجمعيات الدينية ، وهم: فرسان قلعة رباح ، وشنت ياقب(**Orden de Santiago La**) ، والأسبتارية (**Aospitalarios**) ، والداوية(فرسان المعبد) ، واجتمع كذلك سائر القوامس والفرسان القشتاليين ، ثم التحق بهم المحاربين الصليبيين من جميع إنحاء أوربا لمساعدة نصارى اسبانيا ، وبلغ أعداد هذه الوفود المتطوعة زهاء سبعين ألف مقاتل لمؤازرة الجيوش الاسبانية التي تتألف من جيوش قشتالة وأراغون ونافار(**Navarre**) ، ومن إمدادات من جليقية والبرتغال(**Portugal**) ، وتلقى ملك قشتالة أيضا مقادير من الأموال والسلاح والمؤن أرسلت إليه من أنحاء فرنسا وايطاليا ، وقد

=عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩١- ٢٩٢.

١) المراكشي، المعجب، ص٢٢٨ ؛ الحميري، صفة، ص١٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلغت المحصلة النهائية لهذه الجيوش أكثر من عشرة آلاف فارس ، ومائة ألف من الرجالة ، وأمر البابا أنسونت الثالث في روما بالصوم ثلاثة أيام ، التماساً لانتصار الجيوش النصرانية في أسبانيا على المسلمين ، وأقيمت الصلوات العامة ، وألقى البابا نفسه موعظة صليبية ، طلب فيها إلى النصارى التضرع إلى الله لنصرة النصرانية[1].

وقد وصف المراكشي أعداد النصارى واستنفارهم بقوله: ((وخرج الادفنس لعنه الله إلى قاصية بلاد الروم ، مستنفراً من أجابه من عظماء الروم وفرسانهم وذوي النجدة منهم ، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن السام[2] ، حتى بلغ نفيره إلى القسطنطينية ، وجاء معه صاحب بلاد أرغن المعروف بالبرشنوني لعنه الله))[3].

وبالمقابل أخذت الاستعدادات العسكرية للموحدين ، وقد استنفر الخليفة الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨- ١٢١٣م) الناس من سائر الجهات بلغت أعداداً كبيرة لمواجهة التحالف النصراني ، ففي يوم١٧ من محرم سنة٦٠٩هـ/٢٠ يونيه١٢١٢م خرجت الجيوش النصرانية من مدينة طليطلة باتجاه الجنوب ، وكانت تتكون من ثلاثة أقسام ، الأول جيش الطليعة ويتألف من قوات الوافدين وبلغ عددهم ستين ألف مقاتل ، وقدره

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٤.

٢) لعله يقصد بذلك الألمان بسبب اشتراك الجيوش الأوربية في هذا التحالف ومنها الألمانية، ينظر: المراكشي، المعجب، ص٢٢٨ هامش(٥).

٣) المعجب، ص٢٢٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البعض بمائة ألف مقاتل وكان يقوده القائد القشتالي ديجولوبيت دي هارو يعاونه عدد من أكابر الأحبار والقوامس ، ويتكون الجيش الثاني من قوات أراغون وقطلونية وفرسان الداوية ، ويقوده بيدرو الثاني ملك أراغون ، أما الجيش الثالث وهو جيش المؤخرة فكان يتألف من قوات قشتالة وليون والبرتغال وفرسان قلعة رباح وشنت ياقب والاسبتارية ويقوده الفونسو الثامن ملك قشتالة يعاونه عدد من القواد والأحبار وفي مقدمتهم ردريك مطران طليطلة[١].

وخرج الخليفة الناصر الموحدي بقواته من مدينة إشبيلية (Sevilla) في سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م باتجاه مدينة جيان ، قاصدا لقاء التحالف النصراني ، إذ كانت القوات النصرانية تسير نحو المناطق الأندلسية ووصلت في زحفها إلى حصن ملجون ، وهو من الحصون الحدودية الإسلامية ، فتمكنت هذه القوات من السيطرة عليه ، ثم واصلت زحفها باتجاه مدينة قلعة رباح التي تعد من أكبر وأمنع القواعد الإسلامية في تلك المنطقة ، إذ كان الخليفة المنصور قد استولى عليها بعد معركة الارك من فرسان قلعة رباح وعين لقيادتها أبا الحجاج يوسف بن قادس لغرض الدفاع عنها ، وكان لديه حامية عسكرية تتألف من سبعين فارساً أثناء تقدم النصارى إليها[٢].

وقد وصف ابن أبي زرع تقدم النصارى نحو مدينة قلعة رباح بقوله: ((...فلما استوفت لدى الفونسو الثامن جيوشه وحشوده ،

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٥- ٢٩٦.

٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتكاملت لديه وفوده ، أقبل في جيوشه حتى نزل ثغرا من ثغور المسلمين يقال له قلعة رباح...))[1].

في حين وصف المراكشي ذلك بقوله: ((...وخرج الأدفنش لعنه الله من مدينة طليطلة في جموع ضخمة ، حتى نزل على قلعة رباح ، وهي كانت للمسلمين...))[2].

واجه النصارى بعض العقبات خلال تقدمهم إلى مدينة قلعة رباح وبخاصة عند عبور نهر آنه الذي تقع قلعة رباح على مقربة من ضفته الجنوبية ، إذ كان المسلمون قد نثروا على جانبيه الصنانير والخوازيق الحديدية ، فلما عبروا النهر ، حاصروا قلعة رباح في الحال ، إلا أن القلعة كانت تتمتع بأسوار وأبراج في منتهى الحصانة ، فضلاً عن مناعتها الطبيعية بوقوعها جنوبي النهر ، لذلك تردد النصارى في مهاجمتها في بادىء الأمر ، وبقوا تحت أسوارها ثلاثة أيام لكي يجدوا ثغرة لاقتحامها ، وفعلاً هوجمت قلعة رباح وتمكن النصارى المتحالفين أن يحتلوا قسمها الخارجي الذي يحاذي النهر ، الذي هو الأضعف من بين أقسامها ، بعدها دخل الطرفان-لإسلامي والنصراني-في تفاهم حول تسليم قلعة رباح إلى النصارى مقابل منح الأمان لحاميتها ، وتركهم أحراراً في مغادرتها إلى بلادهم ، وقد أيد هذا الرأي واليها يوسف بن قادس الذي أيقن بعدم جدوى المقاومة وتعريض جنوده إلى الهلاك ، كما أنه يأس من الاستنجاد بالخليفة الناصر ، لذا رأى من

---

١) الأنيس المطرب، ص٢٣٧.

٢) المعجب، ص٢٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصلحة التفاوض مع النصارى بدلاً من الدخول في معركة خاسرة ، وقد وافق الفونسو الثامن ملك قشتالة على الحل السلمي الذي يتمكن فيه من الاستيلاء على مدينة قلعة رباح دون تأخير أو مصادمات ، إلا أن حلفاءه النصارى من الأرغونيين والأجانب الوافدين عارضوا أي تسوية تحقن بها دماء الحامية الإسلامية ، ولكن في المحصلة النهائية تمت الموافقة على ذلك ، بعد أن رأوا أن يوسف بن قادس مصمم على الدفاع عن المدينة إذا لم يجب طلبه ، لذلك تم الاتفاق على أن يغادر الفرسان المسلمون دون سلاح ، ومعهم خمسة وثلاثون من الخيل ، وهكذا تمكن الفونسو من الاستيلاء على مدينة قلعة رباح سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م ، وفي الحال سلمها إلى فرسان قلعة رباح أصحابها السابقين[1].

وقد علق على ذلك ابن أبي زرع بقوله: ((...فلما طال الحصار على ابن قادس ونفذ ما كان عنده بالحصن من الأقوات والسهام ويئس من الإغاثة وخشي أن يدخل الحصن على من به من المسلمين فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدو...))[2].

وبعد أن تمكن النصارى من الاستيلاء على مدينة قلعة رباح ، حصل خلاف بين القشتاليين وحلفاءهم النصارى الوافدين ، وذلك لأن الوافدين الصليبيين وجدوا في خروج المسلمين أحراراً أحياءً ، عملاً غير مبرر ، ولا يتفق مع أغراض الحرب الصليبية ، كما أن

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٧- ٢٣٨ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٦- ٢٩٧.

٢) الأنيس المطرب، ص٢٣٧- ٢٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفونسو الثامن وجد في قلعة رباح كميات كبيرة من المؤن وقد قسمها بالتساوي بين النصارى الوافدين والمحاربين الأصليين ، ولكن ظهرت إشاعة بين النصارى الوافين بأن الفونسو الثامن قد عثر بقلعة رباح على تحف وذخائر كثيرة استأثر بها لنفسه ، الأمر الذي أسخط جموع كثيرة من الوافدين ، وقرروا الرجوع إلى بلادهم بعد أن وفوا بعهودهم في مقاتلة المسلمين في ملجون وقلعة رباح ، وقد أيدهم في ذلك مطران بوردو(**Bordeaux**) أعظم أحبارهم ، ولم تنجح جهود ملك قشتالة والنصارى الأسبان الآخرين في إقناعهم بالعدول عن قرارهم ، وغادر معظم النصارى الوافدين المعسكر القشتالي ، ولم يبق منهم سوى أرنولد أسقف مدينة أربونة(**Nardonne**) مع رجاله ، والكونت تيوبالد بلاسكون وهو قشتالي الأصل ، وكان عدد رجالهم مائة وثلاثون فارساً ، أما الذين غادروا فبلغ عددهم زهاء خمسين ألف مقاتل اخترقوا قشتالة باتجاه جبال البرت عائدين إلى بلادهم[1].

وقد وصف المراكشي حالة الخلاف التي وقعت بين النصارى بعد السيطرة على مدينة قلعة رباح بقوله ((...فسلمها إليه المسلمون الذين بها ، بعد أن أمنهم على أنفسهم ، فرجع عن الادفنش لعنه الله بهذا السبب من الروم جموع كثيرة ، حين منعهم من قتل المسلمين الذين كانوا بالقلعة المذكورة ، وقالوا: إنما جئت بنا لتفتح بنا البلاد وتمنعنا من الغزو وقتل المسلمين ، ما لنا في صحبتك من

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حاجة على هذا الوجه))[1].

أما بالنسبة لمصير يوسف بن قادس قائد قلعة رباح فبعد أن رجع إلى بلاده وسلم للنصارى مدينة قلعة رباح ، أتهم بالخيانة فأمر الخليفة الناصر الموحدي بإعدامه مع صهره دون أن يستمع إليه أو يستوضح رأيه[2].

ويبدو أن مقتل يوسف بن قادس وصهره من قبل الخليفة الناصر لم يلق قبولاً من قواد الأندلس ، إذ أوضح ابن أبي زرع ذلك بقوله: ((...فجمد الناس عند قتلهما وحقدوا على محمد الناصر ، وفسدت نيات قواد الأندلس ، ثم خرج الوزير ابن جامع إلى مخيم الساقة فأمر بإحضار قواد الأندلس ، فاحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا من جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم...))[3].

وكان لسقوط مدينة قلعة رباح في أيدي النصارى أثر كبير في نفس الخليفة الناصر ، كما أن الفونسو الثامن بعد استيلائه على هذه المدينة تمكن من التغلب بسرعة على ما حدث في المعسكر النصراني ، بسبب رحيل بعض الجنود الوافدين ، فنظم ما تبقى من قواته المكونه من قوات قشتالة وأراغون وجليقية والبرتغال ، كما انضم إليه ملك نافار أيضاً بالرغم من خصومته القديمة لمملكة

---

١) المعجب، ص٢٢٩.

٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٨ ؛ الحميري، صفة، ١٣٧.

٣) الأنيس المطرب، ص٢٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قشتالة ، وبذلك توحدت جهودهم لمواجهة المسلمين[1].

ومن جانب آخر وكرد فعل من قبل المسلمين ، خرج الخليفة الناصر بقواته لمواجهة التحالف النصراني الذي كان بقيادة الفونسو الثامن لأخذ الثأر منهم ، وقد التقى الطرفان سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م في موضع عرف بالعقاب يقع بين مدينتي جيان وقلعة رباح ، وفيها خسر الموحدون المعركة ، وقتل أعداداً كبيرة منهم ، وعلى اثر هذه الموقعة تغير ميزان القوى ، ولم يعد في مقدور دولة الموحدين حماية الثغور الأندلسية من هجمات النصارى[2].

ثالثاً : الحياة الفكرية في مدينة قلعة رباح

خضعت مدينة قلعة رباح لحكم العرب المسلمين حوالي خمسة قرون ، وقد استوطنها العديد من القبائل العربية والبربرية ، وطيلة تلك المدة طُبِعت المدينة بالطابع العربي الإسلامي ، فظهر فيها العديد من رجال الفكر في مختلف حقول المعرفة ، ومما ساعد على ذلك أنها بقيت مدة قبل سقوطها تمثل ثغراً للمسلمين ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المرابطة فيها للجهاد ، فكان منهم القراء والمحدثين والفقهاء واللغويين والأدباء ، نذكر منهم:

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٢٩٩- ٣٠٠.

٢) لمزيد من التفاصيل ينظر : المراكشي، المعجب، ص٢٣٠ ؛ الحميري، صفة، ص١٣٧- ١٣٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٧٠ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٩١ وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١- أحمد بن محمد بن عافية الأندلسي الرباحي ، من أهل قلعة رباح ، سكن مصر ، روى عن محمد بن أحمد بن الوشاء[١] كثيراً من روايته ، وعن ابن غلبون المقرىء[٢] وغيرهم ، حدث عنه أبو عبد الله بن عبد السلام[٣] الحافظ[٤].

٢- أسد بن عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي ، من أهل طليطلة وأصله من قلعة رباح ، يكنى أبا بكر ، روى عن أبيه وجماعة سواه حدث عنه القاضي أبو عامر بن إسماعيل[٥] الطليطلي[٦].

٣- الحسن بن إبراهيم الرباحي ، يكنى أبا علي ، روى عن أبي الحسن الأنطاكي المقرىء[٧] وغيره ، حدث عنه الصاحبان[٨][٩].

---

١) قال ابن بشكوال هو محدث من أهل مصر، الصلة، ص١٢٦.

٢) هو أبو الطيب بن غلبون المقرئ من أهل مصر، ابن بشكوال، الصلة، ص١٠.

٣) أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحافظ، محدث، سكن قرطبة، روى عن أبي عبد الله بن مفرج وغيره، فقد في رقعة قنليش سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ابن بشكوال، الصلة، ص١٥٦.

٤) الحميدي، جذوة المقتبس، ص١١١ ؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ؛الضبي، بغية الملتمس، ص١٤٦.

٥) هو أيوب بن سليمان بن إسماعيل الطليطلي، سكن قرطبة وصحب محمد بن مسرة الجبلي، وكان قديم الجوار له طويل الملازمة توفي سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م، ابن الآبار، التكملة، ١/١٦٥.

٦) ابن الآبار، التكملة، ١/١٧٢.

٧) أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الأنطاكي، المقرئ نزيل الأندلس، توفي سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م، الذهبي، سير، ١٦/٣٥٥.

٨) الصاحبان هما أبو إسحاق بن شنظير، وأبو جعفر بن ميمون ؛ الذهبي، سير، ١٧ / ٧٠.

٩) ابن بشكوال، الصلة، ص١٢٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- رباح بن أبي القاسم بن عمر بن أبي رباح الخزرجي الرباحي ، يكنى أبا الحسن ، من أعيان الأندلس ، أصله من قلعة رباح ، ولديه معرفة بعلوم شتى منها علم الطب ، وقد سمع الحديث على ابن عتاب[1] وأبي بحر البلنسي[2] وآخرين بقرطبة[3].

٥- عبد الله بن سعيد بن أبي عوف العاملي الرباحي ، من أهل قلعة رباح ، قدم طليطلة واستوطنها ، محدث سمع من ابن أبي زمنين[4] وغيره ، كان فاضلاً ديناً ورعاً معقلاً مداوماً على صلاة الجماعة يصلى الصبح عند طلوع الفجر ، يفتح له باب المسجد

---

١) هو محمد بن عتاب بن محسن، يكنى أبا عبد الله، من أهل قرطبة وممن أشتهر بالفتوى، روى عن خلف بن يحيى بن غيث وأبي المطرف القنازعي وغيرهم، كان فقيهاً عالماً ورعا بصيراً بالحديث وعالماً بالوثائق وعللها، ومدار الفتوى في وقته توفي سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٨م، ابن بشكوال، الصلة، ص٤٢٧- ٤٢٩.

٢) لعله أبو بحر سفيان بن القاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عسي بن عبد الكبير بن سعيد الأسدي سكن قرطبة وأصله من مرياطر من شرق الأندلس، روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ، وأبي العباس العذري، وابن بشكوال، توفي سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، ابن بشكوال، الصلة، ص٧٣.

٣) السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص٣٩- ٤٠.

٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الإلبيري، فقيه مقدم، وزاهد مبتل، له تواليف في الوعظ، والزهد، وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا، وأشعار كثيرة في نحو ذلك، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك بن أنس، روى عنه أبو عمر أحمد بن يحيى بن سميق القاضي القرطبي، وعثمان بن سعيد المقرئ، توفي في حدود سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٥٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لصلاة الصبح ، ويغلق وراءه بعد صلاة العشاء ، وكان إذا قرأ الحديث أو قرىء عليه يبكي ، وكان يرابط في رمضان بحصن ولمش ، توفي سنة٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م[١].

٦- عبد الله بن محمد بن حزم بن حرب التيمي الأندلسي ، يكنى أبا محمد ، أصله من قلعة رباح ، سكن مصر ، محدث ، رحل إلى المشرق وحج ولقي بمصر أبا محمد عبد الله بن الوليد الأندلسي[٢] ، وجماعة من رجال المشرق ، وكانت له عنايةٌ ورواية ، وكان عنده أدبٌ وحلاوة ، وكان مشاركاً لمن قدم عليه من الأندلس ، كثير المبرة بهم قاضياً لحوائجهم ، وكان له اهتمام بالشعر منه قوله:

بصري فاتكٌ وطرفي عفيفٌ
عن حلالٍ وعن حرامٍ ضعيف
فوحق القرآن أني لعفٌ
غير أني للغانيات ألوف

وكانت وفاته بمصر في نحو٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[٣]

٧- عبد الله بن مسعود الرباحي ، من أهل قرطبة ، وأصله من

---

١) ابن بشكوال، الصلة، ص٢٢٧.

٢) أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري، أندلسي فقيه محدث زاهد، رحل من الأندلس قبل سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م فتفقه بالقيروان، ورحل إلى مكة وسمع فيها كثيراً، وأقام بها مدة وبمصر، ثم انتقل إلى بيت المقدس وبها توفي، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٣٤.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ص٢٣٦- ٢٣٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلعة رباح ، يكنى أبا محمد ، محدث ، حدث عنه أبو الحسن بن النعمة[١] لقيه بقرطبة في سنة٥١٣ هـ/١١١٩م[٢].

٨- علي بن فتح ، يكنى أبا الحسن ، كان شاعرا ، وتولى عمل قلعة رباح أيام الفتنة بعد سقوط الدولة العامرية ، قال عنه ابن سعيد: ((...أنه ساد فيها وتعب في تشييد الرياسة حتى استراح ، وتقدم في قرطبة زمن الفتنة ، وأنجب الأعيان المشهورين بها. وله شعرٌ يستعبد الشعراء إحسانه...))[٣].

٩- غالب بن رباح ، يكنى أبا تمام ، ويعرف بالحجام ، كان شاعراً ، قال عنه ابن سعيد: ((شاعر القلعة الذي نوه بقدرها ، ورفع من رأس فخرها ، لا أحاشي حديثاً ولا قديماً ، لا أخص لئيماً ولا كريماً ، وكان مدة ملوك الطوائف))[٤] ، أي أنه من أبناء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

١٠- قاسم بن الشارب الرباحي ، من قلعة رباح ، كان فقيهاً ومحدثاً ، ذكروه في المؤتلف والمختلف ، وذكره أبو محمد عبد الغني

---

١) هو أبو الحسن بن النعمة المريي، توفي ببلنسية سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، الذهبي، سير، ٥٢٩/٢٠.

٢) ابن الآبار، التكملة، ٢٥٠/٢.

٣) المغرب في حلى المغرب١١٤/١؛ ينظر عنه أيضاً:الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠٩.

٤) المغرب في حلى المغرب، ١١٤/١- ١١٥ ؛ رايات المبرزين، ص١٤٢- ١٤٥ ؛ ينظر أيضا: المقري، نفح الطيب، ٤١٥/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن سعيد الحافظ في كتابه نسبة النسبة[1].

١١- محمد بن سعد الرباحي الجياني ، أصله من جيان ، وسكن قلعة رباح ، كان صاحب حديث ، ولغة ، وشعر ، ذكره أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ[2][3].

١٢- محمد بن وهب بن بكير الكتاني يكنى أبا عبد الله ، محدث روى عن أبي محمد بن ذنين ، ومحمد بن يمن وغيرهم ، وكان يبصر المسائل ، ومعاني الأحكام ، وولي قضاء قلعة رباح ، وله فيه قدر وشرف لأنه كان معروفاً بالتضحية ظاهر الإخلاص لجماعة من الناس ، محبباً إليهم ، عفيفاً ، ليناً طاهراً ، ثم رحل إلى طليطلة واستوطنها إلى أن توفي بها سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[4].

١٣- محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى النحوى المعروف بالرباجى من أهل قرطبة وأصله من جيان ، وكان يزعم أنه من ولد يزيد بن المهلب ، محدث سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ[5] وغيره

---

١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٢٥ ؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٣٧٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤١٧.

٢) أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان الازدي المصري، الإمام الحافظ الحجة النسابة، محدث الديار المصرية، له كتاب المؤتلف والمختلف، توفي سنة ٤٠٩هـ/١٠١٨م، الذهبي، سير، ٢٦٨/١٧- ٢٧٢.

٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٦٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٧٧ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١١٢/١.

٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٤٢٦؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٥٤/٣١.

٥) قَاسِم بن أصْبَغ بن محمّد بن يُوسُف بن نَاصِح بن عَطَاء مَوْلَى الخليفة=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من ابن الأعرابى[1] وبمصر من أبى جعفر أحمد بن محمد النحاس[2] وغيره ، وكان علمه الغالب عليه العربية ، وكان أيضا فقيهاً إماماً موثوقاً ، استأدبه الخليفة الناصر لدين الله لابنه المغيرة ثم صار إلى خدمة المستنصر بالله في مقابلة الكتب وتوسع له في الجراية ، وكان رجلاً صالحاً متديناً وتوفى سنة٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[3].

١٤- مسعود بن خلصة الكلبي الرباحي ، محدث ، ينسب إلى

=الوليد بن عَبْد الملك بن مَرْوَان، من أهْلِ قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى: ويُعرَفُ باليَيَّاني سَمِعَ بقُرْطُبَة: من بَقِيّ بن مَخْلَد، وأبي عَبْد الله الخُشَنِيّ، ومحَمَّد بن وضّاح،وَرَحَل إلى المَشْرِق فَسَمِع بمكّة من مُحمّد بن إسْماعيل الصَّائغ وعَلَيّ بن عَبد العَزيز، كما دخل العراق ومصر، وكان عارفا بالحديث والرِّجَال؛ نَبيلاً في النَّحْو والغَرِيب والشِّعْر، وكان يُشَاوَرُ في الأَحْكامَ، توفي سنة٣٤٠هـ /٩٥١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٨٦؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٩٧.

١) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر بن الأعرابي من أهل مكة حدث عن أحمد بن منصور الرمادي والحسن بن علي بن عفان ومحمد بن عيسى العطار وغيرهم، وتوفي سنة٣٤٠هـ/٩٥١م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص ١٦٦- ١٦٧.

٢) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن إسحاق بن إبراهيم بن النحاس، محدث من أهل مصر، توفي سنة ٤١٥هـ /١٠٢٤م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص٣٣٨.

٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٠٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٣٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قلعة رباح ، من بلاد الأندلس ، ذكر في المؤتلف والمختلف[1].

١٥- نجده بن سليم بن نجدة الفهري الضرير ، من أهل قلعة رباح ، وسكن طليطلة ، يكنى أبا سهل ، محدث ، روى عن أبي عمرو المقرىء[2] وأبي محمد الشنتجالي[3] وغيرهم وتصدر بطليطلة لإقراء القرآن وتعليم العربية ، وكان من أهل المعرفة الكاملة والشعر الحسن وجمع شعر أبي الحسن الحصري ، حدث عنه أبو الحسن بن دري[4] وغيره ، وتوفي بعد سنة ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م[5].

١٦-يوسف بن سليمان الرباحي ، يكنى أبا عمر ، محدث ، روى عن أبي مروان عبد الملك بن إدريس الكاتب[6] ، روى عنه أبو

---

١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٤٠ ؛ ابن ماكولا، الإكمال، ١٣٤/٤ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٣٣.

٢) هو عثمان بن سعيد بن عثمان أبو عمرو المقريء كان إمام وقته في علم القراءات فضلاً عن أنه محدث وأديب له رحلة إلى المشرق، وتوفي سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧٣- ٢٧٣ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٨٢- ٣٨٣.

٣) هو أبو عثمان سعيد بن سعيد الشنتجالي حدث عن أبي المطرف بن مدراج، حدث عنه محمد بن سعيد بن نبات، ابن بشكوال، الصلة، ص١٨٧.

٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن دري المقرئ الخطيب بالمسجد الجامع بغرناطة، وأصله من طليطلة، روى بها عن أبي عبد الله المغامي المقرئ، وأبي الوليد الوقشي وغيرهم، وكان مقرئاً فاضلاً ضابطاً عارفاً بما يحدث أخذ الناس عنه، وتوفي بغرناطة سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، ابن بشكوال، الصلة، ص١٢٦.

٥) ابن بشكوال، الصلة، ص١٩٧ ؛ ابن الآبار، التكملة، ٢١٨/٢.

٦) عبد الملك بن إدريس بن نافع من أهل بجانة وسكن قرطبة رحل إلى=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري[1] المعروف بابن السراج[2].

١٧- يوسف بن سليمان بن مروان الأنصاري الرباحي ، يكنى أبا عمر ، كان فقيهاً عالماً ، متديناً ورعاً فاضلاً متقللاً من الدنيا ، جماعة للعلم ، طويل اللسان ، فقيه البدن ، نحوياً عروضياً شاعراً نسابة ، خيراً يسرد الصيام ويديم القيام ، يفر بدينه ، ويهرب من الناس ، ويخلو لربه ، وله كتاب في الرد على القبري ، حدث عنه أبو المطرف بن البيرولة[3] ، وذكره أبو محمد بن خزرج[4] وأثنى عليه

=المشرق حاجا وسمع بمصر من أبي عبد الله محمد بن جعفر الأنماطي المقرىء كتاب الوقف والابتداء عن نافع بن أبي نعيم من رواية ورش في سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م ثم قفل إلى الأندلس وعمل كاتباً للخليفة الحكم المستنصر، ابن الآبار، التكملة ٦٨/٣.

١) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري يعرف بابن السراج، روى عن أبي عمر يوسف بن هارون بن سليمان الرباحي، ابن الآبار، التكملة، ١٤/٣.

٢) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٥٦ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٤.

٣) أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن البيروله من أهل طليطلة، وحدث، روى عن محمد بن إبراهيم الخشني وغيره، وتوفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، الضبي، بغية الملتمس، ص٣٣٠.

٤) عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج بن محمد بن إسماعيل بن الحارث الداخل بالأندلس. لخمي الأندلس، يكنى: أبا محمد من أهل إشبيلية.روى عن أبيه، وأبي عبد الله الباجي، وأبي عمر المرشاني، وأبي الفتوح الجرجاني، وأبي عبد الله الخولاني، وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم كثير. وعدة شيوخه الذين أخذ عنهم مائتان وخمسة وستون رجلاً وامرأتان بالأندلس، وكان من جلة الفقهاء في وقته مشاوراً في الأحكام بحضرته،=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقال: كان متفنناً في العلوم مجاب الدعوة ، بصيراً للحجاج والاستنباط ، وتجول بالأندلس وسكن إشبيلية وغيرها ، وله رد على أبي محمد الأصيلي[1] في أشياء ذكرها عنه ، وتوفي بمرسية آخر سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م ، وكان صاحباً لأبي عمر بن عبد البر[2][3].

١٨- يوسف بن محمد بن بكير الكناني يكنى أبا عبد الله ، من أهل طليطلة ، وتولى قضاء قلعة رباح ، سمع من أبيه القاضي محمد بن بكير ، وكان ذكياً متصرفاً في الفقه والحديث والفرائض ، وكان متحرياً في أموره كلها ، حسن الزي والهيئة ، توفي سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م[4].

=ثقةً في روايته، وتوفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥، ابن بشكوال، الصلة، ص٢٣٨.

١) هو أبو محمد عبد الله بن إبْراهِيم بن محمد الأصيليّ، من أهلِ أصِيلة، سمع من أحمد بن مُطَرّفٍ، وأحمد بن سَعيد، ومحمد بن مُعاوية القُرَشي، وَهْب بن مَسَرّة، رحل إلى المشرق وسمع بها من العديد من مشاهير عصره، ثم عاد إلى الأندلس أيّام المُسْتَنْصِر وعمل مشاوراً، كان حرج الصدر ضيق الخلق عالماً بالكلام والنظر، توفي سنة ٣٩٢هـ/١٠٠١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٠٥- ٢٠٦.

٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري فقيه وحافظ وعالم بالقراءات وبعلوم الحديث والرجال من أشهر كتبه كتاب التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي بشاطبة سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٣٢- ٣٣٣؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٤- ٤٥٦.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢٠- ٥٢١.

٤) ابن بشكوال، الصلة، ص ٥٢٣- ٥٢٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة لشبونة
في العصر الإسلامي
(٩٧- ٥٤٢هـ /٧١٥- ١١٤٧م)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً : جغرافية لشبونة التاريخية

ورد اسم المدينة في المصادر العربية بألفاظ مختلفة بعض الشيء ، فجاءت بلفظة(لشبونة ، أو ألأشبونة ، أو أشبونة)[1] ، وادخلها الفيروز آبادي في مادة(شأن) التي من معانيها مجرى الدمع الى العين[2] ، ولعل لموقعها على مصب نهر تاجة علاقة بهذا المعنى ، كما يجعل النسبة اليها(الأشباني) بالضم وهي تعني أيضا الوجه الأحمر[3] ، وتذكر المصادر أنها مدينة قديمة[4] ، وهذه اللفظة تدل على أنها كانت موجودة قبل الإسلام[5] ، وتقع في منطقة الثغر الأدنى ضمن الولاية الرومانية القديمة التي تعرف(لوزيتانيا)[6] ، والتي

---

١) البكري، جغرافية الأندلس، ص ٦٣. ياقوت، معجم البلدان، ١٦٥/١. القزويني، آثار البلاد، ض٥٥. الحميري، صفة، ص١٦. ابو الفدا، تقويم البلدان، ١٧٢.

٢) الفيروز آبادي، القاموس، ٢٤٠/٤ (مادة شأن).

٣) م. ن، والصفحة.

٤) ياقوت، معجم البلدان، ١٦/٥. الحميري، صفة، ص١٦.

٥) يسمي الجغرافيون العرب المدينة التي أنشأها المسلمون بالمحدثة أما التي كانت موجودة قبل الإسلام بالقديمة أو الأزلية.

٦) أطلق العرب اسم البرتقال على المنطقة الواقعة عند مصب نهر دويرة باسم مدينة هناك تدعى (Porto – Calle) فوسع البرتغاليون الاسم الى بلادهم كلها بدلا من الاسم القديم لوزيتانيا، مكي، البرتغال الإسلامية، ص٢٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانت تضم كل من : باجة وأكشبونة ويابرة وشنترة وشنترين ولشبونة وقلنبرية وقورية وشلمنقة وغيرها[1] ، ويذكر الحميري أنها تقع على((سيف البحر تنكسر أمواجه في سورها))[2] ، وذلك السيف هو خليج كبير يمثل مصب نهر تاجة الذي يقسم الأندلس الى قسمين[3] ، ويصب عند مدينة لشبونة في المحيط ويسميه أبو الفدا ((نهر أشبونة الكبير الذي يمر على طليطلة أربعون ميلاً وذكر المسافرون أن عرض هذا النهر عند مصبه في البحر عشرة أميال))[4] ، ولكن الإدريسي يشير إلى أن عرض النهر أمام لشبونة ستة أميال[5] ، ولعل ذلك صحيحاً لأن لشبونة لا تقع على ساحل المحيط مباشرة ، وإنما على الخليج الذي يمثل مصب نهر تاجة وعلى مسافة٣٠ميلاً(٦٠كم)[6] وبذلك فأن عرض مصب النهر يضيق كلما توجهنا نحو الداخل ، وقد جعل منها ذلك الموقع ميناء صالحا للملاحة ويمكن التحكم في مداخله و مخارجه عند الحاجة كما حولها الى أحد ثغور الأندلس البحرية في الغرب.

---

١) البكري، جغرافية الأندلس، ص٦٣. السامرائي، الثغر، ص٢٤. انظر أيضاً الخارطة.

٢) الحميري، صفة، ص١٦.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٣٦/٢. شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٤٦.

٤) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٠

٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢. والميل يساوي ٢كم، انظر: هنتس، المكاييل، ص٩٨.

٦) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما شمال المدينة وغربيها فتوجد البحيرات المالحة[١] وذلك بسبب انخفاض الأرض وانعدام التصريف الجيد للمياه[٢] ، وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت فيها أراضي زراعية تزرع فيها الفاكهة والحبوب ، فأبي الفدا يقول: إن ((لأشبونة البساتين والثمار المفضلة على غيرها))[٣] ، وأن من أعمالها مدينة شنترة التي بها((تفاح مفرط في الكبر والنبالة))[٤] ، وتزرع الحنطة في المناطق الواقعة بين لشبونة وشنترين[٥] ، كما جعل موقعها البحري من أهلها صيادين مهرة بحيث أن صيد الأسماك في المياه القريبة منها دائم على طول السنة[٦] وهي تشكل الحرفة الرئيسية للسكان[٧] ، وربما أيضاً بسبب وجود المستنقعات القريبة منها التي تقصدها الطيور ولاسيما طيور البزاة التي يفضلها الأهالي هناك حتى قيل عنها إن ((بزاتها خير البزاة))[٨] ، كما يكثر فيها عسل النحل ، وقد أشادت المصادر بجودت عسلها وخاصيته المتميزة عن غيره ، فقد أشار ياقوت الى أن

---

١) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٣.

٢) السامرائي، الثغر، ص٤٦.

٣) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢٢/٥.

٤) ابن سعيد، المغرب، ٤١٥/١. أبو الفدا، م. ن، والصفحة.

٥) المقري، نفح الطيب، ٥٤٩/٢.

٦) السامرائي، الثغر، ص٣٤.

٧) المقري، نفح الطيب، ٣٣٢/٣.

٨) ابن سعيد، المغرب، ٤١١/١. ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٢٢/٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

((لعسلها فضل على كل عسل ، الذي بالأندلس ، يسمى اللاذرني يشبه السكر بحيث انه يلف في خرقة فلا يلوثها))[1].

كما تحدثت المصادر عن وجود المعادن في لشبونة والمناطق القريبة منها ، وخاصة خامات الذهب والفضة(التبر) ، فياقوت يشير إلى أن في((حيالها التبرات الخلص))[2] ، أما الإدريسي فيذكر أن تبر لشبونة يكون في مكان قبالة المدينة يسمى حصن المعدن[3] وهو على ضفة البحر((وسمي بذلك لأنه عند هيجان البحر يقذف هناك بالذهب والتبر فإذا كان زمن الشتاء قصد هذا الحصن أهالي تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به الى انقضاء الشتاء وهو من عجائب الدنيا))[4] .

واشتهر أهالي لشبونة باستخراج العنبر[5] من السواحل وهو من النوع الجيد الذي لا يضاهيه إلا الشحري[6] ، وفي ناحيتها حجر

---

١) ياقوت، معجم البلدان، ١٥/٥. انظر أيضاً : القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٥. المقري، نفح الطيب، ١٢٥/١

٢) ياقوت، م. ن، والصفحة. ابن سعيد، المغرب، ٤١١/١. القزويني، م. ن، والصفحة. المقري، م. ن، والصفحة.

٣) يشير ابن حوقل الى أن بين لشبونة وحصن المعدن مسافة يوم، صورة الأرض، ص١١٥.

٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢. انظر أيضا : الحميري، صفة، ص١٦.

٥) العنبر نوع من الطيب، الفيروز آبادي، القاموس، ١٠٠/٢ (مادة عنبر).

٦) ياقوت، معجم البلدان، ١٦/٥. القزويني، آثار، ص٥٥٥. المقري، نفح الطيب، ١٥٢/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يعرف باليهودي وهو على شكل البلوط ، أشار الحميري الى أن الأهالي هناك يستخدمونه في علاج أمراض المثانة والكلية إذ أنه يعمل على تفتيت الحصى التي تكون فيها[1] ، كما فيها نوع من الحجر يعرف البجاري((يتلألأ ليلا كالسرج))[2].

أما طرق المواصلات التي تربطها بمناطق الأندلس والعالم الخارجي فمتعددة ، فهي-كما مر بنا - تقع على خليج داخلي يبعد عن البحر المحيط(المحيط الأطلسي) ثلاثون ميلاً(٦٠كم) وهو يمثل مصب نهر تاجة مما جعل منها فرضة بحرية مهمة ، فعن طريق البحر المحيط تتصل ببقية مدن الساحل شمالا وجنوباً[3] ، وعن طريق نهر تاجة تتصل بداخل الأندلس ، وهذا النهر يقسم الأندلس الى قسمين إذ تقع عليه مدينة طليطلة في الوسط ويصب في البحر المحيط عند لشبونة وأقسامه السفلى صالحة للنقل ولاسيما بين مدينتي شنترين ولشبونة ، إذ أشار الإدريسي إلى أن المسافة بين لشبونة وشنترين((ثمانون ميلاً والطريق بينهما لمن شاء في النهر أو البر))[4] ، أما أقسامه العليا فيبدو أنها غير صالحة للملاحة لشدة انحدارها[5].

---

١) الحميري، صفة، ص٣.

٢) البكري، جغرافية الأندلس، ص١٢٧- ١٢٨.

٣) ينظر الخارطة.

٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٤٩.

٥) السامرائي، الثغر، ص٣٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما المواصلات البرية فيبدو أنها كانت متناغمة مع سير عمليات الفتح من الجنوب إلى الشمال غرباً ، احدهما مواز للساحل ذكره ابن حوقل ويبتدأ من إشبيلية الى لبلة الى شلب الى حصن المعدن (وهو فم النهر) الى لشبونة الى شنترة الى شنترين ثم موازات الساحل نحو نهر دويرة[1] ، وهناك طريق آخر داخلي من اشبيلية الى لبلة فباجة ثم يابرة ومنها الى ماردة وبمحاذات نهر آنه[2] ، وهو الطريق الذي سلكه القائد موسى بن نصير عند عبوره[3] ، ومن باجة الى الشمال الغربي حيث مدينة لشبونة[4] ، ويشير الإدريسي الى طريق آخر يربط لشبونة بمناطق الوسط والشمال الشرقي ، إذ يأخذ هذا الطريق من منطقة وادي الحجارة فمجريط(مدريد) ثم مدينة القنطرة ثم إلى قورية ثم قلمرية ومنها الى لشبونة[5] ، ويبدو أن أن هذا الطريق قد ضعف بعد استيلاء النصارى عليه ، إذ ذكر الإدريسي أن أغلب محطاته كانت تحت سيطرة (ملك الروم)[6].

أما المدينة نفسها فقد جاء وصفها عند الإدريسي بشكل مقتضب حيث قال: إنها على شمال نهر تاجة وهي مدينة((حسنة

١) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٥.
٢) ينظر الخارطة.
٣) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٧٤- ٧٥.
٤) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/٢٢٢.
٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٤٧. ينظر أيضا : ابن خلدون، المقدمة، ص٦٦.
٦) الإدريسي، م. ن، والصفحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ممتدة مع النهر ولها سور وقصبة منيعة وفي وسط المدينة حمات[1] حارة في الشتاء والصيف))[2] ، فيما تحدث الحميري عنها بشكل أوسع ولكنه ركز على سورها وأبوابها إذ قال: ((إن سورها رائق البنيان ، بديع الشان ، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبته على حجارة من رخام وهو أكبر أبوابها ، ولها باب غربي يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولان ماء يصبان في البحر ، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع على سوره ثلاثة قيم ، وباب شرقي يعرف بباب الحمة ، والحمة على مقربة منه ومن البحر ديماس ماء حار وماء بارد ، فإذا مد البحر واراهما ، وباب شرقي يعرف بباب المقبرة ، والمدينة في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر ، ولها سور وقصبة منيعة))[3] ، ولم يشر الحميري الى وقت بناء السور ولعله كان في عهد الإمارة إذ تشير بعض المصادر الى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م) أمر بتحصين السواحل بعد مهاجمة النورمان لها[4].

١) الحمات من الحمة وهي كل عين ماء حار يستشفى بها، الفيروزآبادي، القاموس، ٣٤٥/٤ (مادة حمة).

٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٧/٢.

٣) الحميري، صفة، ص١٦.

٤) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٨. البكري، جغرافية، ص١١٢. المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١- ٣٤٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة لشبونة

لم ترد في المصادر المتوفرة إشارة مباشرة عن كيفية فتحها ووقت دخول المسلمين اليها ، كما أن خط سير الفتح لموسى بن نصير الذي يأخذ من إشبيلية غربا باتجاه ماردة التي حاصرها عدة أشهر حتى تمكن من فتحها ثم توجه الى طليطلة[1] ، أي أنه لم يمر بمدن الساحل الغربي وخاصة لشبونة ، ثم إنه واصل سير فتوحاته المشتركة مع قائده طارق بن زياد في شمال اسبانيا[2] ، ولهذا يرجح المؤرخون أن فتح مدن الساحل الغربي تم على يد ابنه عبد العزيز بن موسى[3] ، ومما يعزز ذلك ما ذكره بعض المؤرخين من أن عبد العزيز الذي خلف أباه في الأندلس قام بفتح مدائن كثيرة بقيت بعده[4] ، ويبدو أن فتحها تم صلحاً ، إذ قام عبد العزيز خلالها بعقد معاهدات مع أهالي المدن التي فتحها والتي قد لاتختلف عن تلك التي عقدت مع أهالي ماردة والتي ورد فيها أن لا يتعرض المسلمون بالأذى للسكان المحليين ولهم الخيار في البقاء أو مغادرتها إلى أي

---

١) الحجي، التاريخ، ص٨٣. السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٣٦. السامرائي، الثغر، ص٤٧- ٥١.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٣٨- ٣٩. السامرائي، الثغر، ٥٣- ٦٤.

٣) السامرائي وآخرون، م.ن، ٣٩- ٤١. السامرائي، الثغر، ص٧٦- ٧٧. طه، دراسات، ص٢٢٤.

٤) ابن الأثير، الكامل، ١٤٤/٤. المراكشي، المعجب، ١١/١. الذهبي، سير، ٥٠٤/٤. المقري، نفح الطيب، ٢٨١/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكان آخر ، وضمنت لهم حرياتهم وكنائسهم وشعائرهم الدينية ، وأن للمسلمين ممتلكات الذين قتلوا في الحرب أو الهاربين من القوط الى جليقية[1] ، وهو ما يعكس تسامح المسلمين مع أهالي البلاد التي يفتحونها بحرية العيش بسلام وعدم التعرض الى ممتلكاتهم وعقائدهم ، أما تاريخ ذلك الفتح فالراجح أن يكون بعد مغادرة موسى بن نصير الأندلس وأثناء ولاية عبد العزيز أي في المدة بين سنة ٩٥هـ/٧١٣م حيث غادر موسى الأندلس وسنة٩٧هـ/ ٧١٥م حين قتل عبد العزيز بن موسى.

ويبدو أن لشبونة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصر الولاة وبداية عصر الإمارة ، وليس لدينا معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أو البربرية ، ولكن بشكل عام فأن بعض المصادر تشير الى أن بعض القبائل العربية سكنت في غرب الأندلس والتي تقع ضمنها لشبونة ، فابن حزم يشير الى أن الزهريون وهم من بني زهرة من

---

١) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٣٦. السامرائي، الثغر، ص٥١. وفي نص ابن الأثير ان المسلمين صالحوا أهل ماردة في عيد الفطر عام ٩٤هـ/٧١٢م على (أن جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية وأموال الكنائس وحليها للمسلمين) الكامل، ١٢٣/٤. ووردت المعاهدة في المقري (فصالحوه على ان جميع أموال القتلى يوم الكمين وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين وأموال الكنائس وحليها لها ثم فتحوا المدينة يوم الفطر سنة أربع وتسعين) نفح الطيب، ٢٧٠/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قريش سكنوا باجة وبطليوس[1] ، كما أن قسماً من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي سكنوا باجة[2] ، وأن بني حفص وهم من الأنصار من الأوس سكنوا غرب الأندلس ومنها باجة[3] ، وفي مدينة لبلة الواقعة الى الجنوب من لشبونة سكن عدد من البطون والقبائل العربية منهم بعض ولد عبد العزيز بن مروان[4] ، بنو سلول من بني مرة بن عامر بن صعصعة[5] ، وبنو شعبان بن ثعلبة[6] ، وقبائل نمارة من إياد[7] ، وبنو حراز من بني حمير بن سبأ[8] ، وبنو خشين من قضاعة[9] ، وفي ماردة سكن عدد من ذرية الإمام الحسن بن علي(ع)[10] ، وإذا صحت رواية المراكشي من أن رجلاً يدعى محمد بن الحسن بن عبد الوهاب الازدي سكن لشبونة وهو من الرواة عن القاضي شريح(ت ٨٠هـ/٦٩٩م)[11] ، فهذا يعني أن بعض

---

١) ابن حزم، جمهرة، ص١٣٢ . السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٧٠.

٢) ابن حزم، جمهرة ، ص٢٦٧.

٣) ابن حزم، جمهرة ، ص٣٣٣.

٤) ابن حزم، جمهرة ، ص١٠٥.

٥) ابن حزم، جمهرة ، ص٢٧٢.

٦) ابن حزم، جمهرة ، ص٣١١.

٧) ابن حزم، جمهرة ، ص٣٢٧.

٨) ابن حزم، جمهرة ، ص٤٣٤.

٩) ابن حزم، جمهرة ، ص٤٥٥.

١٠) ابن حزم، جمهرة ، ص٤٤.

١١) المراكشي، الذيل، ص٤١٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رجالات الازد سكنوا لشبونة في وقت مبكر جدا وربما مع بدايات الفتح ، كما أن انتشار بعض بطون وقبائل العرب في غرب الأندلس وخاصة في باجة وماردة ولبلة ، فأنه لا يستبعد أن قسماً منهم ذهب الى لشبونة وسكنها خاصة وأن فرص العمل فيها متيسرة كالصيد والعمل في جمع المعادن.

أما القبائل البربرية فيبدو أنها أكثر انتشاراً في المنطقة ، وربما يرجع السبب في ذلك الى تماثل البيئة المغربية مع بيئة المنطقة الغربية من الأندلس ، وحتى أن قسماً من جبالها كانت تدعى البرانس بسبب غلبة سكانها من البربر البرانس[1] ، كما أن اغلب مناطق غرب الأندلس كان يطلق عليها اسم بلاد الجوف والتي اقترن اسمها باسم البربر[2] ، وعلى الرغم من الانتشار الواسع للبربر في غرب الأندلس إلا أنه ليس لدينا في المرحلة المبكرة من نصوص مباشرة تشير الى استيطانهم في لشبونة ، ولكن على غرار ما قدمنا في سكنى العرب ، فإن وجود البربر في المراكز القريبة من لشبونة مثل يابرة وباجة والمناطق الساحلية على المحيط ، فلا يستبعد أنهم استوطنوا ايضاً لشبونة لاسيما وأننا سوف نجد لهم حضور فاعل في أحداث المرحلة اللاحقة من تاريخها ، ففي قصر أبي دانس سكن جماعة من مصمود منهم بني سفيان بن عبد ربه ، كما أن اسم المنطقة نفسها ترجع الى بني دانس

---

١) السامرائي وآخرون، تاريخ، ٧٨.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ، ٧٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن عوسجة من مصمودة[1] ، وفي ماردة بني سكن مسعود بن تاجيت وهم بني طريف من مصمودة ومنهم عبد الجبار بن زاقلة الذي تغلب عليها مدة[2] ، واستقر بنو فرفرن من زناتة وبنو ياسوس من قبيلة مكناسة في ماردة أيضاً[3].

ويبدو أن من أوائل الأحداث المهمة التي تعرضت لها لشبونة منذ دخول المسلمين اليها هو محاولة الأسبان الاستيلاء عليها في نهاية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ، ففي سنة ١٨٥هـ/٨٠١م سقطت مدينة برشلونة في الشمال الشرقي من الأندلس بأيدي قوات شارلمان[4] ، وقد شجع ذلك الفونسو الثاني(١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م) ملك ليون الاسباني على مهاجمة المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجة بما فيها مدينة لشبونة ، وقد تمكن فعلاً من اجتياحها بعد أن أمده شارلمان ببعض المساعدات من فرنسا[5] ، ولكن الاحتلال الاسباني لها لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تمكن الأمير الحكم بن هشام(١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) من هزيمة الأسبان وطردهم منها[6] سنة(١٩١هـ/٨٠٦م) ، ويبدو أن هجوم الأسبان هذا على

---

١) ابن حزم، جمهرة، ص٥٠١. طه، الفتح، ٢٨٠.

٢) ابن حزم، م. ن، والصفحة، طه، م. ن، ص٢٨١.

٣) ابن حزم، م. ن، ص٤٨٩، ٤٩٩.

٤) أرسلان، تاريخ، ص٣٧. العلياوي، الحملات الصليبية، ص٤٦.

٥) السامرائي، الثغر، ص١٤٠- ١٤١.

٦) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٩. ابن عذارى، البيان، ١١٠/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنطقة كان متوافقا مع حركة قام بها شخص يدعى حزم بن وهب في ناحية باجة ثم مد نفوذه إلى لشبونة وأخرى قام بها أصبغ بن عبد الله المكناسي في ماردة[1] ، فاستغل الأسبان اضطراب الأمن في غرب الأندلس فهاجموها ، إلا أن قوة الدولة في أيام الحكم بن هشام إضافة الى حزمه وكفايته حالت دون تمكنهم من الاحتفاظ بالمنطقة ، إضافة الى أن الدويلات الاسبانية في الشمال لم تصل من القوة ما يمكنها الوقوف بوجه الدولة العربية الإسلامية في الأندلس.

إلا أن الحادث الأكثر شهرة والذي جلب الأنظار الى الساحل الغربي للأندلس بشكل عام ولشبونة خاصة ، هو تعرض تلك السواحل الى هجمات النورمان ، والنورمان هم أهل الشمال من سكان الدنمارك[2] ، وتطلق عليهم مصادرنا العربية اسم(المجوس)[3] ، ولا يقصد بهم عبدة النار في إيران ولكن لأن النورمان كانوا حيث حلوا أشعلوا النيران ، وكانوا يحرقون بها جثث موتاهم[4] ، وكانت غاراتهم تستهدف السواحل المكشوفة غير المحصنة ، ولما كانت سواحل الأندلس الغربية حتى القرن الثالث الهجري/التاسع

---

١) ينظر : ابن الأثير، الكامل، ١٢٥/٥.

٢) الحجي، التاريخ، ص١٢٧.

٣) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٦٣/١ (ويشير أنهم من الروس). البكري، جغرافية، ص١١٢. ابن الأثير، الكامل، ٢٧٢/٦. ابن سعيد، المغرب، ٤٩/١. ابن عذارى، البيان، ٨٧/٢. المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١.

٤) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٢٤٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الميلادي هادئة ، لذا كانت خالية من قوة بحرية ترابط فيها ، ومن هنا فقد فوجىء المسلمون بهجمات النورمان عليها.

كان أول ظهور لهم في سنة٢٢٩هـ/٨٤٣م[١] ، فيذكر ابن القوطية أن أول مكان أخذوه هو بسيط لشبونة[٢] ، وهو ما يعني أنهم تمكنوا من السيطرة على مناطق واسعة محيطة بالمدينة لان البسيط في اللغة هو الأرض الواسعة المنبسطة[٣] ، ويضيف ابن عذارى أنهم قدموا في((نحو ثمانين مركباً كأنما ملأت البحر طيراً جوناً ، كما ملأت القلوب شجواً وشجونا فحلوا بأشبونة...))[٤] ، ويشير النص هنا الى حالة الخوف والهلع والصدمة التي أحلت بأهالي المدينة من الهجوم المفاجئ والكثيف عليها ، وهو ما يفسر لنا سرعة تقدمهم واستيلائهم على المدينة والمنطقة المحيطة بها ، إضافة الى عدم استعداد الدولة لمواجهة مثل هذا الهجوم.

---

١) اختلفت المصادر في تحديد ذلك فذهب بعضهم الى أنه كان في سنة ٢٢٩هـ/٨٤٠م، وذهب آخرون أن الهجوم الأول كان عام ٢٣٠هـ /٨٤٤م، انظر التفاصيل : السامرائي، الثغر، ص١٨٣- ١٨٤. والراجح عند الحجي هو سنة ٢٢٩هـ/٨٤٠م، التاريخ، ص٢٢٨. وهو ما نذهب إليه لأن بقاءهم في السواحل استمر مئة يوم وكان هجومهم على لشبونة في أواخر عام ٢٢٩هـ/٨٤٠م في ذي الحجة منه، وكان هجومهم على اشبيلية بعد ذلك وفي بداية سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، ولعل هذا هو منشأ الاختلاف بين المصادر.

٢) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٥.

٣) الفيروزآبادي، القاموس، ٣٦٣/٢(مادة بسط).

٤) ابن عذارى، البيان، ٨٧/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد أسرع عامل لشبونة آنذاك وهب بن حزم بإرسال كتاب الى الأمير عبد الرحمن بن الحكم(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥١م) يخبره بالهجوم ويطلب منه العون[١] ، ويبدو أن عامل لشبونة وبمساعدة الأهالي تصدوا للغزاة ودارت بينهم معارك عدة[٢] ، إلا أن ضعف إمكانياتهم وشدة المفاجئة جعلتهم يتراجعون إذ يقول ابن القوطية: إن المسلمين((لم يقدروا على مقارعة القوم لشدة شوكتهم))[٣] ، وهذا ما جعلهم يطمعون في التوغل في أراضي الأندلس حيث توجهوا جنوباً فهاجموا قادس ومدن الساحل الأخرى ، ثم توغلوا في نهر الوادي الكبير حتى وصلوا الى إشبيلية وكانت كما يقول ابن سعيد: ((عورة فدخلوها واستباحوها سبعة أيام))[٤] ، عندها أحست الدولة آنذاك بمدى الخطر الذي يهدد سواحلها الغربية ، فأسرع الأمير عبد الرحمن بن الحكم بإعلان النفير العام في كل مناطق الأندلس حيث تجمعت القوات في قرمونة ثم ساروا الى إشبيلية وتمكنوا من طرد النورمان منها وتعقبهم في جميع مدن الساحل الى مدينة لشبونة التي كانت آخر ما تم إنقاذه منهم[٥].

كان من أهم نتائج هجوم النورمان على لشبونة وسواحل

---

١) السامرائي، الثغر، ص١٨٢.

٢) ابن الأثير، الكامل، ٢٧٢/٦.

٣) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٥.

٤) ابن سعيد، المغرب، ٤٩/١. ينظر أيضا : المقري، نفح الطيب، ٣٤٥/١- ٣٤٦.

٥) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٥- ٨٦. المقري، نفح الطيب، م. ن، والصفحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلس الأخرى هي:

١- تنبهت الدولة الى ضرورة وضع رباطات[١] على طول السواحل لمواجهة أي هجوم مفاجئ وقاموا بإصلاح السواحل التي خربها الغزاة[٢].

٢- قامت الدولة بإرسال عدد من قطع الأسطول الأندلسي ليرابط في السواحل الغربية وفي ذلك يقول ابن القوطية إن الأمير عبد الرحمن بن الحكم((أنشأ المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم ، فأستعد بالآلات والنفط))[٣].

٣-أصبحت لشبونة قاعدة متقدمة للأسطول الأندلسي على ساحل البحر المحيط (الأطلسي) وأنشأ فيها دار لصناعة السفن وإدارة خاصة للأسطول يرابط فيها عدد من السفن تتجمع في مكان واحد وقت الحرب[٤].

٤- أرسل ملك النورمان سفارة الى الأمير عبد الرحمن يطلب توقيع معاهدة سلم فوافق عبد الرحمن على ذلك ورد بسفارة الى ملك الدنمارك برئاسة الشاعر الأندلسي يحيى الغزال[٥].

---

١) الرباط من ربط وهو المكان الذي يجتمع فيه المقاتلون ويكونون متأهبين لمواجهة الأعداء، ينظر مادة الرباط، دائرة المعارف الإسلامية، ١٩/١- ٢١.

٢) المقري، نفح الطيب، ٣٤٦/١.

٣) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٨.

٤) طرخان، المسلمون في أوربا، ص٦٦. السامرائي، الثغر، ص١٩٩.

٥) الحجي، التاريخ، ص٢٢٣. عاشور، أوربا، ص٢٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥-إن لشبونة تحولت منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي الى رباط يتجمع فيه المقاتلة المتطوعة للجهاد في سبيل الله وأصبحت واحدة من ثغور الأندلس الغربية ، فهي لم تعد تواجه فقط هجمات النورمان البحرية بل هجمات مملكة ليون الاسبانية التي مدت حدودها الى حافات نهر دويرة وأخذوا يغيرون على مدن الغرب الأندلسي ومنها لشبونة كلما وجدوا الى ذلك سبيل[١] ، ولهذا صرنا نسمع سكنى عدد من المقاتلة المتطوعة المقاتلين واستشهاد عدد منهم في ثغر لشبونة[٢] ، وعلى الرغم من أن النورمان قاموا بعد ذلك بعدة هجمات إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم[٣] بسبب قوة التحصينات التي أقامتها الدولة هناك.

وفي سنة٣٣٣هـ/٩٣٤م ظهر في لشبونة رجل ادعى أنه من ولد عبد المطلب وأن أمّه ((مريم بنت فاطمة وادعى مع النسب أنه نبي وأن جبريل ينزل عليه ، وسن لأتباعه سنناً وشرع لهم شرائع منها حلق الرأس وغير ذلك مما لا يعقل ثم وقع عليه البحث فخفي أثره))[٤] ، ولم يوضح ابن عذارى مدى النجاح الذي حصل عليه

---

١) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص١٥٩- ١٦٠.

٢) ينظر مثلاً : ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٣٥/٢. ابن سعيد، المغرب، ٤١١/١، ٤١٥. المقري، نفح الطيب، ٣٣١/٣، ٢٣٣/٤.

٣) ابن القوطية، تاريخ، ص٨٨. ابن الأثير، الكامل، ٢٢٩/٥- ٢٣٠. الحجي، التاريخ، ص٢٣٥- ٢٣٦.

٤) ابن عذارى، البيان، ٢١١/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المطلبي ، كما أنه لم يعط أي تفاصيل عن التعاليم التي نادى بها سوى أنه ادعى النبوة ، ولعل ظاهرة خروج مدعي النبوة في المغرب والأندلس ليست غريبة ، ففي المغرب ظهر بين البربر في قبائل غمارة رجل يدعى(حاميم بن من الله) وشرع لهم شرائع وسنن غريبة عن الإسلام وقتل في بداية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على أيدي بعض رجالات مصمودة[1] ، كما ظهر بين قبائل برغواطة في المغرب الأقصى متنبىء آخر يدعى(صالح بن طريف) وهو الآخر ادعى النبوة وسن لهم شرائع ووضع لهم قرآن واستمرت دعوته حتى عصر المرابطين[2] ، وفي سنة٢٣٧هـ/٨٥١م ظهر رجل أيضاً في منطقة الثغر الأعلى الأندلسي وادعى النبوة وكان ينهى عن قص الأظفار والشعر فألقي القبض عليه وقتل[3] ، ويبدو أن ظاهرة خروج بعض مدعي النبوة في الأندلس في هذه الفترة هي انعكاس لحالة عدم الاستقرار التي شهدتها الأندلس في عصر دويلات الطوائف الأولى(٢٣٨-٣٠٠هـ/٨٢٥-٩١٢م)[4] فأستغل أولئك هذه الحالة مستفيدين من بعض النجاحات التي حققها أصحاب تلك الدعوات في المغرب.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قام النورمان مرة

---

١) مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٩١.

٢) مؤلف مجهول، ص١٩٧-١٩٨. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٨٨- ٤٩٦.

٣) ابن سعيد، المغرب، ١/٥٠.

٤) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٩٦- ٣٧٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخـرى بمهاجمـة السـواحل الغربيـة للأنـدلس وكـان ذلـك في سـنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م وفي خلافة الحكم المستنصر ، إذ أشار ابن عذارى الى أن المجوس(النورمانديين)((كانوا في ثمان وعشرين مركباً ثـم تردفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم ووصلوا الى بسيط لشبونة...))[١] ، وكـان الأندلسيون في هذه المرة أكثر استعداداً فقد أصبحت في لشبونة قاعدة بحرية فوقعت بين الجانبين معارك إذ((خـرج إليهم المسلمون ودارت بينهم حروب استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين))[٢] ، ويشـير المقـري أن النورمـان تمكنـوا مـن الـدخول الى بسـائط لشـبونة وتخريب بعض المناطق إلا أن المقاتلين هناك تمكنوا من دحرهم وارغامهم على الرجوع الى مراكبهم ثم وصلت بعد ذلك بعض قطع الأسطول الأندلسي بقيادة عبد الرحمن بن رحماس الذي تمكن من إبعادهم من السواحل الأندلسية[٣].

وفي سـنة٤٢٢هــ/١٠٣٠م سـقطت الخلافـة الأمويـة في الأنـدلس وتقسمت البلاد الى دويلات طوائف متناحرة بعد أن كانت جميع بلاد الأندلس من ثغر طرطوشة في الشمال الشرقي الى ثغر لشبونة في الغرب تابعة الى سلطة الدولة المركزية في قرطبة[٤] ، وأصبح غرب غرب الأندلس بما فيه لشبونة من نصيب دولة بني الأفطس ، وهم

---

١) ابن عذارى، البيان، ٢/٢٣٨- ٢٣٩.

٢) ن. م، والصفحة.

٣) المقري، نفح الطيب، ١/٣٨٣- ٣٨٤. ينظر للمزيد عن هذا الهجوم، الحجي، التاريخ، ٣٠٨- ٣١٠. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٤٣٠- ٤٣١.

٤) المراكشي، المعجب، ١/٤٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أسرة بربرية من قبيلة مكناسة ، ومن قاعدتهم بطليوس حكموا المنطقة حتى سقوطهم على أيدي المرابطين سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م[١] ، ويبدو من بعض النصوص التي بين أيدينا أن صراعاً للسيطرة على بعض مراكز غرب الأندلس حدث بين بني عباد[٢] في إشبيلية وبني الأفطس في بطليوس[٣] وأن بني عباد تمكنوا في بداية الأمر من إرسال قواتهم الى هناك ، ويشير ابن الأثير إلى أن أبا القاسم محمد بن عباد(٤١٤-٤٣٣هـ/١٠١٣-١٠٤١م) أرسل ابنه إسماعيل واخذ لشبونة فملكها في سنة٤٢٥هـ/١٠٣٣م[٤] ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ تمكن بنو الأفطس بعد صراع مرير من حسم أمر لشبونة وبعض المراكز القريبة منها لصالحهم حيث تم عقد الصلح بين الطرفين[٥].

إلا أن الأوضاع في مدينة لشبونة لم تستقر ، إذ لجأ اليها أولاد سابور الفارسي[٦] وهما عبد الملك وعبد العزيز وأعلنا الثورة على بني الأفطس بسبب استيلائه على تراث والدهما ، وتمكنا من

---

١) ينظر التفاصيل عن دولة بني الأفطس، عنان، دول الطوائف، ص٨١- ٩٣.

٢) حكم بنو عباد في إشبيلية من ٤١٤- ٤٨٤هـ /١٠٢٣- ١٠٩١م، ينظر: عنان، م.ن، ٣١- ٥٩.

٣) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٢٢٤.

٤) ابن الأثير، الكامل، ١٠٤/٨.

٥) عنان، دول الطوائف، ص٨٥.

٦) وهو أحد صبيان فائق الخادم مولى الخليفة الحكم المستنصر والذي كان والياً على غرب الأندلس قبل بني الأفطس ويساعده عبد الله بن الأفطس= =في حكم المنطقة وبعد وفاة سابور استبد ابن الأفطس في حكم المنطقة دون أولاد سابور، ينظر : عنان، م.ن،، ص٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاستيلاء على المدينة ، واستمر عبد العزيز بن سابور حاكماً عليها عدة أعوام ، وبعد وفاته تولى أخوه عبد الملك مكانه ، إلا أن الأخير كان سيء الحكم والإدارة فسادت الفوضى في المدينة ، فكاتب أهلها سراً عبد الله بن الأفطس(٤١٣-٤٣٧هـ/١٠٢٣-١٠٤٥م) بأن يرسل إليهم والياً من قبله ، فسير إليهم جيشاً بقيادة ابنه محمد الذي تمكن من دخول لشبونة بمساعدة الأهالي حيث قبض على عبد الملك بن سابور وأرسل الى بطليوس[١] ، وبذلك عادت لشبونة إلى حكم بني الأفطس.

وفي أيام محمد بن الأفطس(٤٣٧-٤٦١هـ/١٠٤٥-١٠٦٨م) تعرضت الجهات الشمالية لإمارة بني الأفطس الى هجمات الملك القشتالي فرناندو الأول الذي اغتنم فرصة صراع بني الأفطس مع بني عباد فتمكن من الاستيلاء على مدينتي لاميجو وبازو الواقعة شمال لشبونة ثم أخذ يهاجم مدينة شنترين مما اضطر ابن الأفطس الى مهادنته ودفع جزية سنوية له مقابل كفه عن مدينة شنترين[٢].

وإزاء ذلك عم استياء كبير معظم أهالي الأندلس بسبب تخاذل أمراء الطوائف ودفعهم الجزية لملك قشتالة ، فاتجهت الأنظار الى القوة الكبيرة في بلاد المغرب والمتمثلة بالمرابطين حيث وجهت الدعوة الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لإنقاذ الأندلس ، وبعد مراسلات جرت بين الطرفين اشترك فيها بنو الأفطس حكام الغرب

---

١) عنان، م. ن، ص٨٣.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٢٢٦. عنان، م. ن، ص٨٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلسي[1] عبر يوسف بن تاشفين بقوات الى الأندلس وانضمت إليه القوات الأندلسية حيث الحقوا هزيمة كبيرة بالملك القشتالي الفونسو السادس في موقعة الزلاقة غرب الأندلس[2] ، إلا أن ذلك الانتصار لم يستثمر بشكل جيد ، إذ عادت الخلافات بين أمراء الطوائف بعد رجوع الجيش المرابطي الى المغرب ، كما أعاد أمراء الطوائف اتصالاتهم السرية مع الملك القشتالي مستعينين به في خلافاتهم الجانبية[3] ، عندها قرر الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين خلع أمراء الطوائف وجعل الأندلس ولاية مرابطية والاعتماد على نفسه في مواجهة الممالك الاسبانية ، وقد تمكن في سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م من الاستيلاء على إشبيلية وإسقاط دولة بني عباد[4].

عندها أحس حكام بطليوس بالخطر الذي ينتظرهم بعد سقوط إشبيلية فعمد ملكهم أبو محمد عمر المتوكل(٤٦٠-٤٨٧هـ/١٠٦٧-١٠٤٩م) الى الاستعانة بالملك القشتالي الفونسو السادس وعقد معه صفقه يساعده فيها على مواجهة المرابطين مقابل تنازله عن لشبونة

---

١) عن الدعوة لتوحيد الأندلس والاستنجاد بالمرابطين ينظر : الحجي، التاريخ، ص٣٣٦- ٣٥٢. عنان، م. ن، ص٣١٤- ٣١٨.

٢) ينظر التفاصيل عن معركة الزلاقة : ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١- ٩٤. ابن الأثير، الكامل، ١٤١/٨- ١٤٣. الحميري، صفة، ص ٩٣- ٩٦. العلياوي، الحملات الصليبية، ص٧٦- ٩٠.

٣) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٢٥٠.

٤) عن سقوط دولة بني عباد انظر : عنان، دول الطوائف، ص٣٤٤- ٣٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشنترة وشنترين[1] ، وقام الفونسو السادس من قبله بتعيين والياً على لشبونة وهو صهره الكونت ريمون البرجوني[2] ، وبذلك سيطر الفونسو على جميع حوض نهر تاجة من طليطلة(التي سبق أن استولى عليها سنة ٤٧٨هـ/١٠٥٨م) حتى لشبونة ، وقد أثار ذلك الاتفاق حفيظة الأهالي على المتوكل بن الأفطس ، ويفهم من بعض النصوص أن ثورة عارمة قامت ضده رافضة الخضوع لسلطة ملك قشتالة في لشبونة والمدن المجاورة لها وقام الأهالي بمراسلة المرابطين لإنقاذهم[3] ، فأرسل المرابطون قواتهم بقيادة سير بن أبي بكر الذي قام بمهاجمة بطليوس والقبض على عمر المتوكل بن الأفطس آخر ملوك بني الأفطس مع ولديه حيث تم إعدامهم بتهمة الخيانة ومراسلة النصارى[4] ، ثم زحفت القوات المرابطة نحو مدينة شنترين ولشبونة وتم لهم استرجاعها من أيدي ملك قشتالة وذلك[5] سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

وهكذا دخلت لشبونة وعدد من مدن غرب الأندلس تحت سلطان المرابطين ، ولكنها كانت فترة حرجة لأنها شهدت ميلاد دولة البرتغال الحالية ففي عهد ملوك الطوائف(٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-

---

١) ابن خلدون، تاريخ، ١٨٧/٦. عاشور، أوربا، ص٥٤٦.

٢) عنان، دول الطوائف، ص٣٧٠.

٣) م. ن، ص٣٦٨- ٣٦٩.

٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ٩٦/٢- ١٠٢. المراكشي، المعجب، ص١٢٧- ١٢٨. عنان، دول الطوائف، ص٣٦٩. مكي، البرتغال الإسلامية، ص٢٥.

٥) المراكشي، المعجب، ص٢٢٨. عاشور، أوربا، ص٥٤٦. عنان، م. ن، ص٣٧٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠٩١م) إذ استغل ملوك قشتالة حالة التردي والتمزق في الأندلس وعملوا على توسيع حدودهم لتشمل المناطق جنوب نهر دويرة ذلك النهر الذي بقي فاصلاً طوال الحقبة السابقة ، وقد تمكنوا من السيطرة على عدد من المدن الواقعة بين نهري دويرة وتاجة مثل فيزو وقلمرية وقورية إضافة الى مدينة بورتو كالي(**porto calle**) الواقعة عند مصب نهر دويرة ، وقد جعل فرناندو الأول هذا القسم من مملكته ولاية مستقلة اسماها البرتغال نسبة الى المدينة أعلاه وجعل عاصمتها قلمرية[١] ، كما شجع الأسبان على استيطانها بعد أن نكل بأهلها المسلمين وقتل وهجر العديد منهم[٢].

وفي عهد الملك القشتالي الفونسو السادس(٤٥٨-٥٠٢هـ/١٠٦٥-١١٠٩م) كافأ أحد الكونتات الذي جاء من فرنسا لمساعدته في معركة الزلاقة ريمون البرجوني-كما مر بنا- أن جعله واليا على المنطقة ، وبعد وفاته خلفه في حكم الولايه ابن عمه هنري البرجوني والزوج الآخر لابنة الفونسو السادس غير الشرعية التي تدعى تيريزا وقد حكم زوجها البرتغال باعتباره تابعاً لقشتالة وحارب مع زوجته ضد المسلمين[٣] ، وبعد وفاة هنري تولت زوجته تيريزا الوصاية على ابنها الفونسو هنريكيز حتى سنة٥٠٣هـ/١١٢٨م حيث نصب أميراً على

---

١) طه، دراسات أندلسية، ص١٨٩.

٢) العلياوي، الحملات الصليبية، ص٥٤.

٣) طه، دراسات أندلسية، ص١٨٩. السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٢٥٥.=

= **Paiter;History; P 194. Payne، History of Spain and Portugal ،P. 115.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البرتغال ، وقد عمد الفونسو هنريكيز(وتسمية المصادر العربية ابن الرنق أو الرنك أو الريق)[1] ، الى العمل على استقلال البرتغال من قشتالة وخاض معها قتالاً حتى تمكن من تحقيق هدفه حيث أعلن نفسه ملكاً على البرتغال سنة٥٣٧هـ/١١٤٢م[2].

كان المرابطون يمرون بمحنة عصيبة في ذلك الوقت ، ففي المغرب تعرضت جيوشهم الى هزائم متكررة على أيدي الموحدين[3] ، وفي الأندلس واجهوا حركات تمرد عديدة منها تمرد أهل شرق الأندلس وأهل قرطبة ومالقة[4] ، ثم جاء تمرد الجنوب الغربي للأندلس لتضع حدا لنفوذ المرابطين هناك ولتسقط وإلى الأبد مراكز مهمة بيد ملك البرتغال مثل لشبونة وشترين وشنترة وباجة وماردة ، وكان زعيم ذلك التمرد هو أحمد بن الحسين بن قسي في شلب الذي ادعى المهدية وأطلق على حركته اسم(ثورة المريدين) وهزم المرابطين في أكثر من مكان مما حفز الناس على الدخول في طاعته وانضمت إليه مدن ميرتلة ويابرة وباجة ولبة ولبلة وتقهقر المرابطون امامه الى

---

١) ينظر : طه، ص١٩٠.

٢) مكي، البرتغال الإسلامية، ص٢٦. عاشور، أوربا، ص٥٤٨ وقد رجح تاريخ اتخاذه لقب ملك سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م. أما Payne فذكر أنه اتخذ لقب ملك البرتغال وأقسم يمين الولاء للبابوية ودفع ضريبة سنوية لها إلا أن البابوية لم تعترف به ملكاً إلا في سنة ٥٧٥هـ /١١٧٩م،
History of Spain and Portugal P. 116.

٣) السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب، ص٢٨٨- ٢٨٩.

٤) ينظر التفاصيل : السامرائي وآخرون، م. ن، ص٢٧٦- ٢٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إشبيلية إلا أن انشقاقاً حدث في صفوف أتباعه أحبط محولاته الاستيلاء على اشبيلية وقرطبة مما دفعت الأحداث الى الإسراع بطلب النجدة من الموحدين في المغرب إذ سارت حملة موحدين سنة٥٤١هـ/١١٤٦م أعادت ابن قسي مرة أخرى الى شلب[١].

إن ما حدث من حركات تمرد في معظم مناطق الأندلس ولاسيما في الغرب أعطى فرصة ذهبية لملك البرتغال الطموح في توسيع نفوذه والاستيلاء على المزيد من المدن في غرب الأندلس والتي بقيت فريسة سهلة بيده بعد أن انهارت الجيوش المرابطية في المغرب على أيدي الموحدين وفي الأندلس على أيدي المتمردين وبقيت تلك المدن تقاوم بإمكانياتها الذاتية وبدافع الجهاد في سبيل الله دون أي دعم سياسي أو عسكري من دولة تجمعهم ، أو خارجي ، من دولة تساندهم ، فقام بمهاجمة بعض فلول المرابطين على نهر تاجة وأوقع بهم هزيمة في معركة أوريك[٢] ، ثم واصل زحفه تجاه مدن الغرب الأندلسي وكانت مدينة لشبونة الهدف الأول له وذلك لموقعها المهم على مصب نهر تاجة وحصانتها ولكونها أحد أهم معاقل المسلمين في المنطقة[٣] بسبب تجمع المجاهدين فيها كونها ثغر المسلمين في غرب الأندلس[٤].

وفي طريقه الى لشبونة تمكن الفونسو هنريكيز من الاستيلاء على

---

١) السامرائي وآخرون، م. ن، ص٢٧٤- ٢٧٥. الجبوري، عبد المؤمن، ص٦٥- ٦٦.

٢) السامرائي وآخرون، تاريخ، ص٢٥٦. العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٢٧.

٣) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٢٤.

٤) المقري، نفح الطيب، ٤/٢٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة شنترين القريبة منها ثم ضرب حصاراً على مدينة لشبونة من ثلاث جهات ، وقد أظهر أهالي المدينة مقاومة عنيفة ، ويبدو أن عدم امتلاك الفونسو لأسطول بحري جعل تلك الجهة مفتوحة أمام المسلمين وسهلت عليهم الاتصال لجلب بعض المساعدات[1] مما أطال في أمد الحصار على المدينة ، ولكن—وكما يقال—لحسن حظ الفونسو أنه وبينما يحاصر لشبونة أن قدمت حوالي مائتي سفينة صليبية تحمل مقاتلين من انكلترا وهولندا والمانية متجه نحو فلسطين وقد رست أمام نهر دويرة للتزود بالمياه ، وقد اضطرت للبقاء هناك نظراً لاضطراب الريح ، فقام الفونسو بالتفاوض معهم من اجل مساعدته في اقتحام لشبونة ووعدهم بحصة من الغنائم ، وأطمعهم بما ينالونه من ثواب في مقاتلة المسلمين ، فالجهاد ضد المسلمين هو واحد سواء في فلسطين أم في الأندلس ، عندها استجابوا لطلبه فسارت السفن الصليبية وضيقت الحصار على المسلمين من جهة البحر مما أدى الى انقطاع الإمدادات عنها ، وقد آثر السكان أول الأمر الدفاع عن المدينة أملاً في وصول مساعدات إليهم ، ولكن حال باقي مناطق الأندلس الأخرى ليس بأحسن حال منهم ، كما أن الموحدين لم يتمكنوا بعد من دخول الأندلس ، وإمام نقص الأقوات وشدة الحصار وحالة اليأس اضطر سكان المدينة الى التسليم مقابل الأمان والرحيل بأنفسهم على أن يتركوا أموالهم وأسلحتهم ، فوافق الطرفان على ذلك وتم تسليم المدينة

---

١) العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٢٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد حصار دام أربعة أشهر[١].

أما عن تاريخ سقوط مدينة لشبونة بيد الملك البرتغالي الفونسو هنريكيز ، فيذهب البعض إلى أن ذلك كان سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٢] ، ويشير عبد الواحد ذو النون طه الى أن سقوطها كان سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٣] ، فيما ذهب Paiter الى أن ذلك حدث في سنة٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٤] ، ويبدو أن سقوط لشبونة كان في سنة٥٤٢هـ/ ١١٤٧م هو الراجح لأن ذلك تم بمساعدة الحملة الصليبية الثانية التي حدثت في المدة من(٥٤٢هـ /١١٤٧م و ٥٤٤هـ/١١٤٩م).

وبعد دخول الفونسو المدينة قام الصليبيون والبرتغاليون بأعمال الحرق والقتل والاغتصاب ونهبوا المدينة ثم قاموا باقتسام الغنائم وحولوا مسجدها الى كنيسة وعين لها أسقفاً وهو الأسقف جلبرتو[٥] ، وقد اتخذها الملك البرتغالي عاصمة لمملكته[٦] بعد حكم المسلمين لها

---

١) ينظر عن اقتحام لشبونة : الحجي، التاريخ، ص٤٦٠- ٤٦١. أشباخ، تاريخ، ١/٢٣٥- ٢٣٦. العلياوي، م. ن، ص١٢٨- ١٢٩.

Paiter ‹History ‹P. 194.. Payne ‹History of Spain and Portugal ‹P ‹ 119 . Barton‹ Leon and Castile and the struggle against Islam ‹P. 7

٢) الحجي، التاريخ، ص٤٦١. عاشور، أوربا، ص٥٤٨. السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب، ص٣١٣.

٣) طه، دراسات أندلسية، ص١٩٠.

4) Paiter ‹History ‹P ‹194 .

٥) أشباخ، تاريخ، ص١٣٦. عنان، دولة المرابطين والموحدين، ص٢٥. العلياوي، الحملات الصليبية، ص١٢٩.

6) Paiter ‹History ‹P. 194.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والذي دام ٤٤٥ عاماً.

وجدير بالذكر هنا أن وقع سقوط لشبونة على المسلمين كانت كبيرة قد لا تقل عن تلك التي أصيب بها المسلمون بعد سقوط طليطلة سنة٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، فقد بذلت القوات المرابطية آنذاك جهود كبيرة وقدمت تضحيات جسيمة دون أن تتمكن من استرجاعها[1] ، كما قدم الموحدون تضحيات كبيرة وقد وصلوا الى أبواب المدينة عدة مرات لأجل استرجاعها دون جدوى ، فمنذ سنة٥٤١هـ/١١٤٦م أرسل عبد المؤمن بن علي(٥٢٤هـ-٥٥٨هـ/١١٢٩م-١١٦٢م) عدة جيوش كان أولها إلى غرب الأندلس ، ورغم أنهم تمكنوا من الوصول الى بطليوس وباجة حيث قدم المتمردون فيها الطاعة الى الموحدين[2] إلا أنهم لم يتمكنوا من مواصلة جهودهم لاستعادة المناطق التي سيطر عليها البرتغاليون ، وربما يعود ذلك الى وجود بعض جيوب المرابطين في إشبيلية الواقعة جنوب شرق المناطق أعلاه ، كما قام عبد المؤمن بن علي بإرسال حملة أخرى الى غرب الأندلس بقيادة يوسف بن سليمان(وهي الحملة الثانية) إذ تمكن من بسط سلطان الموحدين على لبلة وشلب وطبيرة وشنتمرية الغرب وبطليوس[3] ، ولكن لشبونة بقيت هدفاً بعيد المنال ، إلا أنها لم

---

١) عن جهود المرابطين في استرجاع طليطلة ينظر : عنان دول الطوائف، ص٣٣٩- ٣٤٠

٢) ابن خلدون، تاريخ، ٢٣٤/٦.

٣) ابن خلدون، تاريخ ، ٢٣٥/٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تغب عن أذهان الموحدين ، ولعل المصاعب التي واجهوها في شرق ووسط الأندلس من قبل المتمردين من جانب وتحالف الممالك الاسبانية بمساعدة دول أوربا والبابوية حال دون ذلك[1].

كانت آخر محاولات الموحدين لاستعادة لشبونة في أواخر عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(٥٥٨هـ—٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) ، ففي سنة٥٧٥هـ/١١٧٩م حاول الموحدون مهاجمة لشبونة بحراً فأرسلوا أسطولهم بقيادة غانم بن محمد بن مردنيش وتمكن من الوصول الى المدينة ومهاجمتها إلا أنه فشل في الاستيلاء عليها واكتفى بالحصول على بعض الغنائم[2] ، وفي سنة٥٨٠هـ/١١٨٤م قرر الخليفة أبو يعقوب استعادة بعض مدن غرب الأندلس ومنها لشبونة فزحف بجيش كبير من قبائل العرب والبربر وأهل الأندلس ووصل الى مدينة شنترين وحاصرها وأثناء ذلك حصل سوء فهم لبعض أوامره ، إذ أنه أمر ابنه أبا اسحق أن يقوم بمهاجمة لشبونة بمن معه من أهالي الأندلس وأن يكون ذلك نهاراً ، فأساء الفهم وظن أنه يأمره بالرحيل فنادى على الجيش بالرحيل ليلاً ، وعند الصباح وجد أبو يعقوب أن اغلب الجيش قد رحل عنه ، فأنتهز البرتغاليون الفرصة وهجموا عليه وتمكنوا من جرحه إلا أنه تمكن من الانسحاب بعد أن فقد العديد من أتباعه ثم لم يلبث أن توفي متأثرا

---

١) ينظر عن التحديات التي واجهها الموحدون في الأندلس، السامرائي وآخرون، تاريخ المغرب، ص٢٩٧ وما بعدها.

٢) ابن خلدون، تاريخ، ٦/ ٢٤٠. السلاوي، الاستقصا، ١/١٥٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بجراحه[1] ، فكانت تلك آخر المحاولات اليائسة في استعادتها.

ثالثاً : الحياة الفكرية في لشبونة

ليس من المعقول أن تمر أكثر من أربعة قرون من الحكم الإسلامي المباشر للمنطقة دون أن تترك آثاراً حضارية مهمة عليها مع ما عرف من المسلمين من التقدم الحضاري الذي وصلوا إليه آنذاك ، ولعل جهل الكثيرين بذلك وحتى البرتغاليين أنفسهم لا يعود الى قلة تأثرهم به كما يدعي البعض منهم[2] ، ولكنه يرجع في تقديرنا الى عمليات التطهير الديني والعرقي الذي مارسه الأسبان والبرتغاليون بالمناطق التي استرجعوها من المسلمين ، فالحروب التي خاضوها ضد المسلمين لم تكن سياسية وحسب بل عمدت الى إزالة وجودهم أفراداً وعقيدة ، فكانت المظاهر السائدة بعد دخولهم لأي مدينة هي تهجير أصحابها وتحويل المساجد الى كنائس ثم إزالة كل المعالم الإسلامية فيها[3] ، ومن آثر البقاء من المسلمين على أرضه يحرم عليه الكلام بالعربية وارتداء الملابس الإسلامية ويمنع الصلاة علناً ثم اجبروا على إرسال أولادهم الى الكنائس وتم

---

١) المراكشي، المعجب، ص٢٥٩. ابن خلدون، تاريخ، ٢٤١/٦. السلاوي، الاستقصا، ١٥٤/١- ١٥٥. مكي، البرتغال الإسلامية، ص٢٦.

٢) ينظر : طه، دراسات أندلسية، ص٢١٩. مكي، م. ن، ص٢٧.

٣) الحجي، التاريخ، ص٥٣٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تعميدهم على طريقة النصارى[1] ، وهكذا تم إذابتهم داخل المجتمع الجديد ، وبعد مرور عدة أجيال صحا الناس على واقع آخر وكأن شيء لم يكن ، ولكن الحقيقة لا يمكن أن تطمس ، فإذا حجبت عن بعض الأجيال فلا بد لها أن تظهر والبحث والتحري كفيلان بذلك ، وليس من الصدفة عند تصفحنا لتاريخ مدينة لشبونة على الانترنيت لن نحصل إلا على أحداث لم تتجاوز القرن السادس عشر الميلادي ، وعند مراجعة بعض الكتب الحديثة لم يذكروا للشبونة إلا سقوطها على يد الملك الفونسو هنريكيز سنة٥٤٢هـ/ ١١٤٧م ، ولكن في مصادرنا العربية القديمة المزيد وخصوصاً عن حضارتها وحياتها الفكرية.

فموقع مدينة لشبونة أثر وبشكل كبير على طريقة حياة السكان وسلوكهم إذ ارتبطت بالبحر —فكما مر بنا— كان أغلب سكانها يعملون في الصيد البحري أو جمع المعادن من ساحل البحر ، ولعل ذلك أكسبهم خبرة في ركوبه ، ومما زاد في إقبالهم على البحر هو اهتمام الدولة في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بمدينة لشبونة إذ أقدمت على إنشاء قاعدة بحرية للأسطول فيها بعد هجوم النورمان عليها سنة٢٢٩هـ/٨٤٣م ، ولعل ذلك حولهم الى بحارة مهرة ، فلابد أن يكون أهالي لشبونة قد عملوا في تلك القاعدة ، فأكسبهم خبرة مهمة عن البحر ومسالكه ، لذا فليس من الغريب

١) السامرائي وآخرون تاريخ، ص٣٠١- ٣٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن تكون عملية اكتشاف مجاهل بحر الظلمات(المحيط الأطلسي) قد تمت من سواحل الأندلس الغربية ، فالمسعودي(٣٤٦هـ/٩٥٧م) يشير الى رجل يُقال له((خشخاش كان من فتيان قرطبة وأحداثها فجمع جماعة من أحداثها ، وركب بهم مراكب استعدها في هذا البحر المحيط فغاب فيه مدة ثم انثنى بغنائم واسعة ، وخبره مشهور عند أهل الأندلس))[١] ، وعلى الرغم من عدم وضوح المكان الذي وصلوا وصلوا إليه ، فإذا صح ما تحراه البعض من أن هذه المحاولة كانت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[٢] فهذا يعني أن المسلمين كانوا الرواد الأوائل لحركة الاستكشافات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون في العصور التالية.

وقد تلا محاولة خشخاش هذه محاولة أخرى أسهمت في دفع حركة الاستكشافات الجغرافية الحديثة ، إذ قام فتيان من مدينة لشبونة بالتوغل في المحيط الأطلسي حيث يسرد الإدريسي(ت٥٦٠هـ /١١٦٤م) قصتهم قائلاً: (ومن مدينة لشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه والى أين انتهاؤه ، كما تقدم ذكرهم ، ولهم بمدينة لشبونة بموضع بمقربة الحمة درب منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين الى آخر الأبد ، وذلك أنهم اجتمعوا ثمانية رجال كلهم أبناء عم فأنشئوا مركبا حمالا وادخلوا فيه الماء والزاد

---

١) مروج الذهب، ١١٩/١.

٢) كراتشوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ص١٣٦ . سوسة، الشريف الإدريسي، ص٤١١ . الشكعة، الأدب الأندلسي، ص٢٧٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وما يكفيهم لأشهر ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا فيها نحوا من احد عشر يوما فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروس قليل الضوء فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم في اليد الأخرى وجروا مع البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما فخرجوا الى جزيرة الغنم وفيها من الغنم م لا يأخذه عد ولا تحصيل وهي سارحة لا راعي لها ولا ناظر اليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا بها فوجدوا بها عين جارية وشجرة تين بري عليها ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما الى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها الى عمارة وحرث فقصدوا اليها لبروا ما فيها ، فما كان غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق هناك فأخذوا وحملوا في مراكبهم الى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها فرأوا فيها رجالاً شقراً زعراً شعور رؤسهم سبطة وهم طوال القدود ولنسائهم جمال عجيب فأعتقلوا منها في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي فسألهم عن حالهم وفيما جاؤوا وأين بلدهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا وأعلمهم انه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك فسألهم عما سألهم الترجمان فأخبروه بما اخبروا به الترجمان بالأمس من أنهم اقتحموا البحر ليروا ما به من الأخبار والعجائب ويقفوا في نهايته فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان خبر القوم أن أبي أمر قوما من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهرا الى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدي ، ثم أمر الملك الترجمان أن يعد القوم خيرا وان يحسن ظنهم بالملك ففعل ثم انصرفوا الى موضع حبسهم الى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر ، قال القوم قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا وكتفنا الى خلف وتركنا بالساحل الى أن تضاهى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحالة السيئة فحلونا من وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر ، فقال احدهم أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم فقلنا لا فقال إن بينكم وبين بلدكم مسيرة شهرين فقال زعيم القوم وا أسفي فسمي المكان إلى اليوم آسفي وهو المرسى الذي في أقصى المغرب))[1].

ويعلق الدكتور عبد الرحمن الحجي على هذه القصة قائلاً: ((إنها دليل على روح المغامرة المتأصلة في نفوس الرحالة المسلمين وعدم مبالاتهم بالخطر حبا في الكشف عن المجهول))[2] ، ويشير كراتشوفسكي إلى أن هذه الرحلة تعود للقرن الرابع الهجري/العاشر

---

١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٢/٥٤٨- ٥٤٩. ينظر أيضاً: الحميري، صفة، ص١٧- ١٨.

٢) أندلسيات، ص١٥٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الميلادي وأنها أسهمت((في الحث على الرحلات المتأخرة التي قام بها الملاحون الأوربيون في المحيط الأطلنطي كما أنها واحدة من سلسلة المحاولات العربية للتجوال في الغرب في ذلك العهد))[1] ، وعن هذه القصة يقول أحمد سوسة أن الإدريسي استند إليها في ((أن المتجه من شواطئ أوربا الغربية في المحيط الأطلسي يصل إلى آسيا(الهند) وهي نفسها التي استند عليها كولومبس بعد الإدريسي بأكثر من ثلاثة قرون للقيام برحلته سنة١٤٩٢م))[2].

وحسبنا هنا أن ننظر إلى لشبونة من خلال هذه القصة الطريفة إذ نجد:

١-إن قسماً من أهالي لشبونة بحارة مهرة لهم خبرة في ركوب البحر ومسالكه ولا بد أن هذه الخبرة قد تراكمت بسبب مخالطتهم للبحر لمدة طويلة.

٢-إن لديهم خبرة في صناعة السفن القوية القادرة على مواجهة أمواج المحيط الأطلسي.

٣-إن لديهم معلومات واسعة عن البحر ولكنهم يجهلون ما وراءه لذا أخذوا معهم من الزاد ما يكفي لأشهر.

٤-إن لديهم معرفة في مواعيد هبوب الرياح واتجاهاتها.

٥-إنها تعكس حالة من الاستقرار الاجتماعي بحيث دفع فتيانها

---

١) تاريخ الأدب الجغرافي، ص١٣٧. ينظر أيضاً: سوسة، الشريف الإدريسي، ص٢١٠.

٢) سوسة، م.ن، ص٤١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى معرفة المزيد عن البحر ، ويبدو أن ذلك كان في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حيث تمتعت الأندلس خلال عصر الخلافة بحالة من الهدوء والازدهار الاقتصادي والفكري.

وعليه فأن هذه القصة الممتعة والرحلة المثيرة قد شكلت لونا من الأدب الجغرافي وقد تركت بصماتها على صفحات أكثر الرحالة فيما بعد[1].

وإذا انتقلنا إلى إسهامات أهالي لشبونة في الآداب والعلوم ، نجد أن اللشبونيين على طول الحقبة الإسلامية كانوا على اتصال دائم مع رواد الفكر العربي الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي أيام كانت الرحلة في طلب العلم أحد أهم مظاهر الحركة العلمية ، لذلك نبغ منهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء وأطباء وزهاد ، ولعل الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله دافعوا عن بلدهم ومدينتهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك ، وقد ارتأينا أن نذكرهم حسب تسلسل سني وفياتهم وهم:

١-إبراهيم بن عبد القادر بن فتوح يعرف بابن شنيع من أهل لشبونة ، كانت له رحلة إلى المشرق وحكايات وأشعار عدة وسأل عن مولده فقال في لشبونة سنة٤٩٩هـ/١١٠٥م ، ولم تذكر سنة وفاته[2].

٢-إبراهيم بن هارون بن خلف بن عبد الكريم بن سعيد المصمودي من أهل لشبونة كان يعرف بالزاهد الأشبوني ، سافر إلى

---

١) **الشكعة، الأدب الأندلسي، ص٤٧٦.**

٢) **م.ن، ١٤٢/١.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قرطبة طلبا للعلم ومكث فيها أربعين سنة ، وكان ضابطاً لما كتب ثقة في الرواية توفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م[١].

٣-بكار بن داود المرواني وهو من ولد عبد الله بن عبد الملك بن مروان كان مولده في مدينة شنترة قرب لشبونة في صفر سنة٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م ، ثم سكن قرطبة وعاد بعدها حيث استقر في لشبونة ، ذكره ابن سعيد أنه كان ((غاية في الزهد مطرحاً لنفسه ومات في جهاد العدو))[٢] ، وأشار المقري أن بكار المرواني كان في أول حياته يرتزق من الشعر - وهو أمر كان معروف في عصر دويلات الطوائف حيث تسابق الأمراء والملوك آنذاك في استقطاب الشعراء وأهل الأدب وأغدقوا عليهم الأموال من أجل رفع شأنهم[٣] - إلا أنه ترك ذلك عند تقدمه في السن وسكن لشبونة واكتفى بقليل من العيش حيث كان يصيد السمك من ساحل البحر ثم خرج مجاهداً حيث استشهد في احد المعارك مع البرتغاليين وقد أورد المقري عدة مقاطع من قصائده[٤].

٤-حسن بن أحمد بن عمر بن مفرج بن خلف بن هاشم البكري الأشبوني يعرف بالزرقالة أصله من لشبونة وسكن الجزيرة الخضراء ، ويبدو أنه ترك لشبونة بعد استيلاء البرتغاليين عليها ، قال

---

١) ينظر ترجمته في : ابن الفرضي، تاريخ، ٥٠/١- ٥١. السمعاني، الأنساب، ١١١/١. ياقوت، معجم البلدان، ١٩٥/١- ١٩٦. الزبيدي، تاج العروس، ٢٤٩/٩.

٢) ابن سعيد، المغرب، ٤١٥/١. ينظر أيضاً : المقري، نفح الطيب، ٣٢٧/٣.

٣) عنان، دول الطوائف، ص٤٢٤.

٤) المقري، نفح الطيب، ٣٣٢/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنه ابن الابار: أنه كان((طبيبا موفقا في العلاج ، وفاق أهل عصره في تمييز النبات والعشب ، مع حظ صالح من قرض الشعر))[١] وكانت وفاته سنة٦٠٣هـ/١٢٠٦م.

٥-عبد الرحمن بن عبيد الله الاشبوني رحل إلى قرطبة ثم إلى المدينة المنورة في طلب العلم وسمع فيها من مالك بن أنس[٢] (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) ، وهذا يعني أنه من رجال القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وأنه من الرواد الأوائل الذين أخذوا العلم عن مالك بن أنس في المدينة ثم رجعوا ونشروا المالكية في الأندلس.

٦-أبو زيد عبد الرحمن بن مقانا الاشبوني كان يسكن في قرية تدعى قبذاق من قرى لشبونة[٣] ، قال عنه ابن بسام: ((إنه من شعراء غربنا المشاهير ، وله شعر يعرب عن أدب غزير))[٤] ، عاصر عبد الرحمن بن مقانا دول الطوائف(٤٢٢هـ—٤٨٤هـ/١٠٣٠- ١٠٩٦م) وقد طاف في مختلف مناطق الأندلس ودويلاتها آنذاك يمدح أمرائها وملوكها حيث سافر إلى مالقة وامتدح الخليفة إدريس بن يحيى بن حمود[٥] ، كما ذهب إلى سرقسطة وامتدح صاحبها منذر بن يحيى[٦] ، ورحل

---

١) ابن الابار، التكملة، ٢٦٤/١.

٢) ابن الفرضي، تاريخ، ٤٣٨/١. الحميدي، جذوة المقتبس، ٤٣٧/٢.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٦/٢. ابن سعيد، المغرب، ٤١٣/١.

٤) الذخيرة، ٤٦٥/٢.

٥) وهو أحد خلفاء بني حمود العلويين في مالقة، ينظر: ابن حزم، جمهرة، ص٥١.

٦) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٧/٢. والمنذر بن يحيى الملقب بمعز الدولة حكم= =سرقسطة من ٤٢٠-٤٣٠هـ/ ١٠٢٩-١٠٣٨م، عنان، دول الطوائف، ٢٦٨-٢٧٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى بلنسية وطرطوشة وامتدح هناك أميرها مقاتل الفتى[1] ، كما امتدح أيضا مجاهد العامري في الجزائر الشرقية[2] ، ولكن بعد أن تقدم به السن رجع إلى لشبونة وفي قريته قبذاق قضى بقية حياته[3].

٧-عبيد الله بن خليفة يعرف بابن الموصلي نسبة إلى موصل من قرى لشبونة ، كان من أهل النباهة والعلم وكان له شعر ذكره ابن الابار في معجمه ، ثم استقدمه المرابطون من بلده لشبونة إلى اشبيلية حيث تولى القضاء بها بعد القاضي أبي بكر بن العربي وكانت وفاته سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م[4].

٨-أبو الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني ، كان يلقب يطيطن[5] ، وهو من أهل لشبونة قال الحميدي: (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) كان شاعراً أديبا((ذكره لي أبو عبد الله محمد بن عمر الأشبوني وأنشد لي يصف نملة...))[6] ، وهذا يعني أنه من أعيان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، أما ابن بسام فقد وصفه بأنه كان((ممن نظم الدر المفصل ولاسيما في الزهد ، فأن أهل أوانه

---

١) ابن بسام، م. ن، ٤٦٨/٢. وهو من الصقالبة العامريين حكم طرطوشة حتى عام ٤٤٥هـ/١٠٦٣م، عنان، م. ن، ص٢٧٣.

٢) حكم مجاهد العامري الجزائر الشرقية من ٤٠٠- ٤٣٦هـ/١٠٠٩- ١٠٤٤م، ينظر: عنان، م.ن، ص١٨٩ وما بعدها.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ٤٦٦/٢.

٤) ابن الابار، التكملة، ٩٣٥/٢.

٥) ذكره ابن بسام بطيطل، الذخيرة، ٤٧٢/١.

٦) جذوة المقتبس، ٤٩٥/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه...))[1] ، وقد أورد له العديد من القصائد في الزهد[2].

٩-محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الازدي ولد بمدينة لشبونة سنة٥٥٨هـ/ ١١٦٢م وذلك بعد استيلاء البرتغاليين عليها ويبدو أنه اضطر إلى مغادرتها حيث سكن اشبيلية ، اشتهر الازدي بعلم القراءات حيث قرأ بالعشر(أي القراءات القرآنية العشر) وبالسبع بحرف نافع وابن كثير ، ورحل إلى المشرق وحج وسمع بمكة من عدد من علمائها ومحدثيها ثم رجع إلى اشبيلية حيث توفي هناك سنة٦٣٩هـ/١٢٤١م[3] .

١٠-محمد بن خلف بن عبد الرحمن الأموي من أهل لشبونة من أعيان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي روى عن القاضي أبي بكر بن العربي[4].

١١-أبو بكر محمد بن سوار الأشبوني وصف بأنه شاعر مشهور كان أكثر شعره لا على سبيل التكسب والاستجداء كما فعل الكثير من معاصريه من شعراء القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، ويبدو من سيرته أنه نشأ في لشبونة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري واشترك في الجهاد ضد الأسبان ووقع في الأسر ،

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٧٢/١.

٢) م. ن، ٤٧٢/١- ٤٧٤.

٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ٥٠٥/٦- ٥٠٦.

٤) المراكشي، الذيل والتكملة، ١٨٧/٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وقد ذكر له ابن بسام قصيدة يذكر فيها كيفية وقوعه[1] ، وبعد مدة أطلق سراحه فأضطر إلى مغادرة لشبونة حيث تجول في بلاد المغرب العربي وامتدح عدد من أمرائها منهم يوسف بن تاشفين ثم رثاه في قصائد عدة بعد موته ، ولم نذكر المصادر سنة وفاته ولكن يبدو أنه توفي بعد سنة٥١٥هـ/١١٢١م إذ ذكر له ابن بسام قصيدة يمدح فيها القاضي أحمد بن علي بن القاسم المتوفى في ذلك العام[2].

١٢-محمد بن عبد الوهاب بن الحسن الازدي من أهل لشبونة روى عن شريح[3] ، وإذا صح أن شريح الذي روى عنه هو شريح القاضي المتوفى سنة٨٠هـ/٦٩٩م ، فهذا يعني أن محمد بن عبد الوهاب هذا يكون من العرب الداخلين إلى الأندلس ضمن الطلائع العربية الأولى مع بدايات الفتح ثم سكن لشبونة وأخذ يروي الحديث النبوي هناك..

١٣-محمد بن عبد الوهاب القرشي من أهل لشبونة ومن أعيان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي روى عنه أبو العباس بن الزرقالة المتوفى سنة٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م[4].

١٤-أبو محمد بن هود يرجع نسبه إلى بني هود حكام سرقسطة

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ٤٨٤/٢.

٢) ينظر: ابن بسام، م. ن، ٤٨١/٢- ٤٩٦. ابن سعيد، المغرب، ٤١١/١- ٤١٢.

٣) المراكشي، الذيل والتكملة، ص٤١٩. وينظر ترجمة القاضي شريح : ابن سعد، الطبقات، ٤٢٨/٦- ٤٣٧.

٤) م. ن، ٤٢٠/٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيام ملوك الطوائف ، وصفه ابن الابار أنه أحد الأدباء النجباء[١] ، ويبدو أنه كغيره من شعراء عصره في أيام الطوائف تنقل بين ملوك وأمراء الأندلس متكسباً ، فقصد المتوكل محمد بن عمر الأفطس (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ومدحه في قصائد عدة وقد كافئه ابن الأفطس بأن ولاه مدينة لشبونة وكان((محمود السيرة معروف النزاهة)) ولم يشر إلى وفاته[٢].

١٥-محمد بن يحيى بن مزاحم الأنصاري الخزرجي أصله من لشبونة ، ويبدو أنه غادرها بعد ذلك نحو سرقسطة ثم رحل إلى المشرق وصفه ابن بشكوال بأنه كان((نهاية في علم العربية ومن تآليفه كتاب الناهج للقراءات بأشهر الروايات))[٣] وكانت وفاته سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م[٤].

١٦-مفرج بن محمد بن عصام الفهري اللشبوني من أهل لشبونة من أعيان القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي سكن قرطبة وسمع من القاضي أبي بكر بن العربي وكان أستاذا في العربية والآداب وله حظ في الشعر[٥].

١٧-أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، على الرغم

---

١) ابن الابار، الحلة السيراء، ١٦٥/٢.

٢) م. ن، والصفحة.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ٥٣٢/٢.

٤) ينظر ترجمته : البغدادي، هدية العارفين، ٧٨/٢. كحالة، معجم المؤلفين، ١١/٢١.

٥) م. ن، ٧٢٢/٢- ٧٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من أنه قضى شطراً من حياته في مدن شرق الأندلس إلا أنه لحق ببني الأفطس ببطليوس وعينه المظفر بن الأفطس قاضياً للشبونة وسكنها مدة وكان يعد من علماء عصره وله عدة مؤلفات منها كتاب التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب وكتاب بهجة المجالس ، وكان أيضاً شاعراً امتاز شعره بالرصانة والأنفة توفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م[1].

---

١) ينظر عن ابن عبد البر : ابن خلكان، وفيات، ٦٧/٧. الذهبي، سير، ١٥٦/٦. السيوطي، طبقات الحفاظ، ١/ ٤٣١- ٤٣٢. عنان، دول الطوائف، ص٤٣٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة لورقة الأندلسية

٩٤-   ٦٦٥هـ / ٧١٢-   ١٢٦٦م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: جغرافية لورقة Lorca التاريخية:

ورد اسم المدينة في المصادر العربية بألفاظ مختلفة بعض الشيء، فجاءت بلفظة(لورقة، أو لرقة، أو يورقة)[١] ، وذكر العذري أن تفسير لورقة باللطيني تعني الدرع الحصين وهو اسم وافق معناه لأنها تعد من المعاقل الحصينة[٢] ، وذكرت المصادر أنها مدينة محدثة[٣] ، وهذه اللفظة تدل على إنها أنشأت بعد الفتح الإسلامي لشبة الجزيرة الأيبيرية(**Iberia**)[٤].

تقع مدينة لورقة في شرق الأندلس بكورة تدمير(**Tudmir**) ، شمال مدينة المرية(**Almeria**)[٥] ، إذ وصفها الحميري قائلاً: ((لورقة بالأندلس من بلاد تدمير، إحدى المعاقل السبعة التي عاهد عليها

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١ ؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٤٠ ؛ السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص٤٣ ؛ ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٧١.

٢) نصوص عن الأندلس، ص١.

٣) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص١٦؛ مجهول، تاريخ الأندلس(تحقيق بوباية) ص١٣٧.

٤) يسمي الجغرافيون العرب المسلمون المدن التي أنشأت بعد الفتح الإسلامي بالمحدثة، أما التي كانت موجودة قبل الإسلام فتسمى بالقديمة أو الأزلية.

٥) البكري، جغرافية، ص١٢٧؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٦٣/١ ؛ الحميري، صفة، ص١٧١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تـدمير...))[1] ، والمعاقـل السـبعة الـتي تتكـون منـها بـلاد تـدمير هـي (أريولة ، ومولة ، ولورقة ، وبلنتله ، ولقنت ، وإيه ، وإلش)[2] ، وتحدث اليعقوبي عن مدينة لورقة عند ذكره لبلاد الأندلس ، فأشار أن لبلاد تدمير مدينتان ، دون أن يشير إلى مدنها الأخرى ، إذ قال: ((...بـلاد تـدمير هـو بلـد واسع عـامر فيـه مـدينتان يُقـال لأحـداهما العسـكر وللأخـرى لورقـة في كـل واحـدة منـبر))[3] ، وكلمـة منـبر عنـد الجغرافيين العرب تعني أن ذلك المكان بـه مقـر الـوالي أو الأمـير أو أنه مركز إداري لما حوله[4].

وقد وضع العذري مدينـة لورقـة ضـمن الأنـدلس الأدنـى حسـب قسمة قسطنطين ، وهذا القسم يشمل قرطاجنة(Cartagena)الحلفاء (وهـي مـن لورقـة) وجعـل معهـا مدينـة بلنسـية(Valencia)ومدينـة شاطبة (Jativa)[5] ، وهي تبعـد عـن مدينـة موربيطر (Murviedro) ثلاثون ميلاً وعن مدينة ملينة خمسـة وثلاثـون مـيلاً ، وعـن حصـن قتورية ثلاثون ميلاً ، ومنها أيضا إلى حصن جيططيلة اثنان وعشرون

---

١) صفة، ص١٧١.

٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٥.

٣) البلدان، ص١٩٣.

٤) عن المنبر ودلالاته ينظر : ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص٨٥- ٩٥.

٥) نصوص عن الأندلس، ص٢٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ميلاً[١] ، وعن مدينة مرسية(**Murcia**) أربعون ميلاً[٢].

وضمت مدينة لورقة مجموعة من الحصون ، منها حصن شنقنيرة ، الذي يعد من أعمالها ، وقد وصفه القزويني بقوله ((شنقنيرة أرض بالأندلس من أعمال لورقة ، خصها الله تعالى بالبركة وقوة لم توجد في غيرها من الأراضي...))[٣] ، وحصن سرنيط ، إذ ذكره الحميري قائلاً: ((...حصن سرنيط ، وهو حصن من حصون لورقة البرانية منها...))[٤] ، كما يوجد فيها حصن أقله وهو حصن صغير يقع على البحر وهو فرضة لورقة والمسافة بينهما في البر خمسة وعشرون ميلاً[٥].

ومن أعمال مدينة لورقة الأخرى قرية فليش(**Velez**)[٦] ، ومنطقة بلس(بلش)[٧] ، وقرية تارة[٨].

تميزت مدينة لورقة بوجود الأنهار والجداول على أراضيها ، وقد

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٠ ؛ والميل يساوي ٢كم، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٨.

٢) الحميري، صفة، ص١٧١.

٣) آثار البلاد، ص٥٤٣.

٤) صفة، ص١٧١.

٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٩/٢.

٦) السلفي، أخبار وتراجم أندلسية، ص٤٣- ٤٤.

٧) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٦٧/٦.

٨) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٣ ؛ وعرفت عند الحميري بقرية تازة، ينظر : صفة، ص١٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علق على ذلك الحميري بقوله ((...وهي على نهر مجراه إلى الشرق من هذا القطر ،... ، ولهذا النهر مجريان ، أحدهما أعلى من الثاني ، فإذا احتيج إلى السقي به عولي بالسداد حتى يرقى المجرى الأعلى فيسقى به ، وعلى هذا النهر نواعير في مواضع مختلفة تسقى به البساتين ، وتخرج منه الجداول العظيمة ، يسقي الجدول عشرة فراسخ وأكثر...))[1].

كما اشتهرت مدينة لورقة بوجود العيون ، وقد وصف ذلك العذري بقوله: ((بناحية لورقة عين قرية تارة... يخرج في ساقية مفتوحة في الحجر الصلد نحو ميلين في عمق القامة ، ثم يتصل بنقب في الحجر الصلد ومناهر مفتوحة إلى أعلى الجبل لدخول الضوء ، ثم يفضي إلى بيت في داخل الجبل ظليم ممتلئاً ماء ، والجبل كله واقف على أرجل ومن دخل إليه لا يعلم ما وراء تلك الأرجل)[2].

ويوجد فيها أيضاً فحص[3] الفندون الذي لا يعرف في الأرض مثله ، الذي يتصل بفحص شنقنيرة ، إذ أن المسافة بينهما خمسة وعشرون ميلاً[4] ، ومن صفات فحص الفندون أنه يسقى مرة واحدة

---

١) صفة، ص١٧٢.

٢) نصوص عن الأندلس، ص٣ ؛ ينظر أيضاً : الحميري، صفة، ص١٧٣.

٣) قال ياقوت عن معنى الفحص عند أهل الأندلس هو كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يُزرع، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٠١.

٤) الحميري، صفة، ص١٧٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واحدة ولا يحتاج إلى غير ذلك[1] ، وله واديان إذا استغنى هذا الفحص عن السقي صرف على ذلك الوادي وإذا أحتيج إليه عُلِيَ ذلك الوادي بالسِداد حتى يسقي[2] ،وطعام مدينة لورقة يبقى في هذا الفحص خمسين عاماً فأكثر ولا يتغير[3] ، كما اشتهر هذا الفحص بجودة زراعة الحبوب فيه ، وقد أوضح ذلك الحميري بقوله: ((وكان قدم قرطبة أيام الأمير محمد قوم من وجوه المضرية واليمانية بتدمير ، فسألوهم عن هذا الفحص فذكروا فضله ونمو ما يزدرع فيه فأكثروا وقالوا: إن الحبة تتفرع من أصلها ثلاثمائة قصبة ، فأنكر ذلك بعضهم فكذبه ، فوجهوا رسولاً أمروه بإغراء اليقين ، وبحمل أصول من ذلك الزرع فأحضرها ، فأحصى في كل أصلٍ ثلاثمائة قصبة وأكثر ، في كل قصبة سنبلة))[4].

إن خصوبة تربة مدينة لورقة ساعدت على قيام الزراعة في هذه المنطقة ، وقد وصف الحميري ذلك بقوله((... ، وهي كثيرة الزرع والضرع والخمر))[5] ، كما ذكر العذري أن فيها أرضاً تعرف بوادي الثمرات يرد إليه وادٍ هناك يسقيه ، فينبت التفاح والكمثرى والتين والزيتون وسائر الثمار ونحوها حاشى شجرة التوت وذلك كله من

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢.

٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢.

٤) صفة، ص١٧٣ ؛ ينظر أيضاً : العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢ – ٣.

٥) صفة، ص١٧١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير غرس أصلاً[١] ، كما أن في مدينة لورقة من أصناف الفواكه ما لا يوجد في غيرها حسناً وكثرة[٢] ، إذ تميزت الأعناب فيها بكبر الحجم ، وقد علق على ذلك ياقوت بقوله: ((... ، فيها عنب يكون العنقود منه خمسين رطلاً بالعراقي...))[٣] ، كما اشتهرت لورقة بالحرير ، فمؤلف مجهول يقول: ((...وبها الحرير الطيب والعصفر الطيب))[٤].

وتحدثت المصادر عن وجود المعادن في لورقة ، فقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله: ((... ، وبها معادن تربة صفراء ، ومعادن مغرةٍ تحمل إلى كثير من الأقطار...))[٥] ، ومن هذه المعادن حجر الأزورد ، إذ علق علق مؤلف مجهول على ذلك بقوله: ((ويوجد الأزورد الطيب بالأندلس بناحية لورقة من كور تدمير...))[٦] ، في حين قال البكري: ((وبناحية لورقة من ناحية تدمير ، يكون حجر الأزورد الجيد...))[٧] ، الجيد...))[٧] ، كذلك يوجد بالقرب من مدينة لورقة معدن البلور[٨].

وذكرت المصادر أيضا أن أهالي لورقة كانوا يؤمنون ببعض

---

١) نصوص عن الأندلس، ص ٨ ؛ ينظر أيضاً : القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.
٢) القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.
٣) الأندلس من معجم البلدان، ص٢٥٢ ؛ والرطل العراقي يساوي ٤٠٦،٢٥ غم، هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٣٥.
٤) تاريخ الأندلس، ص١٣٧.
٥) نزهة المشتاق، ٥٦١/٢.
٦) تاريخ الأندلس، ص٥٢.
٧) جغرافية، ص١٢٧.
٨) ابن غالب، فرحة الأنفس، ص٤٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ١٤٢/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعتقدات ، منها أنه كانت فيها كنيسة داخلها جرادة من ذهب طلسما للجراد ، ولم يعلموا للجراد في بلدهم طوال كون تلك الجرادة موجودة هناك ، حتى سُرقت ، فظهر الجراد من ذلك العام ، ولم تفقد الجراد بعد ذلك[1] ، كما ذكر أن علة البقر لم تعرف عندهم حتى وجد في بعض الأسس ثوران من صفرٍ أحدهما مقابل صاحبه يلتفت إليه ، فلما أُخِذت من ذلك الموضع وقعت عندهم علة البقر في ذلك العام[2].

ومن عجائب مدينة لورقة شجرة زيتونة في كنيسة في حومة جبل ، على مقربة من مدينة لورقة وبقرب حصن هناك يعرف بميربيط ، إذا كان أوان صلاة العصر من اليوم الذي يستقبل أول ليلة من شهر مايو تنورت الزيتونة ، فلا يأتي الليل إلا وقد عقدت فتصبح من تلك الليلة والزيتونة كلها قد اسود تمرها من الزيتون وطاب ، وقد عرف الناس ذلك ووقفوا عليها ، وأرسل الأمراء قديماً إليها ، وقد قطعها أهل تلك الناحية لكثرة الوارد عليها بسببها ، وتزاحم الناس ، فبقيت مقطوعة زماناً ، ثم لقح الأصل بعد ذلك ، وعادت إلى حالها[3] ، وقد تحدث العذري عنها بقوله: ((وقد رأيت من قدم خبرها أن إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي أخبر

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٧٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.

٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٢ ؛ الحميري، صفة، ص١٧٢ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.

٣) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن ملك الروم برومية سنة خمسين وثلثمائة من الهجرة قال له أني أريد أن أرسل إلى أمير المؤمنين بالأندلس قوماً حاذقاً بهدية ، وأن من أعظم حوائجي عنده ، وأجل مطالبي قبله وذلك أنه صح عندي أن في القاعة الكريمة كنيسة وفي الدار زيتونة إذا كان ليلة الميلاد تنورت وعقدت وأطعمت من نهارها فاعلم أن لشهيدها محلاً عظيماً عند الله عز وجل فاضرع إلى معاليه في تسليل أهل تلك الكنيسة ومداراتهم حتى يسمحوا بعظام ذلك الشهيد ، فإن حصل لي هذا فهو كان أجل عندي من كل نعمة في الأرض))[1].

وقد وصف الحميري لورقة وركز على سورها وربضها وأسواقها ، إذ قال: ((وهي على ظهر جبل ، وبها أسواق وربض في أسفل المدينة وعلى الربض سور ، وفي الربض السوق ،...))[2] ، كما تحدث عنان عنها بقوله: فأما لورقة فهي مدينة كبيرة عتيقة الطراز ، تقع على سفح مرتفع تشرف عليه قلعة قديمة ، وربما كانت القصبة الأندلسية ، ويشقها من الوسط فرع لنهر شقورة ، وتحيط بها الجبال من الغرب ، وتتخللها الحدائق الباسقة والنخيل المثمر ، وقسمها القديم تتخلله شوارع ودروب ضيقة ، تنم عن طرازها الأندلسي[3].

ثانياً : التاريخ السياسي لمدينة لورقة :

---

١) نصوص عن الأندلس، ص٧- ٨ ؛ ينظر أيضاً : الحميري، صفة، ص١٧١ ؛ القزويني، آثار البلاد، ص٥٥٦.

٢) صفة، ص١٧١.

٣) الآثار الأندلسية الباقية، ص٢٣٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فتحت مدينة لورقة من قبل القائد عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة٩٤هـ/٧١٢م[١] ، وذلك بعد أن أرسل موسى بن نصير ابنيه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى جنوب وجنوب شرق شبه الجزيرة الأيبيرية واتجه موسى نفسه إلى الغرب ، وتمكن عبد الأعلى من فتح كل من مدينة مالقة **Malaga** ومدينة البيرة **Elvira** ، ولا يستبعد أن يكون ذلك بمساعدة أخيه عبد العزيز[٢].

بعد ذلك توجه الأخير إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية ، إذ التقى قرب مدينة أوريولة(**Orihuela**) بالدوق تدمير حاكم هذه المقاطعة التي تكون مدينة لورقة جزءاً منها ، وقد قاوم تدمير هجوم المسلمين لبعض الوقت ، ولكنه توصل بعد ذلك إلى عقد معاهدة صلح معهم في رجب سنة٩٤هـ/ نيسان٧١٢م[٣].

وتضمنت معاهدة الصلح شروط مناسبة حصل تدمير بموجبها على الاعتراف به حاكماً على سبعة مدن تقع ضمن منطقته وهي: أوريولة ، ومولە(**Mola**) ، ولورقة ، وبلنتله ، ولقنت(**Alicante**) ، وآنه(**Iana**) ، وإلش(**Elche**) ، كما احتفظ بإدارته الداخلية لهذه المدن ، مقابل ان يدفع جزية سنوية تقدر بدينار ذهبي واحد مع كميات من القمح والشعير والخل والعسل والزيت لكل فرد حر من

---

١) **الحميري، صفة، ص١٧١.**

٢) **ابن الخطيب، الإحاطة، ١٠١/١ ؛ اللمحة البدرية، ص١٦ ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧٥/١.**

٣) **مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢- ١٣.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أفراد رعيته ، أما العبيد فتؤخذ عنهم نصف هذه الكمية ، وقد وافق تدمير أيضاً بألا يقوم أحد من رعيته بتجاهل هذه المعاهدة أو الإخلال بشروطها[1].

وقد جاءت تفاصيل هذه المعاهدة عند العذري كما يأتي: ((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح ان له عهد الله وميثاقه وما بعث به أنبياءه ورسله ، وأن له ذمة الله عز وجل وذمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له وألا يؤخذ لأحد من أصحابه بسوء ، وألا يُسبون ولا يُفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم ، ولا يُقتلون ولا تُحرق كنائسهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، وأن صلحهم على سبع مدائن: أوريولة ، ومولة ، ولورقة ، وبلنتله ، ولقنت ، وإيه ، وإلش ، وأنه لا يدع حفظ العهد ، ولا يحل ما انعقد ، ويصحح الذي فرضناه عليه وألزمناه أمره ، ولا يكتمنا خبراً علمه ، وأن عليه وعلى أصحابه غرم الجزية ، من ذلك على كل حر: دينار ، وأربعة أمداء من قمح ، وأربعة أمداء من شعير ، وأربعة أقساط خل ، وقسطاً عسل ، وقسط زيت ، وعلى كل عبد نصف هذا...))[2].

وقد أشار أحد الباحثين تجاه ذلك من أن أهل البلاد حافظوا من خلال هذه المعاهدة على كل ممتلكاتهم مع حقهم بنقلها فيما بعد إلى أبنائهم ، وهذا الحق لم يكونوا يتمتعوا به تحت حكم

---

١) الحميري، صفة، ص٦٢- ٦٣.

٢) نصوص عن الأندلس، ص٤- ٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القوط الغربيين(Visigoths)[1] ، أما دوزي فقد أشار أيضاً إلى أن الفاتحين المسلمين لم يأخذوا شيئاً قط من نصارى الولاية التي كان يحكمها تدمير ولا من مدنها ، بل كان كل ما هنالك أنهم تعهدوا بدفع الجزية على شكل مال وثياب[2] ، وقد علق طه على هذه المعاهدة بقوله: إن هذا النوع من المعاهدات المتساهلة ربما يشير إلى أن سياسة موسى بن نصير كانت تهدف إلى خلق نوع من التعاون مع سكان البلاد في إدارتها بعد الفتح ، وهذه السياسة ستمكنه من أن يضع حامية صغيرة في كل مدينة مهمة ، ويترك إدارة شؤونها الداخلية كما كانت من قبل دون تدخل في النظام الإداري للبلاد ، وربما كان الدافع إلى اتخاذ هذه السياسة هو ظروف موسى وقلة من معه من رجال القبائل العربية الذين لم يكن عددهم يكفي للهيمنة على كل شبه الجزيرة الأيبيرية[3].

عاد عبد العزيز بن موسى بعد أن استقرت الأمور في المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية ، ومما عجله في ذلك هو اندلاع تمرد في مدينة اشبيلية(Aevilla) سنة ٩٤هـ/٧١٢م ، الأمر الذي تطلب استدعاءه من قبل والده موسى للتوجه إليها[4].

---

١) الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس، ص١٧٧.

٢) المسلمون في الأندلس، ٤٧/١.

٣) الفتح والاستقرار، ص١٧٩- ١٨٠.

٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥٦٥/٤ ؛ ابن= =عذاري، البيان المغرب، ١٥/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٠٧/٢٢ ؛ المقري، نفح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن مدينة لورقة عاشت هادئة بعيدة عن الأحداث الكبيرة التي عانت منها الأندلس في عصر الولاة وبداية عصر الإمارة ، ولعل ذلك يعود إلى معاهدة الفتح التي عقدها عبد العزيز بن موسى مع تدمير ، وليس هناك معلومات كافية عن القبائل التي سكنتها سواء العربية أم البربرية ، ولكن بشكل عام فإن بعض المصادر تشير إلى أن بعض القبائل العربية سكنت في منطقة تدمير(مرسية) والتي تقع بالقرب منها ، فابن حزم يشير إلى أن بني دوس وهم فرع من الأزد سكنوا في تدمير ، وكان أشهر هؤلاء بنو شاهر بن زرعة وبنو هارون بن زرعة[1] ، كما أشار إلى أن بني كنانة من مضر كان لهم عدد ووجاهة وثروة بمرسية[2] ، وأن بني أفصى بن عامر بن إلياس بن مضر سكنوا ألش وأعمالها وما حواليها[3] ، وهذه المناطق هي من أعمال كورة تدمير التي تضم من بينها لورقة ، ولهذا لا يُستبعد أن انتشر قسم منهم في لورقة ، ولاسيما وأن المدينة تمتلك الكثير من مقومات الحياة الاقتصادية.

ومما يؤيد استقرار بعض القبائل العربية في منطقة لورقة هو ما حدث فيها في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) من فتنة بين المضرية واليمانية وذلك سنة٢٠٧هـ/ ٨٢٢م

الطيب، ٢٧١.

١) جمهرة أنساب العرب، ص٣٨٣.

٢) جمهرة أنساب العرب، ص١٨٩.

٣) جمهرة أنساب العرب، ص٢٤٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استمرت سبع سنين ، إذ حدث بينهم القتال في هذه السنة ، وخسر الطرفان ما يقارب ثلاثة آلاف قتيل[1] ، وقد علق العذري على ذلك بقوله: ((...وكانت بينهم في هذه السنة بلورقة وقيعة تعرف بيوم المصارة ، فنيَ فيها كثير منهم ، وانتهى القتل فيهم إلى ثلاثة آلاف))[2] ، وفي سنة٢٠٩هـ/٨٢٤م تجدد الصراع مرة أخرى بين الطرفين ، فأشار ابن حيان إلى أنه ((...تلاحمت الطائفتان في الفتنة ودامت بينهم ، فهلك فيها بين الفريقين أمم...))[3] ، ثم تجدد الصرع بينهم سنة٢١٠هـ/ ٨٢٥م بسبب((...أن رجلاً من اليمانية استقى من وادي لورقة قلّة ماء وأخذ فأخذ ورقة من دالية فجعلها في فم القلّة فنهاه المضري وقال إنما صنعت ذلك هواناً بي إذ قطفت الورقة عن كرمي ، فتقاتلا حتى غلا الأمر بينهما وقتله ، وعسكر بعضهم إلى بعض))[4].

وعلى الرغم من أن الأحداث أعلاه تؤشر وجود قبائل من العرب المضرية واليمانية في لورقة ، إلا أنها جاءت متأخرة ولم

---

١) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٨/١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٨١/٢ ؛ النويري، نهاية الأرب، ٢٢ / ٩٤.

٢) نصوص عن الأندلس، ص٥.

٣) المقتبس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م)، ص٤١٩ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ٨٢/٢.

٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص٦ ؛ ينظر أيضاً : الحميري، صفة، ص١٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توضح تاريخ دخولها المنطقة واستقرارها فيها ، ولكنها في الوقت نفسه دليل على أن عدد العرب الذين استقروا فيها حتى بداية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كان كبيراً ، وهو ما تعكسه أرقام القتلى رغم ما فيها من مبالغة.

ولعل اعتدال مناخ مدينة لورقة وعذوبة مائها وكثرة خيراتها كانت عاملاً لجذب الاستقرار فيها ، كما شجعت هذه العوامل الأمراء الأمويين إلى الاهتمام بها ، إذ قام الأمير عبد الرحمن الثاني ببنائها ، وقد أوضح مؤلف مجهول ذلك قائلا ((...ومدينة لورقة ، وهي حديثة البناء ، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، وهي حسنة الهواء ، عذبة الماء ، ولها عمل كثير...))[1].

ويبدو أن ذلك الاهتمام بها من قبل الدولة جعلها محل جذب للسكان ، وهو ما دفع العديد من القبائل إلى الانتشار بها ، فقد ذكر العذري أنه في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الثاني(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) تم استقدام عدد من وجوه اليمانية والمضرية إليها منهم: بنو طريف وبنو شاهد وبنو فروخ[2] ، وقد أرجع طه أسباب ذلك إلى التربة الخصبة ومزارع الكروم في سهل لورقة التي جذبت العديد من رجال القبائل العربية إليها ، كما ذكر أيضاً أن هذه العوامل الايجابية نفسها خلقت الأسباب للصراع على اقتسام

---

١) **تاريخ الأندلس، ص١٣٧.**

٢) **نصوص عن الأندلس، ص٢.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه المصادر الغنية والسيطرة عليها[١].

وقد شهد عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ظهور العديد من التمردات والفتن الداخلية ، وقد وصف ابن الأثير عهده بقوله((وفي أيامه امتلأت الأندلس بالفتن ، وصار في كل جهة متغلب ولم تزل كذلك طول ولايته))[٢].

ويبدو أن التمردات قد استفحلت في معظم بلاد الأندلس ، ولم تبق قاصرة على المناطق الجبلية ، بل تجاوزها إلى القواعد والمدن الكبيرة ، مثل إشبيلية وبطليوس(Badahoz) وجيان(Jaen) ولورقة ومرسية وغيرها ، ولم تكن قاصرة على زعماء المولدين[٣] فقط ، بل امتدت إلى زعماء القبائل العربية أنفسهم ، إذ رأوا الفرصة سانحة لإستقلالهم وتدعيم سلطانهم ، وظهر البربر في الميدان أيضا ، وهكذا نشب الصراع بين العرب والمولدين حيثما التقت حشودهم ، كما حدث في كورة ريّة(Rayya) وإشبيلية ، وبين العرب والبربر ، وبين العرب أنفسهم ، وقد استقل زعماء العرب في البيرة وجيان ولورقة ، واستقل زعماء المولدين بالثغر الأعلى وبطليوس وباجة(Beja) وجيان ومرسية[٤].

---

١) الفتح والاستقرار، ص٢١٠.

٢) الكامل، ١٤٥/٧.

٣) المولدون هم أولاد الذين نشئوا على الإسلام من الأسبان، مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٦٠- ٤٦١.

٤) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ق١، ص٣١٩ ؛ الصوفي، تاريخ العرب في أسبانيا، ص٤٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومن ثورات المولدين التي حدثت في مدينة لورقة ، ثورة ديسم بن إسحاق[1] ، إذ خرج ديسم في شرق الأندلس في كورة تدمير ، وغلب على مدينتي لورقة ومرسية ، وقد استفحل أمره ، وكان له جيش يحارب به من يخالفه ، فأرسل إليه الأمير عبد الله بن محمد سنة٢٨٣هـ/٨٩٦م حملة عسكرية بقيادة أحمد بن محمد بن أبي عبدة تمكنت من اختراق ولاية تدمير ونشبت بينهم وبين قوات ديسم في ظاهر لورقة معركة شديدة هُزِمَ فيها ديسم وأتباعه[2].

وفي عهد الأمير عبد الرحمن الثالث(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ظهرت في مدينة لورقة بعض الحركات المناوئة لحكمه ، منها حركة عبد الرحمن بن عبد الله بن وضاح[3] سنة٣١٢هـ/٩٢٥م ، إذ تمرد في مدينة لورقة ، إلا أن الأمير عبد الرحمن الثالث تمكن من إفشال حركته ، بعدها رجع إلى الطاعة ، إلا أنه لم يستمر طويلاً ، فقد تمرد مرة

---

١) كان ديسم بن إسحاق من فرسان عمر بن حفصون الثائر بحصن ببشتر (Babastro)، وقد ملك مدينة لورقة واشتدت شوكته وكثر أتباعه، حتى أنه ضرب الدراهم باسمه، وكانت وفاته سنة ٢٩٣هـ/ ٩٠٥م، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص١١- ١٢.

٢) ابن حيان، المقتبس (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/ ٨٨٨- ٩١٢م)، ص١٤٠- ١٤١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/١٣٥، ١٣٨.

٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن وضاح بن يحيى بن الوضاح مولى عبد الملك بن مروان، تمرد على حكومة قرطبة (Cordova) ثم رجع إلى الطاعة وانتقل إلى قرطبة وتوفي بها سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م، ينظر : العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢- ١٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أخرى ، إذ لم يلتحق بالحملة العسكرية التي قادها الأمير عبد الرحمن الثالث لغزو مدينة بنبلونة(Pamplona)عاصمة البشكنس (Bascons)[1] ، لذا أخذ الأمير عبد الرحمن بمحاربته وتمكن من إخماد حركته ، ثم كتب له بالأمان بعد أن شرط عليه الانتقال من لورقة إلى قرطبة مع أهله[2].

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد(٣٦٦-٣٩٩هـ/٩٧٦-١٠٠٨م) ، أصبحت مدينة لورقة معبراً لحملات المسلمين باتجاه أراضي النصارى ، فقد ذكر ابن الابار حملة قادها المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠١م) إلى مدينة برشلونة(Barcelona)سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م واتخذت الطريق المار من مدينة البيرة إلى بسطة (Baza) إلى لورقة ومنها إلى مرسية ، فأقام عند الأخيرة ثلاثة وعشرين يوماً ومن ثم توجه إلى برشلونة[3].

ولا نستبعد أن شارك أهالي مدينة لورقة في هذه الحملة التي مرت على مناطقها ، أضف إلى ذلك قرب لورقة من مرسية التي استقرت فيها القوات قبل التوجه إلى مدينة برشلونة ، ولعل هذه المدة كافية لإنضمام قوات أخرى من مدينة لورقة والمناطق المجاورة لها للمشاركة في هذه الحملة.

وقد وصف العذري هذه الحملة بقوله((وغزا محمد بن أبي عامر

---

١) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٢- ١٣.

٢) ابن حيان، المقتبس (الحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/ ٩١٢- ٩٤١م)، ص١٩٠، ١٩٦.

٣) الحلة السيراء، ٣١٢/٢- ٣١٣ ؛ وينظر : دوزي، المسلمون في الأندلس، ١٢٢/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

برشلونة ، وكانت صائفة مفردة ، الثلاثاء لاثني عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلثمائة ، ولخمسة أيام خلت من شهر مايه ، وعاد إلى ثمانين يوماً))[1].

أما مؤلف مجهول فقد عدها الغزوة الثالثة والعشرون للمنصور بن أبي عامر وعلق عليها بقوله((نزل عليها فحاصرها ، ونصب عليها المجانيق فكان يرميهم برؤوس الروم عوضاً من الحجارة ، كان يرمي عليها كل يوم ألف رأس حتى فتحها عنوة ، فسبي منها سبعين ألف رأس من النساء والأولاد))[2].

وفي بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تمكن خيران العامري الصقلبي[3] من السيطرة على شرقي الأندلس ، وأخرج البربر من مدينة أوريولة وبلاد تدمير والتي كانت تضم مدينة لورقة ، وصارت هذه المناطق تحت سيطرته وذلك سنة٤٠٣هـ/ ١٠١٢م وبقيت هذه المناطق في طاعته حتى وفاته سنة٤١٩هـ/ ١٠٢٨م[4].

وبعد وفاته تولى زهير العامري[5] حكم بلاد تدمير ، ويبدو أن

---

١) نصوص عن الأندلس، ص٨٠.

٢) تاريخ الأندلس، ص٢٢٩.

٣) خيران العامري من موالي المنصور ابن أبي عامر حكم المرية وبلاد تدمير في أيام الفتنة بين سنة (٤٠٥- ٤١٨هـ /١٠١٤- ١٠٢٧م)، ابن سعيد، المُغرب، ١٩٤/٢ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٩٩/٢- ٢٠١.

٤) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٦.

٥) زهير العامري من موالي المنصور بن أبي عامر فر إلى شرق الأندلس أيام الفتنة وحكم مدينة المرية وما جاورها مدة عشر سنوات ثم قتل في غرناطة=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهالي هذه المناطق لم يرضوا بحكمه ، إلا أنه تمكن من إخضاعها وغلب عليها وبقي فيها حتى مقتله سنة٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، بعدها صارت بلاد تدمير بعضها لأبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر[1] ومنها مرسية ولورقة وما والاهما ، وأوريولة وإلش وما والاهما إلى مجاهد العامري[2] صاحب دانية(Denia) إلى أن توفي بها وبعدها تولى أمرها ولده علي بن مجاهد[3] حتى تمكن المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود[4] من السيطرة على

=(Granada) سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م أثناء محاولته السيطرة عليها من بني مناد، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠١/٢- ٢٠٢.

١) هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور محمد بن أبي عامر بايعه الموالي العامريون في شرق الأندلس أيام الفتنة سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م واستمر حتى وفاته سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٧/٢- ١٨٨.

٢) مجاهد العامري من فتيان المنصور بن أبي عامر وقد استقل بدانية بعد سقوط الدولة العامرية وكان ذا نباهة ورياسة ومحبا للعلم والأدب، توفي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٢٠ ؛ ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب، ٤٠١/٢ ؛ ابن عذارى، البيان المُغرب، ١٥٥/٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٤/٢.

٣) حكم مجاهد العامري دانية وبعض مناطق شرق الأندلس بعد وفاة أبيه حتى سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م عندما استولى عليها ابن هود، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٠٥/٢- ٢٠٦.

٤) هو أحمد بن سليمان بن هود الجذامي الملقب بالمقتدر بالله تولى سرقسطة (Zaragoza) ومنطقة الثغر الأعلى بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ودخل في صراع مع النصارى، كما حاول مد سيطرته على بعض مناطق شرق=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دانية وأعمالها وأخرج علي بن مجاهد منها ، أما مرسية تولى أمرها بعد زهير العامري أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر[1] الذي حكمها حتى سنة٤٧١هـ/١٠٧٨م[2].

أما مدينة لورقة فلم تستمر طويلاً بيد عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية والمرية ، إذ سرعان خضعت لحكم بني صمادح التجيبيين ، وذلك عندما خرج عبد العزيز لمواجهة قوات مجاهد العامري المتجه إلى بلنسية للدفاع عنها ، وعند خروجه ترك صهره أبا الاحوص معن بن محمد بن صمادح التجيبي[3] ليرعى شؤون مدينة المرية ، وكانت لورقة تعد من أعمالها ، فما كاد عبد العزيز يغادر المرية حتى وطد أبا الاحوص الأمر لنفسه وخلع طاعة عبد العزيز واستولى على المرية وأعمالها التي كانت تضم لورقة وبياسة(**Baeza**)ودلاية(**Dalias**)وأندرش(**Andrax**) وذلك سنة٤٣٣هـ/

=الأندلس ومنها دانية، وكانت وفاته سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٦٧- ١٦٨.

١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي كان من أعلام بلاد تدمير وحكمها أيام الفتنة حتى أخرجه ابن عباد منها سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، ابن الابار، الحلة السيراء، ١١٦/٢

٢) العذري، نصوص عن الأندلس، ص١٦ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٥٢.

٣) حكم معن بن محمد بن أحمد بن صمادح التُجيبي المرية للمدة بين ٤٣٣هـ/١٠٤١م حتى وفاته سنة ٤٤٣هـ/١٠١٥م، ابن الأبّار، الحُلة السُّيراء، ٧٨/٢- ٨٨ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٨٤/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠٤١م وكان من المؤيدين له في ذلك باديس[1] صاحب غرناطة ، وبذلك دخلت المرية وأعمالها في عهد جديد من تاريخها[2].

وقد عبرت بعض المصادر عن سلوك ابن صمادح ذلك بقولها: ((كان شر خليفة استخلفَ لم يكد يواري عبد العزيز وجهه عنه حتى خانه الأمانة ، وطرده عن الإمارة ، ونصب له الحرب ، فغرب في اللؤم ما شاء ، وتنكب ابن أبي عامر التوفيق لاسترعائه الذنب الأزل على ثلته ، ومسترعي الذنب أظلم ، وكان من العجب أن تملكها ابن صمادح مدته مخلفها ميراثاً في عقبه))[3].

استمر معن بن صمادح في حكم المرية وأعمالها ما يقارب عشر سنوات ، وكانت بينه وبين باديس صاحب غرناطة علاقة مودة وصداقة[4].

تولى بعده حكم المرية وأعمالها ولده أبو يحيى محمد بن صمادح واستمرت أول الأمر علاقة المودة مع صاحب غرناطة على

---

١) هو باديس بن حبوس بن ماكسن بن زيري الصنهاجي حكم مدينة غرناطة في عصر الطوائف ووصف أنه كان قاسيا حازماً، توفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وقيل سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، ينظر : ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ١٠٧/١، ١١٤، ١٩٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢١٠/٢.

٢) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٥٢ ؛ عنان، دول الطوائف، ص١٦٢.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ق١، ٥٥٧/٢ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٤/٣ مع اختلاف ببعض الكلمات.

٤) ابن بلقين، التبيان، ص٤٥ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٥٢ ؛ عنان، دول الطوائف، ص١٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما كانت عليه أيام أبيه[1] ، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ سرعان ما دبّ الخلاف بينهما ، وسبب ذلك أن محمد بن صمادح اختلف مع خاله عبد العزيز بن أبي عامر صاحب مدينة بلنسية ، وكان باديس صاحب غرناطة يعمل على إذكاء هذا الخلاف ويقويه ، فكان من نتائج هذا الخلاف ثورة ابن شبيب[2] صاحب مدينة لورقة على محمد بن صمادح(الملقب بالمعتصم) سنة٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ، ويبدو إن هذه الثورة لم تكن بعيدة عن يد عبد العزيز ، وذلك لأن لورقة هي آخر قواعد مدينة المرية الشمالية الشرقية على حدود بلنسية ، ثم اتضح ذلك أن طلب ابن شبيب مساعدة عبد العزيز صاحب بلنسية فبادر الأخير إلى تلبية دعوته ، وأمده ببعض قواته ، على اثر ذلك تحرك المعتصم بجيشه إلى مدينة لورقة بعد أن أمده باديس صاحب غرناطة ببعض قواته ، وقد نشبت بين الجانبين مواجهات انتهت بهزيمة ابن شبيب واستيلاء المعتصم على لورقة وحصونها وعودتها إلى حضيرة مدينة المرية[3].

---

١) ابن بلقين، التبيان، ص٤٥ ؛ عنان، دول الطوائف، ص١٦٤.

٢) كان ابن شبيب من قادة زهير العامري وحارب معه ضد صاحب غرناطة ويبدو أنه تحول إلى طاعة بني صمادح وولي لورقة من قبل معز الدولة بن المعتصم، كما أن أباه كان والياً عليها من قبل معز الدولة بن المعتصم، ينظر : ابن بسام، الذخيرة، ٢/ ٦٦٠ ؛ ابن خلدون، العبر، ١٦٢/٤ ؛ وأشار دوزي أن ابن شبيب أحد رؤساء الجند في لورقة، ملوك الطوائف، ص٦٠.

٣) ابن خلدون، العبر، ١٦٢/٤ ؛ عنان، دول الطوائف، ص١٦٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلا أن ابن شبيب لم يستسلم ، فعاد إلى مهاجمة مدينة لورقة وتمكن من السيطرة عليها وأن يستقل بحكمها عن بني صمادح حكام المرية ، وقد تعاقب أخوته الثلاثة على حكم لورقة إلى أن اعترف آخرهم بطاعة المعتمد بن عباد[1] صاحب إشبيلية ، واستمر على حكمها باسمه حتى سقوط إشبيلية بيد المرابطين (Los، Almoravides) سنة٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[2].

كان عميد الرواية أعلاه عن حالة لورقة مدة عصر الطوائف هو ابن خلدون ، إلا أن هناك رواية أخرى ذكرها بعض مؤرخي الأندلس تختلف في بعض تفاصيلها عن رواية ابن خلدون ، ملخص هذه الرواية أن مدينة لورقة ملكها مدة ملوك الطوائف أبو محمد عبد الله بن لبون وبعد وفاته ورثه أخوه أبو عيسى بن لبون ووليها بعده أخوه أبو الأصبغ سعد الدولة بن لبون[3].

---

١) يرجع أصل أسرته إلى المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة، ودخل جدهم عطاف بن نعيم مع طالعة بلج بن بشر القشيري، وكان كبير أسرتهم أيام الفتنة التي تلت سقوط الخلافة إسماعيل بن عباد على قضاء إشبيلية فتمكن من السيطرة على المدينة وضبط= أمورها، وورث أولاده رئاسة المدينة بعده إذ تمكنوا من الاستقلال بها وتكوين دولة لهم استمرت حتى سنة ٤٨٤هـ /١٠٩١م حين دخلها المرابطون واعتقلوا آخر أمرائهم المعتمد بن عباد، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٤٧/٢- ١٦٧ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس (تحقيق بوباية) ص٢٦٠- ٢٦٤.

٢) عنان، دول الطوائف، ص١٦٤.

٣) ينظر معلومات متفرقة عن هذه الرواية : ابن بسام، الذخيرة، ٢٦٢/٣، ١٠٤/٥ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ١٦٧/٢، ١٧٢ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢٧٥/٢- ٢٧٦؛ المقري، نفح الطيب، ٥٩٧/٣، ٢١٤/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكننا الجمع بين الروايتين من خلال بعض التفاصيل ، ذلك أن بني لبون كانوا في خدمة بني ذي النون حكام طليطلة(Toledo) في عصر الطوائف ، فكان أبو الأصبغ إبراهيم بن لبون خليفة للمأمون بن ذي النون على بلنسية وأخوه أبو عامر بن لبون متولي القصر فيها[١] ، والمعروف أن المأمون بن ذي النون دخل بلنسية سنة٤٥٧هـ/١٠٦٥م[٢] ، وهذا يعني ان استخدام بني لبون في الوظائف كان بعد هذا التاريخ حيث عمل المأمون بن ذي النون على التوسع في مناطق شرق الأندلس تحت ضغط النصارى[٣] ، وأشار ابن الابار إلى أن أبا محمد عبد الله بن لبون كان والياً على لورقة وتوفي بها بعد موقعة الزلاقة (Sagrojas) بيسير[٤] ، أي في حدود سنة٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ، وحسب رواية رواية ابن خلدون فإن لورقة خرجت من يد بني صمادح واستولى ابن شبيب على بعض حصونها منذ سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ، ولكن ابن خلدون لم يشر إلى نهاية ابن شبيب ، إلا أن عنان قال إن لورقة بقيت بيد أخوته من بعده حتى دخولها في طاعة ابن عباد.

ويبدو أن القائد ابن شبيب احتفظ لنفسه ببعض النفوذ في بعض حصون لورقة ساعده على ذلك اضطراب أوضاع الأندلس في عهد الطوائف وخضوع العديد منهم لسيطرة النصارى ، أما لورقة نفسها فإن

---

١) ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/١٦٩.

٢) عنان، دول الطوائف، ص١٠٢ ؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٢٨.

٣) ينظر: عنان، دول الطوائف، ص١٠١- ١٠٤.

٤) الحلة السيراء، ٢/١٦٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ابن ذي النون بعد سيطرته على بلنسية وإسقاطه حكم العامريين اعتبر لورقة ضمن مناطق نفوذه لأنها كانت سابقاً ضمن أملاك عبد العزيز بن أبي عامر وأن بني صمادح استولوا عليها غدرا ، ولهذا قام بتعيين أبي محمد بن لبون عليها ثم أخويه من بعده.

أعقب أبو عيسى بن لبون بن عبد العزيز بن لبون أخاه في حكم لورقة وذلك في حدود سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م ، وكان من أصحاب القادر يحيى بن ذي النون[١] وولي قضاء بلنسية فلما اضطرب أهلها واستولى عليها السيد القمبيطور(**Cid El Campaedor**)[٢] ذهب إلى مدينة مربيطر من أعمال بلنسية ، فلما خاف على نفسه من القمبيطور التجأ

---

١) حكم يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر بالله طليطلة للمدة بين ٤٧٦- ٤٧٨هـ/ ١٠٨٣- ١٠٨٥م إذ طرده الأسبان منها، وقتل على يد المرابطين في بلنسية سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/ ١٧٨- ١٨٠.

٢) وهو فارس قشتالي مغامر تزعم فرقة من الفرسان النصارى وأخذ يجوب شرق الأندلس ويستأجر نفسه لحكامها ثم يضرب بعضهم ببعض من أجل إضعافهم، وعندما رأى اختلال الأمور في بلنسية توجه إليها بصحبة المستعين بن هود وضرب عليها الحصار مما اضطر أهلها إلى الاستسلام بعد أن عقدوا معه معاهدة تصب في صالحه وأسياده حكام قشتالة، وكان ذلك سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وصادر أموال القادر ثم نقض الصلح مع أهالي المدينة وقتل القاضي ابن جحاف الذي وقع معه المعاهدة بعد أن عذبه حرقا بالنار، ثم أمر بإحراق جماعة من أعلام أهل المدينة وسام أهلها العذاب مما اضطر الكثير منهم إلى مغادرتها ولم ينقذ ذلك الوضع إلا دخول المرابطين المدينة سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٣١/٢- ٤٢ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٣١- ٢٤٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى بني رزين[1] في شنتمرية الشرق(Sant Maria de Albarracin) وبقي فيها حتى وفاته[2] ، وكان طيلة مدة ولايته للورقة يحكمها بصورة اسمية إذ استناب عنه أبو الحسن بن اليسع الكاتب [3] في حكمها الذي تمكن من ضبطها ، واستمر نفوذه بها خلال مدة ولاية أبي الأصبع سعد الدولة بن لبون ، ولم نعثر على تاريخ وفاة أبي عيسى بن لبون وأخيه أبي الأصبغ بن لبون ، ولكن يبدو أنهما حكماها بصورة اسمية على التوالي بين سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م وسنة ٤٨١هـ /١٠٨٨م عندما خضعت لورقة لنفوذ المعتمد بن عباد ، وقد أشار ابن الابار إلى ذلك بصورة مقتضبة عند ترجمته لأبي الحسن بن اليسع إذ قال: ((واستبد بضبطها دون بنيه إلى أن تخلى عنها للمعتمد بن عباد))[4].

أما عن كيفية وقوعها تحت نفوذ ابن عباد فإن ذلك يعود إلى

---

١) بنو رزين هم أحد بيوتات البربر الداخلين إلى الأندلس في جيش طارق بن زياد، وفي عصر الفتنة تمكن كبيرهم أبو محمد هذيل بن عبد الملك بن رزين من التغلب بحكم شنتمرية الشرق وأعمالها منذ سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م وتمكن من تكوين إمارة لهم استمرت حتى سقوطها بيد المرابطين سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م، ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٩٤- ١٩٦ ؛ عنان، دول الطوائف، ص٢٥٣- ٢٥٩.

٢) ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/١٦٨- ١٦٩.

٣) هو أبو الحسن بن اليسع الملقب بذي الوزارتين ولاه المعتمد بن عباد مرسية فصار فيها قائداً ووزيراً فأتمر به أهلها وخلعوه بسبب إسرافه في الخمر، ينظر: ابن خاقان، قلائد العقيان، ص١٦٦ وما بعدها.؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/١٧٢- ١٧٦.

٤) الحلة السيراء، ٢/١٧٢- ١٧٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الظروف التي أحاطت بمناطق شرق الأندلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، فبعد خسارة النصارى بقيادة الفونسو السادس(Alfonso VI)(٤٥٨-٥٠٢هـ/ ١٠٦٥-١١٠٨م) في معركة الزلاقة سنة٤٧٩هـ/١٠٨٦م[1] ، شعر الفونسو بإنهيار قواه ومشاريعه العسكرية في غربي الأندلس ، لذلك رأى ان يتحرك إلى شرقي الأندلس ، إذ كان يسود هذه المنطقة الاضطراب والضعف والتفرقة ، ولاسيما وأن المعتمد بن عباد أمير إشبيلية كان تواق إلى السيطرة على مرسية من صاحبها عبد الرحمن بن رشيق[2] وتوطيد سلطانه فيها[3].

ويبدو أن هذه الخلافات خدمت النصارى ، لذلك أخذت قواتهم بمهاجمة المناطق الشرقية من الأندلس ، إذ تمكنوا من السيطرة على قلعة حصن الييط(Aledo) الواقع بين مرسية ولورقة وهو أقرب إلى الأخيرة ويعد من أعمالها ، وذلك سنة٤٨١هـ/١٠٨٨م ، وأخذوا منه

---

١) لمزيد من التفاصيل حول معركة الزلاقة ينظر : ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٠/١٥٣- ١٥٤ ؛ المراكشي، المعجب، ص٩٤ وما بعدها ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٤/١٣٠ وما بعدها ؛ دوزي، ملوك الطوائف، ص٢٩٧ وما بعدها.

٢) عبد الرحمن بن رشيق احد الطامعين ظهر في شرق الأندلس استطاع التغلب على مرسية بمساعدة النصارى وناصب المعتمد بن عباد العداء ولمن الأخير تمكن من إلقاء القبض علية وسجنه في لورقة سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، ينظر أخباره : ابن بسام، الذخيرة، ٥/٢٥ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/١٤٠، ١٤٢، ١٤٦، ١٧٥ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٣٢ ؛ ابن خلدون، العبر، ٢/٣١٢.

٣) ابن بلقين، التبيان، ص٨٠- ٨١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يشنون الغارات على المدن الأندلسية[1] ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله: ((...وفي هذا العام استحكم طمع أصناف النصارى على الجزيرة ، فضيق غرسيه على المرية ، والفانت على لورقة ، وحاصر البرهانس مرسية ، والقنبيطور شاطبة...))[2].

وعلى اثر ذلك قرر المعتمد بن عباد استدعاء المرابطين للمساعدة في صد هجمات نصارى حصن الييط بعد أن شرح لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين ما تعرض له المسلمون في منطقة مرسية ولورقة وغيرهما من شدة النصارى وغاراتهم ، فوافق الأخير ولبى الدعوة[3].

عبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس –عبوره الثاني– سنة٤٨١هـ/ ١٠٨٨م وسار صوب مدينة مالقة ومنها إلى المرية ثم دخل مدينة لورقة ، وعند هذه المدينة تلاحقت به قوات المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، والمعتصم بن صمادح صاحب المرية ، وتميم بن بلقين صاحب مالقة ، وأخوه عبد الله صاحب غرناطة ، وابن رشيق صاحب مرسية ، وفي ذلك الوقت كانت لورقة تحت حكم ابن عباد[4].

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٢ ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٦٦- ٦٧.

٢) تاريخ الأندلس، ص١٠٠- ١٠١.

٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٢ ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص٦٧.

٤) ابن الابار، الحلة السيراء، ١٧٥/٢ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٧/٢ ؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ٩٦/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نرجح تبعية مدينة لورقة للدولة العبادية كان في المدة بين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م و ٤٨١هـ/١٠٨٨م في أيام حاكمها أبو الحسن بن اليسع الكاتب ، وكان ذلك بمساعدة فرقة من الجيش المرابطي الذين تركهم يوسف بن تاشفين بعد معركة الزلاقة ، وقد وصف ابن الابار خضوع مدينة لورقة لابن عباد بقوله: ((ولما تحرك المعتمد إلى لورقة - في الجيش الذي ترك عنده ابن تاشفين بعد غزوة الزّلاقة ، وغرضه التمكن من ابن رشيق لتمنّعه عليه بمرسية-كتب إليه أبو الحسن ابن اليسع وقد قرب منه:

هذي سماؤك فلتصعد إلى أمل
أمنيّتي منه رعي في كواكبها
منعتها وملوك الوقت تطلبها
سعياً لملكك فلتهنأ به وبها))[1]

لم تستطع القوات التي كانت مجتمعة في لورقة من اقتحام حصن الييط ، إذ كان في منتهى المناعة والحصانة ، وطال الحصار زهاء أربعة أشهر والقوات الإسلامية تحاول اقتحامه ، والنصارى يدافعون عنه ، لذلك قرر يوسف بن تاشفين الانسحاب صوب مدينة لورقة ، خاصة بعد أن علم أن ملك قشتالة الفونسو السادس يسير في قوة عسكرية كبيرة لإنجاد قواته في حصن الييط ، وقد ترك أمير المسلمين قوة في شرق الأندلس بقيادة ولده الأمير داود بن عائشة ، كذلك أدرك الفونسو

١) الحلة السيراء، ٢/١٧٤- ١٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السادس أنه لا فائدة من الاحتفاظ بحصن الييط فقرر إخلائه بعد أن قوض أسواره وعاد أدراجه سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م[١].

وعلى الرغم من ذلك فإن نصارى حصن الييط ظلوا يشكلون تهديداً خطيراً لمناطق شرق الأندلس ، ومما ساعدهم على ذلك تعاون عبد الرحمن بن رشيق معهم ، بعد أن عاد إلى تمرده مرة أخرى ، وأخذوا يشنون هجماتهم على المناطق القريبة من الحصن ، لذلك طلب المعتمد بن عباد من أمير المرابطين يوسف بن تاشفين التوجه إلى الأندلس ومساعدته ، وذلك لتحقيق هدفين في نفسه وهما : مقارعة النصارى والآخر الانتقام من خصمه ابن رشيق ، فكان عبور يوسف ابن تاشفين الثالث وذلك سنة٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م ، وقصد حصن الييط ، ومن جانب آخر علم الفونسو السادس بذلك فتحرك لإنجاد الحصن والدفاع عن أهله ، وقد علق ابن الابار على هذه الإحداث بقوله: ((وفي سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ، حرك المعتمد ابن تاشفين للغزو ، بعد أن أجاز إليه البحر ،... ، فقصدوا جميعاً حصن أليط ، وبينه وبين لورقة اثنا عشر ميلاً ، والروم يعيثون منه فيما حوله ، وابن رشيق يعينهم. وعلم الطاغية أذفونش بذلك ، فتحرك لغياث الحصن والدفاع عن أهله ، فوقع الانزعاج واستراب ابن تاشفين ، وتحيز إلى لورقة وأقام هناك أياماً ، ويقال إن جيش الطاغية في حركته هذه نيّف على ثمانية عشر ألفاً بين خيل ورجل ، فأهلكهم الله بالوباء ولم ينصرف إلا في أقل من خمسة

---

١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٥٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٤٧/٢ ؛ اشباخ، تاريخ الأندلس، ٩٦/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آلاف ، ولما فصلت جيوش المسلمين مع ابن تاشفين ، وقد صار أمر مرسية إلى المعتمد ، وكان ابن رشيق في قبضته ، ترك ابن اليسع على لورقة والياً ، وترك ابن رشيق مسجوناً عنده...))[١].

إلا أن نفوذ المعتمد بن عباد في لورقة لم يدم طويلاً ، ففي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م سقطت إمارة بني عباد على أيدي المرابطين حيث دخلوا إشبيلية واعتقلوا المعتمد[٢] ، وأصبحت مدينة لورقة تابعة للدولة المرابطية ، وقد أوضح ابن سعيد ذلك بقوله: ((وصارت للمعتمد بن عباد إلى أن تداول عليها ولاة الملثمين...))[٣].

وشهدت الأندلس في نهاية الدولة المرابطية وقيام دولة الموحين حدوث العديد من الاضطرابات والثورات[٤] ، إذ استغلت بعض الشخصيات هذه الأوضاع ، فتغلب محمد بن سعد بن مردنيش[٥] على مدينتي بلنسية ومرسية ، وخضعت لحكمه معظم مناطق شرق

---

١) الحلة السيراء، ٢/١٧٥.

٢) ينظر التفصيلات عن نكبة بني عباد على أيدي المرابطين : المراكشي، المعجب، ص٩٨- ١٠٤ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/١٥٩- ١٦٠.

٣) المغرب في حلى المغرب، ٢/٢٧٦.

٤) ينظر عن أحوال شرق الأندلس آنذاك : دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٧٥ – ٩٥.

٥) هو أحد الثوار في شرق الأندلس بعد ضعف المرابطين أمتد سلطانه إلى غرناطة ثم اصطدم بالموحدين الذين هزموه، وكان وصوفاً بكثرة اتخاذ الجواري والقيان، توفي سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م، المراكشي، المعجب، ص١٧٦- ١٧٧ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ٢/١٢٢- ١٢٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلس وذلك سنة٥٤٢هـ/١١٤٧م ، وامتد سلطانه من أحواز طرطوشة (Tortosa) شمالاً حتى قرطاجنة(Cartagena) ولورقة جنوباً[١].

إلا أن ما اتصف به ابن مردنيش من مجون وانغماسه في اللهو ثم ارتمائه في أحضان النصارى واستعانته بهم ، أثار غضب الأهالي عليه وفي مقدمتهم أهالي بلنسية ولورقة ، وقد عمل ابن مردنيش على التنكيل بهم ، وهو ما دفعهم إلى الاستنجاد بالدولة الموحدية (Los ، Almohades) والتي كانت على علاقة بالثوار ، ولهذا أرسل الخليفة عبد المؤمن بن علي(٥٢٤-٥٥٨هـ/ ١١٢٩ – ١١٦٢م) رسالة إلى محمد بن سعد بن مردنيش من مدينة مراكش كانت مؤرخة في١٦ جماد الآخرة سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، دعى فيها ابن مردنيش إلى اعتناق أمر المهدي والدخول في الدعوة الموحدية ، ولفت نظره إلى أنه لم يفز أحد من زعماء الأندلس ببغيته إلا من دخل في الدعوة الموحدية ، وأن من خرج عليها منهم كان عقابه سوء المنقلب ، ثم حثه إلى المبادرة والاعتبار ، ولامه بما كان منه في حق أهل بلنسية حينما أظهروا كلمة التوحيد ، وكذلك أهل لورقة حينما ظهر إخلاصهم[٢].

ويبدو أن محمد بن مردنيش لم يستجب لهذه الدعوة ، وظل خطره يهدد مناطق شرق الأندلس ، الأمر الذي تطلب من الموحدين مواجهته ، ففي عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق١، ص٣٦٧ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٢٢٥/١.

٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤٤٣/٦- ٤٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) خرجت القوات الموحدية من إشبيلية سنة٥٦٠هـ/١١٦٤م ، وسارت إلى الشمال الشرقي حتى وصلت إلى حصن أندوجر(Andujar) ، وهي من معاقل ابن مردنيش ، وتمكنت من الاستيلاء عليها ، وقد بادر أهل الحصون المجاورة إلى إعلان الطاعة ، ثم سارت هذه القوات جنوباً باتجاه مدينة مرسية القريبة من لورقة ، فوصلت إلى مدينة بسطة دون أي مقاومة ، وعلى مقربة منها تلقى الجيش الموحدي إمدادات من غرناطة منها فرقة من الرماة ، وسار الجيش بعد ذلك إلى مدينة لورقة ماراً بحصن بلش وهو من حصون لورقة ومن أهم معاقل ابن مردنيش في تلك المنطقة ، واستطاعت السيطرة علية ووضعت به حامية موحدية[١].

وفي أثناء ذلك حشد ابن مردنيش قواته ، وقد انضمت إليه أعداداً كبيرة من النصارى المتحالفين معه ، وخرج من مرسية راغبا في اعتراض الجيش الموحدي عند مدينة لورقة ، ولمنعهم من الوصول إلى مرسية ، وقد أثر ذلك فعلاً على الموحدين لصعوبة اختراق الطريق الجبلي الوعر ، إذ تحولوا إلى غرب لورقة وانحدروا إلى السهل الذي يسمى(بالفندون) وهو السهل الذي يقع بين لورقة وقرطاجنة ، ويعد من أخصب بقاع المنطقة ، ثم اخترقوا السهل باتجاه مدينة مرسية[٢].

وقد ذهب البيذق إلى عكس ذلك ، إذ ذكر أن الموحدين عندما

---

١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٢٧٦- ٢٧٧.

٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٢٧٧- ١٧٨.؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٨٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تقدموا بقواتهم غلبوا على لورقة وقرطاجنة وبلش ووحدوا أهلها ، وأن ابن مردنيش حينما تقدم إلى لورقة كان الموحدون بها[1].

ولا يُستبعد ذلك ، إذ من غير المعقول أن تترك مدينة لورقة ، وهي قاعدة مهمة دون السيطرة عليها ، ويتقدم الجيش إلى مرسية ، لهذا يُرجح ما ذهب إليه البيذق من أن الموحدين اتخذوها نقطة انطلاق للتوجه إلى مدينة مرسية لموقعها المهم والقريب من مرسية ، أضف إلى ذلك هو وجود العديد من المؤيدين من أهالي مدينة لورقة للدعوة الموحدية ، ولعل بعضهم شارك مع الجيش الموحدي أثناء تقدمه نحو مرسية وبخاصة بعد تحالف ابن مردنيش مع النصارى.

وهكذا تمكنت قوات الموحدين من هزيمة ابن مردنيش وأتباعه في معركة فحص الجلاب سنة٥٦٠هـ/ ١١٦٤م[2] ، وقد انسحب ابن مردنيش إلى مدينة مرسية ، فلحقه الجيش الموحدي وشدد عليه الحصار ، ثم انسحب الموحدون دون أن توضح المصادر سبب ذلك ، ويبدو أن ابن مردنيش تمكن من الصمود بوجه الجيش الموحدي وأعاد فرض سيطرته على المناطق بين مرسية ولورقة بعد انسحاب قوات الموحدين منها ، وقد بقي الأمر على حاله في مناطق شرق الأندلس حتى حدث انشقاق في صفوف ابن مردنيش مما أضعف موقفه ، ذلك

---

١) أخبار المهدي بن تومرت، ص١٦٣- ١٦٤.

٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٢٧٨- ٢٨٠ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/٢٦٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٩٠- ٩١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ان صهره وحليفة إبراهيم بن همشك[1] انشق عن ابن مردنيش وأعلن انضمامه إلى صفوف الموحدين ووضع نفسه تحت خدمتهم[2].

لذلك حاول الموحدون سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م استرجاع مدينتي لورقة ومرسية ، وأخذت قواتهم بالتقدم ، وفي ضوء ذلك أخذ ابن مردنيش بالاستعداد لمواجهة الموحدين ، وطلب من حلفائه النصارى مساعدته وإمداده ، وفعلاً قام النصارى بإرسال أربعمائة فارس ، وقد بعث بهم ابن مردنيش إلى مدينة لورقة ، وهي حصن مرسية الأمامي ، لتأمين الدفاع عن قصبتها ، وكانت قوات ابن مردنيش بقيادة أبي عثمان سعيد بن عيسى ، فتمكن ابن عثمان من ضبطها وتحصينها ، ومع ذلك ظل ابن مردنيش قلقاً وذاع بين الناس ما يعانيه من اضطراب أحواله ، لذلك شعروا بأن نهايته قد اقتربت ، وكان ذلك حافزاً لأهالي لورقة أن يقوموا بثورة ضد ابن مردنيش ، ودعوا الموحدين ، وهاجموا أتباع ابن مردنيش والنصارى المتحالفين معه ، وقد التجأ هؤلاء جميعاً إلى القصبة وتحصنوا بها ، أما أهالي

---

١) إبراهيم بن همشك كان جده نصرانياً فأسلم، وإبراهيم حفيده كان فارساً شجاعاً خدم مع النصارى ثم التحق بابن غانية، بعدها صاهر ابن مردنيش وخدمه ثم التحق بالموحدين وتوفي قريبا من سنة ٥٧١هـ /١١٧٥م، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢/٢٣٧.

٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٤٢٣- ٤٢٤ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/٢٦٠، ٢٦٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١١٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لورقة فقد اتجهوا إلى الموحدين طالبين إنجادهم ، وبعثوا إلى السيد أبو حفص عمر بن يحيى قائد الموحدين بمحلته بفحص [1] مرسية يستصرخونه ويعلنون دخولهم في الدعوة الموحدية ويستنصرون به على قوات ابن مردنيش[2].

وقد علق ابن أبي صاحب الصلاة على ذلك بقوله: ((... ، قامت العامة من أهل مدينة لوررقة على النصارى وعلى من معهم من أصحابهم بدعوة الموحدين وقاتلوهم في المدينة ، فاحتصنوا بجمعهم في قصبتها ، ووثقوا بمنعها ، فخاطب الناس أهل لورقة حضرة السيد الأعلى المجاهد أبي حفص بمحلته على مرسية ، يعلمونه بقيامهم بدعوة التوحيد عن مرسية قاصدا عونهم...))[3].

وعلى اثر ذلك سار أبو حفص في بعض قواته باتجاه مدينة لورقة ، وتمكن من الدخول إليها والسيطرة عليها ، وبقيت قصبتها وفيها حاميتها بقيادة أبي عثمان تقاوم لمناعة وشدة تحصينها ، وفي تلك الأثناء حدث أن خرجت قوة موحدية تتجول في تلك المناطق المجاورة ، فوقع في يدها محمد بن أبي عثمان ، لذلك أمر القائد أبي حفص أن يحمل إلى مقربة من القصبة المتحصن بها والده عسى

---

١) الفحص عند أهل الأندلس هو كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يُزرع يُسمى فحصاً، ياقوت، الأندلس من معجم البلدان، ص٢٠١.

٢) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٤٢٨- ٤٢٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١١٢- ١١٣.

٣) تاريخ المن بالإمامة، ص٤٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يجبره ذلك على التسليم ، إلا أن أبي عثمان رفض ذلك واستمر في امتناعه ، حتى كادت الأقوات والماء أن تنفذ ، فعند ذلك ألح عليه حلفاءه النصارى على التسليم ، وكان قد توسط قائد الموحدين إبراهيم بن همشك–وهو الحليف السابق لابن مردنيش–لأبي عثمان في النزول من القصبة مع جنده بالأمان ، وفعلاً سلمت القصبة للجيش الموحدي ، وانصرف القائد أبي حفص مع أتباعه إلى مدينة مرسية ، وكذلك انصرف الجند النصارى إلى بلادهم ، وبذلك تم فتح مدينة لورقة سنة٥٦٦هـ/١١٧٠م ، وأصبحت مخلصة للموحدين طوال مدة حكمهم[١].

كانت هزيمة الموحدين في موقعة العقاب سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م[٢] بداية النهاية لنفوذهم في الأندلس ، وقد وصف ابن الخطيب حالة الأندلس في أواخر عهد الموحدين بقوله: ((...ثم أنهم ضعفوا ، واختلفوا ، ولو وشاء الله ما اختلفوا فثارت الثوار ، وكثرت الثوار ، واستعلت ، واشتعلت للفتن النار ، وطوت البلاد طيّ اليد ودّ الكفار))[٣] ، وكان من أشهر الثوار الذين تغلبوا على مناطق شرق الأندلس هو محمد

---

١) ابن أبي صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، ص٤٢٩- ٤٣٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١١٢- ١١٣

٢) ينظر التفاصيل عن موقعة العقاب، ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٦٣ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ٢٣٩/٢ ؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢ ص٢٨٢- ٣٢٦.

٣) أعمال الأعلام، ٢٤٠/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بـن يوسـف بـن هـود الجـذامي الـذي ثـار علـى الموحـدين سـنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م وملك في أول أمره مناطق واسعة مـن شـرق وجنـوب الأندلس منها مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية إلا انـه لم يستطع الاحتفـاظ بهـا طـويلاً بسـبب نهـوض اسـبانيا النصـرانية وإدراكهـا بـأن الوقـت أصـبح مواتيـا للانقضـاض علـى الفريسـة (الأندلس) التي مزقتها الفتن وانحسر عنها المد الموحدي وأضـحت معظم قواعدها تحت رحمة عدوهم[1].

على الرغم من توسع نفوذ ابـن هـود أول الأمـر وانضـمام معظـم مناطق شرق الأندلس تحت نفوذه إلا أن مدينة لورقة لم تخضع لـه ، فقد استقل فيها أحد أعيانها من المولدين وهو محمد بـن علـي بـن أحلى[2] الذي كان عالماً وله كتاب في علم الكلام ، وقد وصف ابـن الابار كيفية وصوله إلى حكم لورقة بقوله: ((تأمّر بلورقة متنقلا إلى الرئاسة مـن الدراسـة ، وكـان يُجتمـع إليـه في علـم الكـلام ، ويؤخـذ عنه ، وله فيه تواليف ، وبيته في المولدين تليدُ النباهة-وبذلك استعان على مرامه–إلى ما لأهـل بلـده مـن بـأس شـديد وكثـرة عديـد))[3] ، فالنص أعلاه يوضح أنه كان من عائلة عريقـة في لورقـة ، وصـاحب مدرسة في علم الكلام وقد استغل منطقه ومكانته من الوصول إلى رئاسة البلد ، فضلا عن الظروف التي أحاطب بلورقة من تدخلات

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٣٩٩.
٢) سنتكلم عن جانب من حياته ودوره في لورقة عند التطرق إلى الحياة الفكرية.
٣) الحلة السيراء، ٣١٤/٢؛ ينظر أيضاً : القلقشندي، صبح الأعشى، ١١٦/٧- ١١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النصارى وتغلب الثوار دفعت الأهالي إلى الاعتماد على أنفسهم في إدارة شؤونهم بعد انحسار نفوذ الموحدين.

ولكن تمدد النفوذ النصراني وتغلبهم على معظم الحواضر الأندلسية ، وما يقابلها من تمزق الجبهة الإسلامية في الأندلس والتناحر بين الأمراء المتغلبين ، وغياب الدعم المغربي ، كل ذلك دفع العديد من أولئك المتغلبين إلى مهادنة النصارى في محاولة للحد من خطرهم ، ففي سنة٦٣٢هـ/١٢٣٥م عقد ابن هود معاهدة مع ملك قشتالة تنازل له فيها عن العديد من المناطق مع أموال طائلة يدفعها له ومع ذلك لم يلتزم ملك قشتالة ببنود الصلح واستولى على قرطبة سنة٦٣٣هـ/١٢٣٦م[١] ، وفي سنة٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م عقد محمد بن أحمد بن هود معاهدة تنص على تسليم مرسية صلحاً والاعتراف بالطاعة وأداء الجزية لمملكة قشتالة[٢].

أما لورقة فقد احتفظت باستقلالها لبعض الوقت فعندما فرغ النصارى من مرسية توجهوا لإخضاع لورقة إلا أن حاكمها ابن أحلى تمكن من دفعهم أول الأمر إلا أنه اضطر أمام ضغط قواتهم الكبيرة إلى الخضوع لهم حيث أشار ابن الابار في ترجمته لابن أحلى إلى ذلك بقوله: ((ولما أمكن أهل مرسية منها الروم في شوال سنة أربعين وستمائة ، ضلَّل رأيهم ، وأبدى مخالفتهم ، وجعل

---

١) ابن خلدون، العبر، ١٧١/٤ ؛عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٤١٧ ؛ السامرائي، وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٧٧ ؛

٢) ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ١٤٥/٢ ؛ الحلة السيراء، ٣١٤/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجادلهم بلسانه ، ويجالدهم بسنانه ، فدعا ذلك إلى قصده ، والعيث في جهته ، حتى اضطر إلى المسالمة ، وعلى ذلك بقي إلى أن توفي أول سنة خمس وأربعين...))[1] ، وبذلك فقد أصبح ابن أحلى يحكم المدينة تحت تبعية ملك قشتالة حتى وفاته سنة٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م.

ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى من تولى حكم لورقة بعد وفاة حاكمها ابن أحلى ، ويبدو أنها استمرت تحت النفوذ القشتالي يدفعون الجزية لهم حتى سنة٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م إذ ثار أهلها واستدعوا محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر ، وبذلك عادت لورقة إلى حكم المسلمين[2].

ولعل نجاح أهالي لورقة في التحرر من سيطرة النصارى شجع مناطق الأندلس الأخرى وحفزهم على التخلص من الحكم القشتالي ، إذ سرعان ما قامت ثورة في مرسية ومناطقها ضدهم ، وعلى اثر ذلك طلب ملك قشتالة الفونسو العاشر(**Alfonso xel Sabio**)(٦٥٠-٦٨١هـ/ ١٢٥٢- ١٢٨٢م) من ملك أراغون خايمي الأول الملقب بالفاتح **Elconquistador** (٦١٠-٦٧٥هـ/ ١٢١٣-١٢٧٦م) مساعدته في القضاء على ثورة مرسية ، لكونها أصبحت تهدد سيادته في مدينة بلنسية والمناطق الأخرى ، وقد لبى خايمي الأول هذا الطلب وبخاصة وأنه ارتبط مع الفونسو العاشر برباط المصاهرة والصداقة ، إذ تزوج الأول من ابنة الأخير الأميرة فيولانتي ، وجهز خايمي حملة عسكرية تجاه مرسية

---

١) الحلة السيراء، ٢/٣١٤.

٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٦١ ؛ المقري، نفح الطيب، ١/٤٤٨؛

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

واستمر يحاصرها عدة أشهر إلى أن سلمت نفسها لنصارى أراغون وذلك سنة٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م[١].

أما لورقة فيبدو أنها سقطت بيد النصارى في المدة بين٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م وسنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م أيام محمد بن يوسف بن الأحمر ، فقد أشار القلقشندي عند حديثه عن محمد بن يوسف بن الأحمر إلى أنه في أيامه: ((...استعاد العدو المخذول من المسلمين أكثر بلاد الأندلس وحصونه وهي بيدهم إلى الآن...))[٢] ، وقال ابن خلدون: ((... ولم يزل الطاغية يقتطع ممالك الأندلس كورة كورة وثغراً ثغراً إلى أن ألجأ المسلمين إلى سيف البحر ما بين رندة من الغرب والبيرة من شرق الأندلس نحو عشر مراحل من الغرب إلى الشرق وفى مقدار مرحلة أو ما دونها في العرض ما بين البحر والجوف ثم سخط بعد ذلك الشيخ ابن الأحمر وطمع في الاستيلاء على كافة الجزيرة فامتنعت عليه...))[٣].

وهكذا استولى ملك أراغون خايمي الأول على سائر ثغور شرقي الأندلس وقواعده من بنشكله(**Peniscola**) وقسطلونية (**Castellon**) شمالاً ، حتى قرطاجنة ولورقة جنوباً ، وانتهت بذلك سيادة

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٦٣ ؛ ويضع ابن خلدون والمقري سقوط مرسية بيد النصارى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦، العبر، ١٧١/٤ ؛ نفح الطيب، ٤٤٨/١.

٢) صبح الأعشى، ٢٥٢/٥.

٣) العبر، ١٧١/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسلام على تلك الرقعة الكبيرة من الأندلس ، بعد حكم دام أكثر من خمسة قرون ، وأضحى أهلها الذين آثروا البقاء في أوطانهم واستسلموا إلى قدرهم في ظل حكم النصارى الجدد[1].

ثالثاً : الحياة الفكرية في مدينة لورقة :

خضعت مدينة لورقة لحكم العرب المسلمين مدة أكثر من خمسة قرون ونصف ، وخلالها طُبعت المدينة بطابعها العربي والإسلامي في مختلف مناحي الحياة ، فقد سكنها العديد من القبائل العربية إلى جانب أهلها من الأسبان الذين دخل بعضهم إلى الإسلام فكان منهم المولدين ، ونبغ من هؤلاء جميعاً العديد ممن أسهموا في رفد الحركة الفكرية في لورقة خاصة والأندلس عامة ، وبرع منهم العديد في مجالات علم القراءات ، والحديث ، والفقه ، واللغة ، والأدب والشعر ، والكلام ، والحساب ، نذكر منهم:

١-إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن صالح المرادي ، من أهل المرية يكنى أبا إسحاق ، ويعرف بابن السماد ، سمع من أبي علي الصدفي[2] وأبي بكر بن العربي[3] ، وقرأ القرآن على أبي علي

---

١) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢، ص٤٦٤ ؛ التواتي، مأساة، ص٤٦٣.

٢) هو أبو علي الصدفي هو الحسين بن محمد بن فيرة بن حيوة كان إمام عصره في الحديث سمع من أبي عمر بن عبد البر وأبي الوليد الباجي، ورحل للمشرق فزار العراق والشام ومكة ومصر وسمع من علماء تلك البلاد ثم رجع إلى الأندلس وقلد قضاء مرسية واستشهد في موقعة قتندة سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٧٣.

٣) أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي المعروف بابن العربي صنف في الحدي والفقه وعلوم القرآن وتولى قضاء إشبيلية أيام الموحدين وتوفي سنة ٥٤٣هـ /١١٤٨م، الذهبي، سير، ٢٠/١٩٧-٢٠٣ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣/١٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعروف بابن بليمة[1] ، وتصدر للإقراء ببلده ولما تغلب النصارى عليها نزل مدينة لورقة وولي القضاء بها والخطبة ، وتصدر للإقراء هنالك ، وتوفي بلورقة سنة ٥٤٧هـ/١٠٦٤م[2].

٢-أحمد بن خلف بن هاشم الأشعري من أهل لورقة يكنى أبا العباس ، محدث سمع من أبيه توفي سنة٣٥٧هـ/ ٩٦٧م[3].

٣-أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمي ، من أهل لورقة ، يكنى أبا جعفر ، روى عن أبي العباس العذري[4] ، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر[5] ، وأبو الوليد الباجي[6] ، وكان واسع

---

١) هو أبو علي بن بليمة الحسن بن خلف القيرواني المقرئ مؤلف تلخيص العبارات من القراءات توفي بالإسكندرية سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، الذهبي، العبر، ٤٠٣/٢.

٢) ابن الابار، التكملة، ١٢٧/١.

٣) ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس ص٥٠.

٤) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دِلهاث بن أنس بن فَلْهَدان بن عمران بن منيب بن زُغبة بن قُطبة العذري المري رحل مع أبوَيه إلى المشرق سنة ٤٠٧هـ/١٠١٦م فوصل إلى مكة في رمضان سنة ثمان وأربعمائة وجاور بمكة إلى سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م، فسمع بالحجاز والمشرق من العديد من الشيوخ مكة سمع من محدثي الأندلس، له كتاب أعلام النبوة وكتاب نظام المرجان في المسالك والممالك، وتوفي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ينظر ترجمته : الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٢٠- ١٢٢؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٧٠- ٧١ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٨٠- ١٨٢.

٥) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري فقيه وحافظ وعالم بالقراءات وبعلوم الحديث والرجال من أشهر كتبه كتاب التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي بشاطبة سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٣٢- ٣٣٣ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٤- ٤٥٦.

٦) هو سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي فقيه وحدث ومتكلم له رحلة=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرواية ، كثير السماع من الشيوخ ثقةً في روايته عالياً في إسناده ، له فهرسة عن شيوخه ، وتوفي سنة٥١٦هـ/١١٢٢م[1].

٤-أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنصاري من أهل لورقة ، وسكن تلمسان ، يعرف بابن الصيقل ويكنى أبا جعفر وأبا العباس محدث روى ابن بشكوال[2] والسهيلي[3] وغيرهم ، وكان

=إلى المشرق حيث أقام هناك ثلاثة عشر ثم رجع إلى الأندلس وكان له دور في الدعوة إلى التوحد أيام دويلات الطوائف، توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، الضبي، بغية الملتمس، ص٢٨٠- ٢٨١ ؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٦- ٣٤٤.

١) ابن بشكوال، الصلة، ص٧٨ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٧٠ ؛ الكتاني، فهرس الفهارس، ٢٤٤/١.

٢) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي الأندلسي، من أهل قرطبة وأصله من شريون بشرق الأندلس بحوز بلنسية، سمع أباه وأبا محمد بن عتاب وأبا الوليد بن رشد حافظا حافلا إخباريا ممتعا تاريخيا مفيدا ذاكرا لأخبار الأندلس وألف حوالي خمسين تأليفا في أنواع مختلفة، أشهرها كتاب الصلة، توفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م، ينظر ترجمته : ابن الأبار، التكملة، ٢٤٨/١- ٢٥٠ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٤٠/٢ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٣٧٩/٤ ؛ الذهبي، العبر، ٧٥/٣- ٧٦ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٨٣/١٢ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٠٨/٤- ٣٠٩ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ١٠٥/٤- ١٠٦

٣) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي كان حافظ، عالما باللغة وفنون الأدب وهو صاحب كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، توفي سنة ٥٨١هـ /١١٨٥م، الضبي، بغية الملتمس، ص٣٤٠ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٤٤٨/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مـن أهـل العنايـة الكاملـة بالحـديث والمعرفـة بصـناعته والتقـدم في الضبط والإتقان حدث ، توفي سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[١].

٥-أحمد بن عبد الملك بن عميرة بـن يحيـى الضـبي ، مـن أهـل لورقـة ، يكنـى أبـا جعفـر ، محـدث سمـع بمرسـية مـن أبـي علـي الصدفي ، ورحل إلى قرطبة فسمع من ابـن عتـاب[٢] وغـيره ، ورحـل حاجـا وبعـد انصـرافه مـن أداء الفريضـة ، أقـرأ القـرآن ببلـده لورقـة وأسمع الحديث ، وكان منقبضا زاهدا صواماً قواماً عارفاً بالقراءات ، توفي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م[٣].

٦-أحمد بن محمد بن عفيف بن عبد الله بـن مريـول بـن جـراح بـن حـاتم الأمـوي ، يكنـى أبـا عمـر ، مـن أهـل قرطبـة بـرع في الفقـه والوثـائق ، ولـه العديـد مـن التـآليف منـها كتـاب المعلمـين وكتـاب الاخـتلاف في علمـاء الأنـدلس ولـه كتـاب سمـاه بكتـاب الجنـائز. ولـه شـعر حسـن وتـولى قضـاء لورقـة فحمـدت سـيرته بهـا ، تـوفي سـنة ٤١٠هـ/١٠١٩م[٤].

---

١) ابن الابار، التكملة، ١/٨٣ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٣١/٤٢.

٢) هو محمد بن عتاب بن محسن، يكنى أبا عبد الله، من أهل قرطبة وممن أشتهر بالفتوى، روى عن خلف بن يحيى بن غيث وأبي المطرف القنازعي وغيرهم، كان فقيهاً عالماً ورعاً بصيراً بالحديث وعالماً بالوثائق وعللها، ومدار الفتوى في وقته توفي سنة ٤٦٢هـ /١٠٦٩م، ابن بشكوال، الصلة، ص٤٢٧- ٤٢٩.

٣) الضبي، بغية الملتمس، ص١٧٩- ١٨٠ ؛ ابن الابار، التكملة، ٧٢/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤٠ /٢٣٠ ؛ المقري، نفح الطيب، ٦٠١/٢.

٤) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص١٠٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧-أحمد بن محمد بن بطال بن وهب التميمي ، من أهل لورقة ، يكنى ، أبا القاسم ، رحل مع أبيه إلى المشرق ، ولقي أبا بكر الآجري[(١)] في رحلته ، وروى أيضاً عن أبيه وغيره ، وكان معتنياً بالعلم ، مشاوراً ببلده لورقة ، وتوفي في سنة٤١٢هـ/ ١٠٢١م[(٢)].

٨-أحمد بن محمد بن زاغنة ، من أهل لورقة محدث روى عن أبي علي بن سكرة الصدفي ، ذكره الضبي ولم يشر إلى تاريخ وفاته[(٣)] ، وهو من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لأن ابن سكرة الصدفي توفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م.

٩- أحمد بن يحيى بن بشتغير ، يكنى أبا جعفر ، محدث من أهل لورقة ، سمع من الحافظ أبي علي بن سكرة الصدفي[(٤)] ، كان من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لأن ابن سكرة الصدفي توفي سنة٥١٤هـ/١١٢٠م.

١٠-إسحاق بن عامر بن الحارث الزهري ، من أهل لورقة ولي قضاء تدمير من قبل الأمير عبد الرحمن بن الحكم سنة٢١٥هـ/ ٨٣٠[(٥)].

---

١) هو أبو بكر محمد بن الحسين الآجري كان ثقة دينا عالما مصنفا وقد سمع عن أبي مسلم الكجي وأبي شعيب الحراني وجعفر الفريابي، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاث مائة ثم انتقل إلى مكة فأقام بها حتى مات في محرم سنة ستين وثلاث مائة، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٤٧٠.

٢) ابن بشكوال، الصلة، ص٨٧ ؛ ابن الابار، التكملة، ٢١/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٩٤/٢٨.

٣) بغية الملتمس، ص١٥٩.

٤) الضبي، بغية الملتمس، ١٩٣.

٥) ابن الابار، التكملة، ١/ ١٦٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١- باقي بن أبي عامر يحيى بن بشتغير ، يكنى أبا الحسن ، من أهل لورقة ، محدث روى عن أبي علي الصدفي[1] ، كان من أبناء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لأن أبا علي الصدفي توفي سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م.

١٢- جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد المعافري ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن الحاج ، من أهل لورقة ، كان أديباً شاعراً شجاعا ، قال عنه ابن دحية: ((عين مدينة لورقة وإنسانها ، ومدرهها ولسانها ، كان أكرم من غمام ، وأرسى حلما من شمام...))[2] ، وكان قد قصد بني عباد يمدحهم ترزقاً ، إلا أنهم تشاغلوا عنه فهجاهم قائلاً:

تعز عن الدنيا ومعروف أهلها | **إذا عدم المعروف في آل عباد**

حللت بهم ضيفا ثلاثة أشهر | **بغير قرى ثم ارتحلت بلا زاد**

كان حياً سنة٤٩٤هـ/ ١١٠٠م[3].

١٣- حفص بن محمد بن حفص التميمي ، من أهل لورقة ،

---

١) الضبي، بغية الملتمس، ص٢٢٩.

٢) المطرب، ص١٥٥.

٣) ابن دحية، المطرب، ص١٥٣- ١٥٥؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ٢٢٧/٢؛ رايات المبرزين، ص٢٠٢- ٢٠٣؛ المقري، نفح الطيب، ٢٢٦/٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكنى أبا عمر ، محدث سمع من فضل بن سلمة[1] ببجانة ولازمه وقرأ عليه المدونة الإمام مالك ، وسمع وبقرطبة من عبيد الله بن يحيى[2] وغيره ، توفي سنة٣٢٥هـ/٩٣٦م [3].

١٤- خلف بن خلف بن هاشم الأشعري ، من أهل تدمير يكنى أبا القاسم وكان مشهوراً بلورقة ، محدث سمع من محمد بن أحمد العتبي[4] ومحمد بن وضاح[5] وغيرهم ، توفي سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م[6].

---

١) فضل بن سلمة بن حرير بن منخل الجهني من أهل بجاية، كانت له رحلة إلى المشرق وسمع من المشايخ هناك، كان حافظا للفقه على مذهب مالك، توفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٧- ٢٧٨.

٢) عبيد الله بن يحيى الليثي من أهل قرطبة محدث رحل إلى المشرق وسمع ببغداد ومصر وعاد إلى بلده وتوفي سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٠٦- ٢٠٧.

٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٠٤.

٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة ابن حميد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي السفياني العتبي القرطبي المالكي، سمع يحيى بن يحيى الليثي وسحنون بن سعيد، وطائفة، وتوفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م، الذهبي، سير، ١٢/٣٣٥- ٣٣٦.

٥) هو أبو عبد الله محمد بن وضّاح بن بُزِيغ مولى الأمير عبد الرحمن بن مُعَاوية الداخل، من أهل قُرْطُبَة، رَوَى بالأندلس عن محمد بن عيسى الأَعشى، ومحمد بن خالد الأشج، وغيرهم، ورحل إلى المشرق فسمع من أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم، ورجع إلى الأندلس فصار لها دار حديث، وتوفي سنة ٢٨٧هـ /٩٠٠م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٠٤- ٣٠٥.

٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١١٦- ١١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٥-رفاعة بن محمد ، من أهل بلس عمل لورقة ، محدث روى عن محمد بن عمر بن لبابة[١] وأسلم بن عبد العزيز[٢][٣] ، كان من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

١٦- سامي بن هانئ ، من أهل لورقة ، محدث سمع من محمد بن يوسف بن عمر[٤] سنة٢٩٠هـ/٩٠٢م وقتله الثائر ابن وضاح[٥] في أيام الهمل[٦] سنة٣٠٩هـ/٩٢١م[٧].

١٧-سعيد بن يحيى بن سعيد اللخمي ، يكنى أبا عثمان ، من

---

١) هو محمد بن عمر بن لبابة من أهل قرطبة، روى عن عبد الله بن خالد وعبد الأعلى بن وهب وغيرهم، كان فقيها مقدما على أهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، وعين مشاورا في عهد الأمير عبد الله بن محمد، توفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٢٠.

٢) هو أسْلَم بن عَبْد العَزيز بن هَاشِم بن خالد بن عبد الله بن الحَسن بن جَعْد بن أَسْلم بن أبَان بن عَمرٍ، مِنْ أهلِ قُرطبة؛ يُكَنَّى: أبا الجَعْد، سَمِع: من بَقِيٍّ بن مَخْلَد وصَحبه طويلاً. رحل إلى المشْرق سَنة ستِّين ومائتين فَلقى أبا يَحيى المُزنّي، والرَّبيع بن سليمان صَاحب الشَّافعي، وغيرهم جَماعَة، وتوفّي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٨١.

٣) ابن الابار، التكملة ،٢٥٩/١.

٤) لم نجد له ترجمة.

٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن وضاح ثار في مدينة لورقة أيام عبد الرحمن الثالث (الناصر) وتمكن من القضاء علية سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م، ابن حيان، المقتبس (تحقيق شالميتا، ص١٩٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٨٦/٢.

٦) أيام الهمل لعل المقصود هنا هي أيام الفرقة التي حصلت بالأندلس بعد موت الأمير عبد الرحمن الأوسط.

٧) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٦٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بيت يعرفون ببني بشتغير من أهل لورقة ، وفي بيتوتاتها النبيهة سمع من أبي علي المعروف بابن بليمة مسند البزار والموتلف والمختلف للدارقطني[1].

١٨- أبو العباس بن خلف بن خلف بن هاشم الأشعري من أهل لورقة ، محدث سمع من أبيه خلف وصحب علماء[2] ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي لأن أباه توفي سنة٣٠٤هـ /٩١٦م كما مر أعلاه.

١٩-عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرءوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي يكنى أبا محمد من ولد زيد بن محارب بن خصفة من قيس عيلان من مضر ، من أهل لورقة ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب مقيداً حسن التقييد له نظم ونثر ولي القضاء بمدينة المرية ثم صُرف عنها وتوفي ببلده لورقة سنة٥٤٦هـ/١١٥١م[3].

٢٠-عبد الرحمن بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد المعروف بابن الحاج ، من أهل لورقة ، ثار في مرسية سنة٥٣٩هـ/١١٤٤م ، أواخر أيام المرابطين ، ثم نسك بعد ذلك وزهد

---

١) ابن الابار، المعجم، ص ٣٥٠.

٢) ابن الابار، التكملة، ٣٢/٤.

٣) ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٢٧٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الدنيا حتى وفاته بعد سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م[١].

٢١-عبد الله بن أسود من أهل لورقة يكنى أبا محمد ، محدث سمع من ابن وضاح ، توفي سنة٣٦٣هـ/٩٧٣م[٢].

٢٢-عبد العزيز بن الحسن القيسي ، من أهل لورقة ، يكنى أبا الاصبغ كان أستاذا تؤخذ عنه القراءات ، وله فيها تأليف مستحسن استعمله الناس ، رواه عنه ابنه عمر بن عبد العزيز[٣].

٢٣-عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن الحسن القيسي ، من أهل لورقة يكنى أبا الاصبغ ، أخذ القراءات عن أبيه أبي حفص عمر بن عبد العزيز ، وتصدر للإقراء ، وأخذ عنه ، كان حياً في سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م[٤].

٢٤-عبد الله بن محمد بن أحمد الأنصاري ، من أهل لورقة يعرف بابن زاغنوا ، أبا محمد ، محدث سمع من أبي علي الصدفي وغيره وولي القضاء ببلده لورقة فحمدت سيرته وتوفي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م[٥].

٢٥-عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سفيان التجيبي ، من

---

١) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٣٥ ؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ٢/٢٢٧.

٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص١٩٢ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣١٧.

٣) ابن الابار، التكملة، ٣/٩٠

٤) ابن الابار، التكملة، ٣/٩٧ ؛ الكتبي، فوات الوفيات، ٢/٢٥٦.

٥) ابن الابار، التكملة، ٢/٢٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أهل شاطبة ، محدث سمع جماعة من أعيانهم أبو الوليد بن الدباغ[1] وأبو بكر بن نمارة[2] ، وغيرهم من الأئمة الأعلام ، ولي قضاء قضاء لورقة وكان بليغا مفوها صاحب منظوم ومنثور ، توفي في حدود سنة٥٩٠هـ/١١٩٣م[3].

٢٦-عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الملك التجيبي ، من أهل لورقة ، يكنى أبا مروان ، ويعرف بابن الفراء ، كان عالماً بالقراءات ، وتصدر للإقراء ببلده لورقة ، كان حياً سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[4].

٢٧-عبد الملك بن مروان الغافقي ، من أهل لورقة ، محدث سمع من فضل بن سلمة وغيره[5].

٢٨-عريف مولى ليث بن فضيل ، من أهل لورقة يكنى أبا المطرف ، محدث سمع من فضل بن سلمة وتفقه عنده ، وسمع

---

١) يوسف بن عبد العزيز بن يوسف اللخمي الأندي المعروف بابن الدباغ، فقيه وحافظ محدث أندلسي روى عن أبي محمد بن عتاب وأبي علي الصدفي وتوفي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م، الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥٦.

٢) هو محمد بن أحمد بن عمران بن عبد الرحمن بن محمد بن عمران بن نمارة الحجري، من أهل بلنسية، يكنى أبا بكر، كان قارئاً ومحدثاً سمع أبي علي الصدفي وأبي محمد بن عتاب، وتوفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، الضبي، بغية الملتمس، ص٤٥ ؛ ابن الابار، التكملة، ٣١/٢- ٣٢.

٣) ابن الابار، التكملة، ٢٧٨/٢.

٤) ابن الابار، التكملة، ٨١/٣ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ١٣/١ ؛ السيوطي، بغية الوعاة، ١٠٩/٢.

٥) ابن الابار، التكملة، ٦٧/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بإلبيرة من محمد بن فطيس[1] كثيراً وكان ضابطاً للفقه بصيراً بالفتيا جامعاً للعلم بلغ مبلغ السؤدد في موضعه وكان معول أهل لورقة في وقته عليه ، وعاجلته منيته في صاعقة إصابته فقتلته سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩[2].

٢٩- عمر بن عبد العزيز بن خلف بن أبي العيش القيسي ، من أهل لورقة وولي قضاؤها ، كان مقرئاً مجوداً متقناً ، قرأ عليه الضبي[3] ، وتوفي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[4].

٣٠-مالك بن طوريل الثقفي ، من أهل الورقة ، يكنى أبا القاسم ، محدث سمع من فضل بن سلمة ببجانة سنة ٢٩٣هـ /٩٠٥م ، وتوفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[5].

٣١-محمد بن بَطَّال بن وهب بن عبد الأعلى بن فرغان بن سرمد بن مسرة التميمي ، محدث من أهل لورقة ، رحل من بلده

---

١) هو محمد بن فطيس بن واصل الغافقي من أهل البيرة محدثا رحل إلى المشرق توفي سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٢٤- ٣٢٥.

٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٧٠.

٣) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، يكنى أبا العباس، الضبي الأندلسي، محدث أخذ عن أبي عبد الله بن حميد. وحج فأخذ عن أبي الطاهر بن عوف المالكي، وإسماعيل بن قاسم الزيات، سقط عليه حائط بمرسية فمات سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، ابن الابار، التكملة، ٨٣/١ ؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٨٠/٤٢.

٤) الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٩.

٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٢٩٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في طلب الحديث رحلتي: الأولى سنة٣٢٨هـ/ ٩٣٩م والثانية سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، سمع في الأولى بمكة من بن الأعرابي[1] وعبد الملك بن بحر الجلاب[2] وبمصر من العديد من شيوخها ، وكان كثير الرواية مشهور العناية حدث بقرطبة وسمع منه جماعة ، وتوفي بلورقة سنة٣٦٦هـ/ ٩٧٦م وهو بن اثنتين وستين سنة[3].

٣٢-محمد بن أبي بكر بن محمد بن غلبون التجيبي ، من أهل لورقة ، يكنى أبا القاسم ، محدث لقي أبا بكر بن العربي بقرطبة وأبا الحسن بن مغيث[4] فسمع منهما هو وأخوه وكتب عن ابن العربي[5].

---

١) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر بن الأعرابي من أهل مكة حدث عن أحمد بن منصور الرمادي والحسن بن علي بن عفان ومحمد بن عيسى العطار وغيرهم، وتوفي سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م، عبد الغني البغدادي، التقييد، ص ١٦٦- ١٦٧.

٢) أبو مروان عبد الملك بن بحر بن شاذان الجلاب المكي محدث ثقة، حدث بمصر عن محمد بن إسماعيل الصائغ، وعبد الله بن أبي مسرة. وحدث عنه أبو بكر بن المقريء، وعبد الرحمن بن عمر النحاس، توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٠٤/٢٥

٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٥٤ ؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٦٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ٣٦٤/٢٦ ؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص٤٠٩.

٤) يونس بن محمد بن مغيث بن محمد بن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله بن مغيث بن الصفار، فقيه محدث أندلس روى عن أبي عمر الحذاء، توفي سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م، الضبي، بغية الملتمس، ص٤٧٦

٥) ابن الابار، التكملة، ١٢٨/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٣-محمد بن جنيد ، محدث من أهل لورقة ، روى عن فضل بن سلمة المدونة[١] ، وكان فقيها بصيرا بالعبارة ، توفي سنة٣٢١هـ/ ٩٣٣م[٢].

٣٤ –محمد بن الطيب العتقي ، يكنى أبا بكر ، فقيه من أهل تدمير ، ولي القضاء بلورقة ، وتوفي سنة ٥٩٥هـ/١١٩٨م[٣].

٣٥-محمد بن علي بن أحلى اختلف في نسبه فذكر ابن الابار انه كان من المولدين[٤] ، فيما أشار ابن عبد الملك المراكشي إلى أنه كان أنصارياً[٥] ، وقد حاول ابن الزبير التوفيق بين القولين فقال: انه قد يكون أنصارياً بالولاء[٦] ، وقيل انه كان متكلماً على مذهب الشوذي[٧] ، كما أخذ التصوف والكلام من أبي إسحاق إبراهيم

---

١) المدونة كتاب الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، ابن خير، فهرسة ابن خير، ص٢٠٧.

٢) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٢٦.

٣) الضبي، بغية الملتمس، ص٨٠.

٤) الحلة السيراء، ص٢١٤.

٥) الذيل والتكملة، ٤٣٦/٦.

٦) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤٣٦/٦ عن ابن الزبير وقد نقل عنه بالنص..

٧ هذه نسبة إلى أبي عبد الله الشوذي الحلوي التلمساني من مشايخ المتكلمين في المغرب على طريقة ابن العربي، ومن أرائه انه كان يقول : إذا ما صار الحق للعبد سمعا وبصرا فسمع به وأبصر أصاخ إلى الأحوال واجتلى المعاني فيرى من غير مبصر ويسمع من غير ناطق، المقري، نفح الطيب، ٢٦٠/٥ ؛ وأشار الذهبي إلى بعض من أرائه في قصيدة نسبها له قال فيها:

إذا نطق الوجود أصاخ قوم   بآذان إلى نطق الوجود

وذاك النطق ليس به انعجام   ولكن جل عن فهم البليد=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بن يوسف بن دهاق المعروف بابن المرأة[1] ، وله العديد من المصنفات على مذهبه منها: كتاب العقيدتان الكبرى والصغرى ، ومصنف في علم الكلام ، وكتاب التذكرة[2] ، وقد رُميَ بالغلو في آرائه منها قوله ((... بتحليل الخمر وتحليل النكاح أكثر من أربع ، وأن المكلف إذا بلغ درجة العلماء سقطت عنه التكاليف الشرعية...))[3] ، ومنها أن كتابه التذكرة تضمن((...إنكار الحديث والإشارة إلى إن الأمة بدلت

=فكن فطنا تنــادى من قريب   ولا تك من ينادى من بعيد

سير، ٣١٦/٢٣.

١) هو براهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي يكنى أبا إسحاق، ويعرف بابن المرأة، سكن مالقة ثم انتقل إلى مرسية كان متقدماً في علم الكلام، حافظا ذاكراً للحديث والتفسير، والفقه والتاريخ، وكان الكلام أغلب عليه، ذاكراً لكلام أهل التصوف، يطرز مجالسه بأخبارهم. وكان بحراً للجمهور بمالقة ومرسية، بارعاً في ذلك متفنناً له، متقدماً فيه، وكان بمالقة يتجر بسوق الغزل، وهو صاحب حيل ونوادر مستظرفة، يلهى بها أصحابه، ويؤنسهم، ومتطلعاً على أشياء غريبة من الخواص بعضها ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشنيعة، وله العديد من المؤلفات منها شرحه كتاب الإرشاد لأبي المعالي، وشرح الأسماء الحسنى، وله بعلم التفسير وعلوم الصوفية، ومن أخذ عنه علومه أبو عبد الله بن أحلى، وأبو محمد عبد الرحمن بن وصلة، وكانت وفاته سنة ٦١١هـ/١٢١٤م، ينظر : ابن الخطيب، الإحاطة، ٣٢٥/١-٣٢٦ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٧٨/٢ ؛ الذهبي، سير، ٣١٥/٢٣.

٢) ينظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ٢١٤/٢ ؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤٣٦/٦ ؛ الزركلي، الأعلام، ٢٨٢/٦ ؛ كحالة، معجم المؤلفين، ٣٠١/١٠.

٣) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤٣٧/٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وغيرت كما فعل غيرها من الأمم...))[1] ، وقد نسب أبو حيان إليه مع مجموعة من الصوفية أنهم قالوا بمبدأ الحلول إذ قال((... ومذهب الحلول فشا في هذه الأمة كثيراً ، وقالوا بالاتحاد. وأكثر ما فشا في مشائخ الصوفية والفقراء في وقتنا هذا ، وقد رأيت منهم جماعة يزعمون أنهم أكابر. وحكى أبو عبد الله الرازي أنه كان فاشياً في زمانه ، حكاه في تفسيره...كان يقول لأصحابه: أنتم عبيدي ، وإذا خلا ببعض الحمقا من أتباعه ادعى الآلهية... فذكر فيهم... ، وأبا عبد الله الشوذي كان بتلمسان ، وإبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان عرف بابن المرأة ، وأبا عبد الله بن أحلى المتأمر بلورقة...))[2].

ونقل ابن عبد الملك عن ابن الزبير كيف إن ابن أحلى نشر مذهبه قائلاً: ((وأقرأ ابن أحلى هذا المذهب ، وشاع عنه بعض ذلك على شدة اكتتامهم وتسترهم ، فاستدعي من مرسية أول أمره ، وحُمل إليها مثقفاً وسُجن بها ، ثم أفلت ، وبعد ذلك أمكنته فرصة فانتهزها وتأمر ببلده ، فأمكنه ما لم يمكنه من قبل ذلك ، ورام حمل أهل بلده بالإكراه ، ثم رأى أن ذلك لا يتأتى له ولا يتم ، فعدل إلى طريقة أخرى من تقريب من أخذ في القراءة معه وأوى إليه ، وطرّد من عداهم ، وأخذهم بضروب من الأذيات في الأموال والأبدان والتخويف الشديد ، وهذا فيمن صرح في المنافرة للمذهب فلم يكن أحداً من خواص أهل بلده إلا التظاهر بالاستجابة له ، ابقاءً على

---

١) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، ٤٣٨/٦– ٤٣٩.

٢) تفسير البحر المحيط، ٣٢/٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفوسهم وأموالهم ، ودفعاً لأذايته ، فمنهم المجد والمتظاهر ، وزاد المذهب مع مرور الأيام شياعاً ، وكثر أتباعه فيه من أهل بلده ، وتظاهر في أحكامه وتدبير أمره بالعدل التام والتسوية بين القوي والضعيف والقريب والبعيد ، إلا في من نافره في مذهبه وتظاهره ، فكان فيهم على ما تقدم ، إلا انه كان يتلطف في ذلك حتى لا يتحدث عنه إلا بالظاهر من أمره ، فحسنت أحوال أهل بلده في ذلك في دنياهم ، وكان من التواضع وحسن التمشية بحيث لم يفرق في حاله أيام أمرته وأيام غيرها قبلها ، وساس بلده أجمل سياسة ، وكان جيد التدبير حسن الرأي في دنياه ، وفيّ العهد جزلاً حليماً متخلقاً ، لا يضيع عنده حق لأحد ، ولا ينفق عنده الجاه ، بل كان أولاده وخاصته وأقل أهل بلده عنده في درجة واحدة ، فجلب هذا المرتكب نفوس كثير من الضعفاء ، واستهوى الجهلة الأغبياء ، واستحسنوا تلك الظواهر ، ولم يعلموا ما أمنته من سوء الاعتقاد تلك الضمائر ، فشاع ذكره ، ورحل إليه كثير من جهلة ما يليه من البلاد للقراءة والتعليم من كل من ينتمي من الجهلة إلى الخير ، فضلوا بضلاله ، واستمرت حاله على ذلك إلى موته ، وقام جماعة من أصحابه بمذهبه إقراءً وتعليماً ، وقعد بعضهم بالجامع الكبير بلورقة يفسر الكتاب العزيز على طريقتهم في ذلك...))[1].

٣٦-محمد بن محمد بن عبد الله بن الفقيه محمد بن مساعد

---

١) الذيل والتكملة، ٤٣٧/٦- ٤٣٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجذامى من أهل لورقة ، كان مشاركا في عدة علوم بارعا في الحساب ، كريم النفس طيب المجالسة عنده كتب كثيرة جدا وله دربة بنظم الشعر ، توفي بمالقة سنة ٧١٣ هـ/١٣١٣م[١].

٣٧-موسى بن أصرم ، من أهل لورقة ، يكنى أبا القاسم ، محدث سمع من أبي الغصن وابن عات[٢][٣].

٣٨-يحيى بن مسعود اللورقي ، يكنى أبا زكرياء ، محدث صحب فضل بن سلمة ،ورحل حاجاً فكتب الكثير ، وكان حافظاً للمسائل ، توفي سنة٣٣٣هـ/ ٩٤٤م[٤].

---

١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ٤٥٨/٥ ؛

٢) هو أحمد بن هارون بن أحمد بن جعفر بن عات النفزي من أهل شاطبة يكنى أبا عمر سمع أباه وأبا الحسن بن هذيل وأبا عبد الله بن سعادة وغيرهم، رحل إلى المشرق وسمع من أبي طاهر السلفي وأبي الفرج بن الجوزي، كان محدثاً زاهداً ورعاً، فقِدَ في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، ابن الابار، التكملة، ٩٠/١.

٣) ابن الابار، التكملة، ١٧٠/٢.

٤) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٤٤٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة سالم الأندلسية

٩٣ – ٤٧٨ هـ / ٧١١– ١٠٨٦م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أولاً: جغرافية مدينة سالم

تقع مدينة سالم حالياً في مقاطعة سوريا بأسبانيا على بعد١٥٣ كم شمال غرب مدريد وعلى الطريق بينها وبين سرقسطة[١] ، والجغرافيون العرب المسلمون عدوها واحدة من المدن التي تقع على الطريق الواصل بين طليطلة وسرقسطة ، فذكروا أن من طليطلة إلى مدينة وادي الحجاز٥٠ ميلاً[٢] ، ثم إلى مدينة سالم٥٠ كم ثم إلى سرقسطة٥٠ ميلاً[٣] ، وذكر الإدريسي أن مدينة سالم تقع في وطاء من الأرض[٤] ، والوطاء لغة هي((ما انخفض من الأرض بين النشاز والإشراف))[٥] ، أو هي المكان على((طريق ينزلون بقربة فيطؤهم أهله))[٦] ، ومن هنا جاءت أهمية هذه المدينة ، فهي عبارة عن فسحة من الأرض تحيط بها مرتفعات من اغلب جهاتها ، فمن ظهرها يأخذ الجبل الكبير المعروف بالشارات والذي يمتد إلى غرب

---

١) العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص٣٧٩.

٢) الميل يساوي ٢كم، ينظر: هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٩٥.

٣) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ٢/ ٥٥٢.

٤) م.ن، والصفحة.

٥) الفيروزابادي، القاموس المحيط، ٣٤/١، مادة (وطئه).

٦) م.ن. و الصفحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأندلس قاسما البلاد إلى نصفين[1] ، وعندها تقع منابع من اكبر أنهار اسبانيا ، فهي تقع على الضفة اليسرى لنهر شالون(جالون Jalon)[2] الذي يصب في نهر الابرو قرب مدينة سرقسطة ، والابرو والابرو من انهار الثغر الأعلى الأندلس الذي يصب في بحر المتوسط[3] ، كما ينبع قرب مدينة سالم نهر وادي الحجارة الذي يشكل أحد روافد نهر تاجة حيث يلتقي به قرب طليطلة ويصب في محيط الأطلسي[4] ، وفي غربيها تقع منابع نهر دويره الذي يصب يصب في محيط الأطلسي أيضاً[5].

وبسبب وفرة المياه المحيط بها ، فقد ظهرت فيها بعض المحاصيل الزراعية والتي يبدو أنها قليلة بسبب غلبة الطابع العسكري على نشاط سكانها لأنها—كما سيأتي— تمثل قاعدة الثغر الأوسط الأندلسي ، فقد أشار الإدريسي إلى أنها كانت كثيرة البساتين والجنات[6] ، ويبدو أن البساتين هنا تعني الأشجار التي يزرعها

---

١) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٢/٢. مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٦. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ٦٦/١.

٢) بروفنسال، دائرة المعارف الإسلامية، ٦٨/١١.

٣) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس ص٤٨، السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ٥١- ٥٢.

٤) الإدريسي، نزهة المشتاق ،٥٥٣/٢ ؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس ص٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ٢٩٨/٢.

٥) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٤٨

٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٣/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السكان ، وذكر ياقوت منها الجوز والبندق[1] ، أما الجنات فهي الأشجار الطبيعية ومنها نبات يعرف(البيش) تستخدم عصارته للسموم[2] ، أما أهم محاصيل الزراعية فقد أشار ابن حزم إلى أن مدينة سالم يزرع بها الشعير من شهر آذار ويحصد في أيلول وذلك تفادياً لموسم سقوط الثلوج التي تكثر في تلك الجهات[3] ، ولذا فأن قسوة المناخ ربما كان لها تأثير على النشاط الزراعي ، و ضرب بشدة برودتها المثل حتى قال أحد الشعراء عنها:

وأثقل من عذل على غير قابل

وأبرد برداً من مدينة سالم[4].

كما اشتهرت مدينة سالم والمنطقة المحيطة بها بالثروة الحيوانية ، فابن حوقل أشار إلى كثرة الماشية فيها[5] ، فيما ذكر الإدريسي أن جبل الشارات الذي يطل على مدينة سالم فيه من ((الغنم و البقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولاً بل هي في نهاية السمن ويضرب بها في ذلك المثال في جميع أقطار الأندلس))[6].

---

١) ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٣.

٢) المراكشي، المعجب، ٥٦/١.

٣) ابن حزم ، المحلى، ٢٦٢/٥.

٤) ابن حزم، طوق الحمامة، ص١٣٤.

٥) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١١٧.

٦) نزهة المشتاق ٥٥٢/٢

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما الأوصاف الجغرافية لها فأنهم ركزوا على وظيفتها الرئيسية التي واكبتها من نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وهي أنها احد الثغور العسكرية المهمة للمسلمين ، لذا جاءت المعلومات الطبوغرافية عنها قليلة ومقتضبة ، فقد اكتفى ابن حوقل بالقول: إن مدينة سالم ((لها سور عظيم ورساتيق وإقليم واحد وماشية ، رفهة في جميع أسبابها وهي أكثر الأندلس غزوا وجرباً))[1] ، وقال عنها الإدريسي: إنها ((مدينة جليلة في وطاء من الأرض كبيرة القطر والعمارات والبساتين والجنات)) [2]، وذكر ياقوت الحموي أنها ((مدينة كبيرة كثيرة الخيرات لها حصون كثيرة))[3] ، أما ابن سعيد فقد أشار إلى أنها من ((المدن الجليلة المشهورة وفيها قبر المنصور بن أبي عامر))[4] ، وأشار أبو الفدا أن ((مدينة سالم كانت قاعدة الثغر الأوسط الأندلسي وهي مدينة جليلة))[5].

أما أعمال مدينة سالم تابعة لها ، فقد ذكر ياقوت الحموي قرية شمونت وقال: إنها ((قرية من أعمال مدينة سالم لها ذكر في أخبارهم))[6] ، كما ذكر مدينة شنت برية وقال: عنها إنها (مدينة

---

١) صورة الأرض، ص ١١٧.

٢) نزهة المشتاق ٥٥٣/٢

٣) معجم البلدان ١٣/٣.

٤) المغرب، ٤٦١/٢.

٥) تقويم البلدان، ١٧٨- ١٧٩.

٦) معجم البلدان، ٣٢٤/٣، ٣٢٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

متصلة بحوز مدينة سالم بالأندلس))[١] ، ومنها أيضاً قلعة النسور وهي من القلاع الحصينة القريبة من مدينة سالم[٢].

والملاحظة الجديرة بالانتباه هنا أن الجغرافي الأندلسي أبو بكر الرازي (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م) عدّ مدينة سالم كورة[٣] ، فيما لم يشير إلى ذلك معظم الجغرافيين العرب ، فالاصطخري عند كلامه عن الأندلس ومدنها قال: ((ووادي الحجاز مدينة وهي وما حولها من المدن والقرى تعرف بمدن بني سالم))[٤] ، أما المقدسي فقد عد قرطبة كورة ثم توقف عن إطلاق ذلك على باقي مدن الأندلس على أنه قال: ((وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم(أي الأندلس) فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثماني عشرة كورة فعد: بجانة مالقة بلنسية تدمير سرقسطة يابسة وادي الحجارة طليطلة وشقة مدينة سالم طليطلة اشبيلية بطليوس باجة...))[٥].

وهنا المقدسي عدّ مدينة سالم مدينة وليست كورة وأنه على وصف أحد مشايخ الأندلس قال يمكن أن تكون كورة على

---

١) معجم البلدان. ١٣/٣.

٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٦.

٣) مؤنس، فجر الأندلس، ص ٥٦١ (عن الرازي) والكورة هي : هي تعبير تمدني استخدمه الجغرافيون العرب للدلالة على مناطق جغرافية أوسع من المدينة، وقال ياقوت هي: (كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها) معجم البلدان، ٢٩/١.

٤) المسالك والممالك، ص ٣٦.

٥) أحسن التقاسيم، ص١٩٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القياس ، ولذلك قال: ((وهم يسمون الرستاق إقليما فعلمت إنها كورا على قياسنا))[1] ، أما ابن حوقل فأنه عند كلامه عن مدن الثغر الأعلى الأندلسي فأنه عدها كلها مدن وليست كوراً[2] ، وكذلك الحال مع الياقوت ، وابن سعيد المغربي كما مرّ أعلاه ، فضلاً عن الحميري الذي وصفها بأنها مدينة الأندلس[3] ، والى ذلك ذهب أبو الفدا أيضاً[4] ، ويشكك الدكتور حسين مؤنس في النص المترجم لجغرافية الرازي[5] ، إذ يقول: ((فواضح أن المترجمين ادخلوا يدهم فيه فأضافوا أشياء جديدة لا يمكن أن تكون عند الرازي... وواضح إن الذين قاموا بالترجمة لالفونسو العاشر[6] ، حاولوا تعديل تقسيم اسبانيا على الصورة التي كانت عليها أيام هذا الملك... في القرن الثاني عشر))[7] ، وعليه يكمن القول: إن مدينة سالم كانت مدينة لها أعمال ونواحي تابعة لها وليست كورة بالمفهوم المشرقي لها.

---

١) أحسن التقاسيم، ص١٩٤.

٢) صورة الأرض، ص ١١٦- ١١٧.

٣) صفحة جزيرة الأندلس، ص ١٩٣.

٤) تقويم البلدان، ص١٧٨- ١٧٩

٥) ضاع الأصل العربي في جغرافية الرازي ولم يعثر على الترجمة البرتغالية له ومنها نقل إلى العربية، حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص٥٦١.

٦) الفونسو العاشر حكم قشتالة من ٦٥٠ - ٦٨١ هـ/ ١٢٥٢- ١٢٨٢م. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٢٨١

٧) فجر الأندلس، ص٥٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثانياً: التاريخ السياسي لمدينة سالم

كانت مدينة سالم عندما فتحها المسلمون عبارة عن خرائب لبعض القلاع الرومانية القديمة ، وأشار ياقوت أن ((طارق لما فتح الأندلس ألفاها خراباً فعمرت))[1] ، وقد كان الأسبان يقولون لها مدينة(سالي) ويلفظونها بالثاء لا بالسين[2] ، ويبدو أن طارق بن زياد لم يصل إلى مدينة سالم في توغله الأول قبل التحاق موسى بن نصير به ، إذا أشار صاحب كتاب أخبار مجموعة إلى أن طارق بن زياد بعد فتح طليطلة سلك((إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعة في فج يسمى فج طارق وبلغ مدينة خلف الجبل تسمى المائدة وإنما سميت مدينة المائدة وجد فيها مائدة سليمان بن داود عليه السلام[3].... ثم مضى إلى مدينة أمامه فأصاب بها حالياً ومالا ولم يخلو ثم رجع إلى طليطلة سنة ثلاثة و تسعون))[4] ،وفي طليطلة

---

١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٣/٣. ينظر أيضاً : أرسلان ، الحلل السندسية، ٨١/٢ ؛ جمال محمد، مدينة سالم ص١.

٢) أرسلان، الحلل السندسية، ٨١/٢ ،

٣) عن المائدة ينظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة (منسوب)، ٩٥/٢. ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٩. وحقيقة المائدة هي محض أسطورة وإنما عثر عليه طارق هو مذبح لكنيسة طليطلة حمله القساوسة بعد هروبهم منها، ينظر، مؤنس، فجر الأندلس، ص٧٨ ؛ السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٣.

٤) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص١٤- ١٥. ينظر أيضاً : ابن عذاري، البيان المغرب، ١٣/٢.المقري، نفح الطيب، ١٢/١. وهناك روايات تشير إلى أن=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تدارس القائدان خطة الفتح حيث قررا أن يسير طارق بقواته شمالا تاركا موسى بن نصير إكمال فتح المناطق الأخرى ، وقد سلك طارق الطريق الروماني القديم الذي يربط طليطلة بسرقسطة حيث تكمن من فتح جميع المدن الواقعة على هذا الطريق ومن ضمنها مدينة سالم[1].

كانت خطة طارق بن زياد عند فتحه للمناطق التي يمر عليها أن يضع في كل بلد بعض من حرسه وحاميته فضلاً عن بعض اليهود الذين أعانوا المسلمين في أول الفتح وقد صار ذلك كما يقول الرازي((سنة متبعة في كل بلد يفتحونه))[2] ، فنزل أحد رجالات البربر وهو سالم بن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن اكلل بن مسالة بن ناكور بن يوطافان بن مسقاط بن مصاذ بن مصمودة[3] ، في أطلال المدينة الرومانية القديمة التي كانت تدعى اوسيلس(Ocilis)[4] ، حيث عمل على ترميمها واسكنها أسرته ،

=طارق استمر في فتوحه فوصل إلى جليقية واستورقة، ينظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٣٤. وهو أمر يصعب تصديقه بسبب حلول فصل الشتاء السامرائي، وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٣٤. مؤنس، فجر الأندلس، ص٧٩.

١) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٧٠- ٧١.

٢) مؤنس، فجر الأندلس، ص٨٣ (عن الرازي).

٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠١

٤) العبادي، في التاريخ العباسي الأندلسي، ص٤١٨. العتبي وآخرون، تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٧٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن مجاميع من البربر قد انتشروا في مناطق التي تقع شمال طليطلة واستوطنوها وتوارثوها حتى أصبحوا أمراء في تلك الثغور كما يقول ابن حزم[1].

ولم يقتصر وجود سالم بن ورعمال المصمودي على مدينة سالم فقط ، إذ انتشر أفراد أسرته في الدائرة الواسعة المحيطة بها والتي تضم شنتبريه والسهلة ووادي الحجارة التي نسبت إلى الفرج بن سالم فسميت مدينة الفرج نسبة إليه[2] ، وهي المدن التي أطلق عليها الاصطخري بمدن بني سالم[3] ، و يبدو أن نزول سالم وبنوه في مدينة سالم والمنطقة المحيطة بها كان بسبب خلوها من السكان[4] ، حيث يقول المقري: إن((العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه وحطوا به ونزلوا قاطنين))[5] ، وهذا يعني إنهم استقروا بالمناطق غير مأهولة والتي تسمى بالصوافي وزاولوا فيها الزراعة وأدوا العشر إلى الحكومة[6].

كان اندفاع المسلمين في الفتوح شمالاً إلى سرقسطة ثم اختراقهم

---

١) جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٩.

٢) م. ن. م. والصفحة ؛ طه ، الفتح والاستقرار، ص٢٨٥. ذكر اليعقوبي أن عليها في أيامه رجل من البربر يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي يدعو لبني أمية، البلدان، ص ١١١.

٣) المسالك و الممالك، ص٣٥، ٣٦.

٤) المقري، نفح الطيب، ٢١٢/١.

٥) م. ن، ٢٢٠/١.

٦) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٩١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جبال ألبرت إلى الأراضي الفرنسية[1] ، قد جعل مدينة سالم مجرد ممر تعبر عليها الجيوش أثناء حركتها على الطريق الروماني القديم الواصل بين شمال اسبانيا وجنوبها ، ولكن حركة الفتوحات الإسلامية هذه أصيبت بانتكاسة كبيرة بسبب الفتنة الداخلية التي اجتاحت بلاد الأندلس بعد استشهاد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي خلف جبال البرت سنة١٢٣هـ/٧٤٠م ، وبذلك دخلت الأندلس فيا يسمى بالحرب الأهلية التي أتت على كثير مما أنجزه المسلمون في شمال اسبانيا وقد استمرت تداعياتها حتى قيام عصر الإمارة بدخول عبد الرحمن بن معاوية(الداخل) إلى الأندلس سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م[2] ، وكان من أهم نتائج هذه الفتنة هي انحسار نفوذ المسلمين عن مناطق واسعة تم فتحها سابقا واستوطنوها وبذلك غدت حدود المسلمين الشمالية في بداية عصر الإمارة بخط يبدأ من ناحية الشرق عند بنبلونة في أقصى شمال الشرقي ثم ينحدر إلى تطيلة على نهر الابرو ثم إلى قلعة أيوب ومدينة سالم بين حوضي نهر الابرو ونهر تاجة ثم إلى طليطلة وطليبرة في حوض نهر تاجة

---

١) ينظر عن فتوحات المسلمين في ما وراء جبال ألبرت، الحجي ، التاريخ الأندلسي، ص١٨٥ وما بعدها. السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي ،ص١٢١ وما بعدها.

٢) ينظر عن الفتنة الداخلية في الأندلس، طه، الفتح و الاستقرار، ص ٣٣١ وما بعدها؛ مؤنس، فجر الأندلس ص٣٠٩ و ما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ثم قورية وقلمرية إلى ساحل المحيط الأطلسي[1] ، وبذلك أصبحت مدينة سالم احد مدن الثغور الأندلسية المواجهة لمملكي ليون ونافار الاسبانيتين وهو ما اكسبها أهمية بسبب موقعها الجغرافي المنبسط بين الأراضي الوعرة حولها مما جعلها محطة صالحة لاستراحة الجيوش أثناء ذهابها وإيابها.

ففي بداية حكم الأمير عبد الرحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) هاجم ملك ليون الفونسو الثاني(١٧٥-٢٢٧هـ/ ٧٩١-٨٤١م) مدينة سالم الأندلسية[2] ، ولم تشير المعلومات عن حجم الخسائر التي ألحقها بالمدينة ، ولكن يبدو أنها كانت كبيرة لأن الفونسو استطاع اسر عدد من المسلمين[3] ، كما أنها شجعت القبائل القاطنة في المناطق القريبة من الثغور المسلمين على مهاجمة تلك الثغور أيضا[4] ، وهذا ما دفع عبد الرحمن الأوسط إلى إرسال حملة لمهاجمة مملكة ليون بقيادة عبد الكريم بن عبد الرحمن بن مغيث وذلك سنة٢٠٨هـ/٨٢٣م الذي استطاع التوغل في عمق أراضي مملكة ليون حيث وصل إلى عاصمتها واحرق حصونها ولم ينسحب إلا بعد أن فرض عليهم جزية كبيرة واشترط عليهم إطلاق الأسرى[5] الذين سبق وأن أسروا من مدينة سالم.

---

١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٣٥٠.
٢) عنان، دول الإسلام في الأندلس – العصر الأول – ق٢، ص٣٥٧.
٣) المقري، نفح الطيب، ١/٢٧٠.
٤) م. ن. ١/٢٧١.
٥) م. ن. والصفحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي سنة٢٢٤هـ/٨٣٨م أرسل عبد الرحمن الأوسط حملة كبيرة بقيادة قريبه عبد الله البلسني الذي((غزا مملكة ليون وأكثر القتل والسبي))[١] ، ويضيف ابن الأثير أن ابن البلسني((قتل منهم ما لا يحصى وجمعت الرؤوس أكداساً حتى كان الفارس لا يرى من يقابله))[٢] ، وكرد فعل انتقامية قام الفونسو الثاني بالإغارة على مدينة سالم التي أصبحت مقراً يتجمع فيه جيوش المسلمين ، فسار إليه فرتون بن موسى والي تطيلة واستطاع هزيمته وتهديم بعض الحصون التي بناها مقابل مدينة سالم[٣] ، ولم يكتف عبد الرحمن الأوسط بذلك بل سار بنفسه سنة٢٢٥ هـ/٨٣٩م وهاجم قلاع وحصون مملكة ليون المواجهة لمدينة سالم ((فأفتتحها ودوخ عدة حصون منها وجال في أرضهم ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم))[٤] ، ويبدو أن بني سالم استمروا يحتفظون بنفوذهم في المناطق التي استوطنوها منذ الفتح الإسلامي وكانوا أمراء على تلك المناطق في طاعة حكومة قرطبة ، ولكن نفوذهم تعرض للخطر بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط سنة٢٣٨هـ/٨٥٢م إذ دخلت الأندلس في فتنة استمرت حتى مجيء عبد الرحمن الثالث الناصر سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ، وهذه الحقبة يطلق عليها المؤرخون عهد الطوائف

---

١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/ ١٥٨. المقري، نفح الطيب، ٢٧١/١.

٢) الكامل في التاريخ، ١٥٨/٥.

٣) ابن الأثير. م، ن، والصفحة ؛ المقري، نفح الطيب، ٢٧١/١.

٤) المقري، م، ن، والصفحة ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٢٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأولى ، إذ كثر الثوار في نواحي الأندلس واستقل الكثير منهم عن الحكومة المركزية في قرطبة واخذ يغزوا بعضهم بعضاً[1].

ففي سنة٢٤٨هـ/٨٦٢م قام لب بن موسى بن موسى أحد الثوار في الثغر الأعلى والتي كانت تخضع له سرقسطة وتطيلة ووشقة بالتحالف مع ملك ليون اردون الأول(٢٣٦-٢٥٢هـ/٨٥٠-٨٦٦هـ) وزحف تجاه مدينة سالم ووادي الحجارة فتصدى له أمراء تلك المناطق من بني سالم وتمكنوا من هزيمته وقتله وهو ما دفع الأمير محمد بن عبد الرحمن(٢٣٨-٢٧٢ هـ/٨٥٢-٨٨٥م) أن يرسل تعزيزات إلى هناك لمساعدة أمراء الثغور لمواجهة قوات الممالك الاسبانية والأمراء المتحالفين معها ، وقام ببناء حصن شنت اشتيبن (**Sant Stephent or Sant Estevan**) لحماية مدينة سالم من هجمات النصارى[2] ، إلا أن انشغال حكومة قرطبة بالحركات التي قامت في وسط البلاد وجنوبها جعل موقفها ضعيفا تجاه الثائرين في الثغر الأعلى ، وقد استغل ذلك احد الثوار من المولدين وهو مظفر بن موسى بن ذي النون حيث زحف على طليطلة واحتلها وضم إليه ما حولها من مناطق الثغور[3] ، كما استغلت مملكة ليون ظروف

---

١) ينظر عن فترة الطوائف الأولى، عنان، دولة الإسلام، العصر الأول – ق١، ص ٢٨٤ وما بعدها.

٢) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق١، ص٣٠٧. ويسميه عبد الرحمن الحجي حصن استيرش، ويرجح أنها الآن قرية تقع على بعد ٩كم جنوب مدينة سالم، التاريخ الأندلسي، ص٣٠٥.

٣) عنان، م. ن، ٣٠٣/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حكومة قرطبة للضغط على مناطق الحدود واحتلال المزيد من القلاع والحصون مما دفع الكثير من السكان المسلمين في تلك المناطق إلى إخلائها[1].

وفي مطلع القرن الرابع الهجري هاجم ملك ليون اردون الثاني (٣٠١ -٣١٢ هـ/ ٩١٤-٩٢٤م) حصن شنت اشتيبن الذي بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن لحماية مدينة سالم ، وقد استطاع اردون هزيمة المسلمين هناك في سنة٣٠٥ هـ/٩١٧م وقتل قائدهم احمد بن أبي عبيدة[2] ، وكان عبد الرحمن الثالث آنذاك مشغولاً بمواجهة المتمردين في مناطق وسط وجنوب الأندلس وعلى رأسهم عمر بن حفصون[3] ، وقد امتلأ غيظاً من مقتل قائده وهزيمة جيشه أمام حصن شنت اشتيبن حيث استمر نشاط قوات اردون الثاني هناك ، فقرر سنة٣٠٨ هـ/٩٢٠م أن يقود جيشاً كبيراً بنفسه حيث عبر طليطلة وعسكر بمدينة سالم ، ويبدو أن بني سالم أمراء المنطقة منذ الفتح الإسلامي هجروا المدينة واقامو في مدينة الفرج ولم يقوموا

---

١) عنان، ٣٧٨/١ ؛ بروفنسال، مدينة سالم، دائرة المعارف الإسلامية، ٦٨/١١.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٧/٢- ١٧٨. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص٣٧٩ – ٣٨٠

٣) ينظر عن المواجهات بين الناصر والمتمردين في عصره، الصوفي ، تاريخ العرب في اسبانيا، ص٤٩ – ٥٣. السامرائي وآخرون تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، ص١٥٩ – ١٦٤. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٣٦٨ وما بعدها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بواجبهم في حماية ذلك الثغر ، فقرر عزلهم بعد أن شكا منهم الأهالي هناك إذ يقول ابن عذارى: إن عبد الرحمن ((نزل بمدينة الفرج ، فنظر لأهلها ، وعزل بني سالم عنهم ، إذ شكوهم ، واستوزر رضي الله عنه في هذه الحملة سعيد بن المنذر وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة الفرج وأغزاه معه ، واستعمل على الموضع ابن غزلان القرشي صهره ، واستقضى عليهم محمد بن سور الفقيه ، فصلحت أحوالهم وعمى الرضا جميعهم ، وخرج للجهاد أكثرهم))[1] ، ثم إن عبد الرحمن الثالث من موضعه في مدينة سالم اخذ يقود المعركة ضد ملك ليون وذلك بأن أرسل قسماً من جيشه مضللاً عدوه أنه يريد مناطق الثغر الأقصى ، وبقي هو في مدينة سالم ، ثم فاجئ النصارى بحركة التفاف سريعة هاجم فيها قلاع وحصون ليون التي تهادت أمامه الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى حصن شنت اشتيبن الذي احتله اردون سابقا واستطاع هزيمة النصارى ودخله المسلمون عنوة وغنموا ما فيه[2].

وبعد هزيمة عبد الرحمن الناصر في معركة الخندق سنة٣٢٧ هـ /٩٣٨م[3] تنبه إلى ضرورة إعادة ترتيب الثغور واستعداداتها وذلك

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٦/٢.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ١٧٧/٢- ١٧٨. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢ص٣٨١.

٣) ينظر التفاصيل عن معركة الخندق، المسعودي، مروج الذهب، ١٦٢/١. المقري، نفح الطيب، ٧٨/١. عنان م. ن، ٣٨٧ – ٣٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لمواجهة هجمات ممالك اسبانيا النصرانية مثل مملكة ليون ونافار ، ويبدو أن حصن شنت اشتيبن الذي بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن لم يفلح في صد هجمات مملكة ليون ، كما أن اغلب مدن الثغور وحصونها كان قد تهدم وهجرها أهلها بسبب كثرة هجمات النصارى ولاسيما مدينة سالم التي أصابها الكثير من الخراب جراء تلك الهجمات ، فيذكر ابن عذارى أن الناصر لدين الله قرر إعادة بناء((مدينة سالم القديمة التعطيل بالثغر الأوسط الشرقي لمواجهة بلد قشتيلة–دمرها الله- وهي يومئذ خالية مقفرة))[1] ، فأوكل الإشراف على بنائها اثنين من كبار رجالاته وهما مولاه غالب بن عبد الرحمن[2] الذي اقترن اسم المدينة به فأصبح يدعى صاحب مدينة سالم[3] والقاضي محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي عيسى[4] ، وأشار ابن عذارى إلى أنه في سنة٣٣٥هـ/٩٤٦م أرسل الناصر لدين

---

١) البيان المغرب، ٣١٤/٢.

٢) هو غالب بن عبد الرحمن شيخ الموالي في قرطبة تقلبت به الأحوال من قيادة الجيش في الأندلس إلى الوزارة في أيام ابن أبي عامر، وقتل في مواجهة بينه وبين ابن أبي عامر ٣٧٠ هـ/٩٨٠م، ينظر : ابن الابار، الحلة السيراء، ١/ ٢١٦، ٢١٧. المقري، نفح الطيب، ٢٩٨/١، ٣٥٥/٣، ٣٥٧.

٣) المقري، نفح الطيب، ٣٥٥/٣.

٤) ولي قضاء عدد من المدن الأندلس منها طليطلة وبجانة ثم قرطبة، وتوفي في طليطلة سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠م. انظر، ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٣٩ – ٣٤٠. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص٤٠١. النباهي، تاريخ قضاء الأندلس، ص٨١ – ٨٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الله((غالبا مولاه في جيش جرده معه من الحضرة ، وأنفذ العهد إلى قوات الثغر بالاجتماع إليه لبنيانها ، إلى أمره ، وبنيت أحسن بناء ، ونقل إليها البناءون من بلاد الثغر للاختطار لديارها والرباط بها ، فتم ذلك في صفر من هذه السنة ، واطمأنت الديار بمن نزلها من المسلمين واكتمل بنائها وعمرانها على مرور الأيام ، فنفع الله بها المسلمين ، وصيرها شجا في حلوق الكافرين))[1] ، وبذلك غدت مدينة سالم قاعدة قاعدة الثغر الأوسط وأصبح للأندلس ثلاثة ثغور وهم الثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة والثغر الأوسط وقاعدته مدينة سالم ، والثغر الأدنى وقاعدته قورية[2] ، ومهمة الجيوش المرابطة في الثغر الأوسط هو مواجهة هجمات كل من مملكتي قشتالة وليون النصرانيتين[3].

ومنذ ذلك الوقت اتخذت مدينة سالم مركز إداري وعسكري ، وذلك لأن القائد العسكري الذي يشرف على العمليات العسكرية في الثغر الأوسط هو الذي يدير ذلك الثغر ، وقد انيطت هذه المهمة منذ سنة ٣٣٥ هـ/٩٤٦م إلى غالب بن عبد الرحمن الناصري كما أن جيش الخلافة الأموية في الأندلس عندما يخرج للجهاد لا ينزل إلا بمدينة سالم فيستعد ثم يخرج منها إلى العدو ، وبعد انتهاء الغزو يعود للاستراحة فيها ، ولهذا تعرضت مدينة سالم للعديد من الهجمات النصرانية مما أضفى عليها أهمية حربية كبيرة دون مدن

---

١) البيان المغرب، ٣١٤/٢ .

٢) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي، ص٣٩- ٤٠.

٣) م. ن. ، ص٤٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثغـر الأخـرى كسرقسـطة وطليطلـة[1] ، باعتبارهـا نقطـة الانطـلاق الأخيرة نحو الممالك النصرانية.

وفي أواخر عهد الخليفة الناصر حصل نـزاع على عرش مملكة ليون بين الملك شانجة وابـن عمـه اردون الرابع ، وقد ساعد الخليفة الناصر شانجة على استرداد ملكه مقابل أن يقوم الملك الاسباني بهدم عدد من الحصون على حدود المسلمين ، ولكن وفاة الخليفة الناصر حال دون تنفيذ الاتفاق ونقض شانجة العهد وأخذ يغير هو وملك قشتالة فرناند كونثالث[2] على أراضـي المسلمين ، عنـدها لجا اردون الرابع المخلوع إلى الخليفة الحكم المستنصر طالباً المساعدة في إعادة عرشـه ، ويبـدو أن اتصالات قـد جـرت بـين غالـب بـن عبـد الرحمن صاحب مدينة سالم وبين الملك المخلوع حيث أجرى لـه غالب استقبال في مدينة سالم التي مكث فيها حتى اخذ موافقة الخليفة الحكم المستنصر الذي أرسل جيشا من قرطبة لاستصحاب الوفد النصراني إليها وأجرى له استقبالاً حافلاً[3] ، ووعده بالمساعدة

---

١) جمال محمد، مدينة سالم، ص١.

٢) نشأت هذه المملكة بين أراضي مملكتي ليون ونافار في منطقة كثيرة الحصون والقلاع أطلق عليها اسم قشتالة وكان أول ملوكها فرنان كونثالث الذي حارب مملكتي ليون ونافار واستقل في تلك الحصون، ينظر عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص ٥٣٦ – ٥٣٩.

٣) ينظر التفاصيل عن حفل استقبال الخليفة الحكم المستنصر اردون الرابع : المقري، نفح الطيب، ٣٠٢/١ – ٣٠٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في استرجاع ملكه ، ولكن وفاة اردون الرابع حالت دون تحقيق ذلك ، فازدادت هجمات شانجة على حدود المسلمين وتحالف مع ملك قشتالة ضدهم ، عندها قرر الخليفة الحكم الخروج للغزو بنفسه ونزل مدينة سالم للاستراحة ، ومنها اصطحب معه غالب بن عبد الرحمن قائد الثغور وبدأ بحصن شنت اشتيبن الذي استولى عليه النصارى وتكمن من دخوله وتمزيق صفوف المتحالفين الذين ارتدوا معتصمين بالجبال وطالبين للصلح واستغرقت معارك الحكم هذه صيفي سنة٣٥٢و٣٥٣ هـ/٩٦٣ و٩٦٤م[1] ، ويبدو أن الخليفة الحكم كان يقضي فترات استراحة في مدينة سالم لأنه عندما عزم العودة إلى قرطبة أبقى قائد الثغور غالب بن عبد الرحمن في المدينة سالم ليواصل ضغطة على النصارى وليشرف على تنفيذ ما اتفقوا عليه ، ولهذا عندما اخلّ ملك قشتالة بتطبيق بعض بنود الصلح قام غالب بمهاجمة حصن غرماج القريب من حصن شنت اشتيبن وتمكن من استرداده وذلك سنة٣٥٤ هـ/٩٦٥م[2] ، وكذلك في سنة٣٦٣هـ/٩٧٣م عندما قام ملك قشتالة غرسيه بن فرنان بمهاجمة حصن دستة الواقع شمال شرق مدينة سالم واحرق المزارع ونهب الماشية وقد تزامن هجومه هذا مع مغادرة وفد من غرسيه جاء إلى قرطبة لتوقيع

---

١) ابن خلدون، تاريخ، ٤/١٤٤. المقري، نفح الطيب، ١/٢٩٨ – ٢٩٩. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٤٤٤ – ٤٤٥.

٢) المقري، نفح الطيب، ١/٢٩٨ – عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٤٤٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معاهدة صلح ، فما كان من الحكم المستنصر إلا أن رسل من لحق الوفد إلى الحدود وأسرهم ، وأوعز إلى غالب صاحب المدينة سالم بتعويض المتضررين هناك ووزع عليهم الأراضي والحصون والخلع والهبات[1].

وخلال خلافة هشام المؤيد(٣٦٦-٣٩٩/٩٧٦-١٠٠٨م) والأحداث التي سبقت سقوط الدولة الأموية في الأندلس كانت مدينة سالم محور أحداث الثغر الأوسط الأندلسي وشهدت أزهى مراحل تاريخها حتى أن كثير من الأحداث كانت تحسم على ساحتها ، فهي فضلاً عن مركز تجمع الجيوش ، كانت تستقطب أنظار السياسيين في قرطبة الذين كانوا يلجئون إليها لكسب الجيش المرابط هناك ، كما أن وقوعها على الحدود مع الدويلات النصرانية الاسبانية جعلها تلعب في كثير من الأحيان دور الوساطة بينها وبين حكومة قرطبة ، علاوة على ذلك كان المتمردون على حكومة قرطبة يلجئون إليها للاستعانة بالنصارى الذين ما انفكوا يثيرون المشاكل لدولة الإسلام في الأندلس عن طريق تأييد طرف ضد آخر ، وكي لا نستبق الإحداث لنتبع خطواتها.

عند وفاة الخليفة حكم المستنصر سنة٣٦٦هـ/٩٧٦م كان غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة سالم واحداً من ثلاث كبار الشخصيات المهمة في الدولة ، وهم إضافة إليه محمد بن أبي عامر

---

١) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص ٤٥٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والوزير جعفر بن عثمان المصحفي ، وقد عمل الأخيران على عقد البيعة للخليفة الصبي هشام المؤيد ، ثم اخذ نجم محمد بن أبي عامر يتألق على حساب الوزير ، وكان يطمع أن تكون له السلطة العليا في الأندلس ، ومن أجل ذلك دخل في صراع مع الوزير المصحفي ، ولأجل كسب ذلك الصراع كان لابد من استمالة قائد قوات الجبهة الشمالية صاحب مدينة سالم ، وأثناء ذلك حدث أن استغل النصارى وفاة الحكم وقاموا بهجوم شديد على الحدود واحتلوا عدد من الحصون وغنموا وسبوا عدة مناطق ، فقامت قائمة الناس في قرطبة على الوزير المصحفي الذي اتهم بدوره غالب بن عبد الرحمن صاحب مدينة سالم بالتقصير في واجبه ، فأنتهز ابن أبي عامر ذلك وقاد جيشاً من قرطبة والتقى بغالب وشنا هجوماً على أراضي قشتالة واسترجعا ما استلبه النصارى من أراضي ورجعا محملين بالغنائم وقد توطدت بينهما عرى التحالف ضد الوزير المصحفي ، وعندما أحس المصحفي بذلك حاول تدارك الأمر وتصحيح علاقته مع غالب بن عبد الرحمن في محاولة لكسبه في مواجهة ابن أبي عامر ، فطلب ابنة غالب أسماء إلى ابنه محمد وكادت أن تتم المصاهرة لولا إسراع محمد بن أبي عامر بالكتابة إلى غالب يناشده أن يزوجه ابنته ومناه فكان له ما أراد وزفت أسماء إلى ابن أبي عامر في حفل كبير ، واستقدم غالب من مدينة سالم وكرم بلقب ذي الوزارتين وتمت الإطاحة بالوزير المصحفي ، وبذلك غدا ابن أبي عامر الرجل الأول في الدولة وما كان ليصل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى ذلك إلا بالتحالف مع غالب صاحب مدينة سالم[1].

كان غالب بن عبد الرحمن على الرغم من منحه خطة الوزارة إلا أنه كان يقيم في مدينة سالم ، ويبدو أنه آثر الابتعاد عن الصراع السياسي الدائر في قرطبة من اجل المحافظة على السمعة الطيبة التي يتمتع بها في قرطبة وعموم الأندلس ، وهو ينافس بن أبي عامر في هذا المجال فذكر ابن عذارى((كان غالبا يستطيل على ابن أبي عامر بأسباب الفروسية ويباينه بمعني الشجاعة ويعلوه من هذه الجهة التي لا يتقدم لابن أبي عامر بها معرفة))[2] ، وهذا ما كان ينقمه ابن أبي عامر على صهره لأنه الرجل الوحيد الذي يمكن أن يقارعه[3] ، وكان غالب يستشعر ذلك عند ابن أبي عامر ، ولذلك آثر البقاء في مدينة سالم وسط جنده الموالين له ، ولما تفاقم الأمر بين الجانبين دعا غالب صهره ابن أبي عامر إلى القيام بحملة مشتركة في أراضي قشتالة وعند وصول ابن أبي عامر إلى هناك دعاه إلى الحضور وليمة في مدينة انتيسة على مقربة من مدينة سالم ، وعندما التقى الرجلان اشتد العتاب بينهما فشهر غالب

---

١) ينظر : ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص١٥٣ وما بعدها. ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٦٣- ٦٦. ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٣٦٥، ٣٦٧. ابن سعيد، المغرب، ٢٠١/١، ابن خلدون، تاريخ، ١٤٧/٤. المقري، نفح الطيب، ٣٠٨/١ – ٣١١. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول - ق٢، ص٤٧٣ - ٤٧٩.

٢) البيان المغرب، ٣٧٨/٢.

٣) عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٤٨٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سيفه على صهره فجأة وهوى به إليه وكان جنب غالب قاضي مدينة سالم خلف بن يامين الذي((قبض على أسفل كمه[1] لما هوى إليه بالسيف ففترت ضربته وجعل يناشده الله حتى أدهشه وافلت ابن أبي عامر))[2] ،بعد أن أصاب السيف بعض أصابعه حيث أسرع إلى دخول مدينة سالم واستولى عليها وقبض على أهل غالب وأمواله وفرقها في الجيش ثم خرج إلى قرطبة ليتأهب للمعركة الحاسمة مع صهره صاحب مدينة سالم[3].

أما غالب فأنه تحصن أول الأمر بقلعة مدينة انتيسة القريبة من مدينة سالم وأرسل إلى راميرو الثالث ملك ليون فأمده بقوات ، ويصف ابن حزم اللقاء الذي جرى بين ابن أبي عامر وغالب ، أن غالباً كان رجلاً كبير السن قارب الثمانين عاما وقد عصب حاجبيه فبدأ بالهجوم على ميمنة ابن أبي عامر فأزاحها ثم حمل على الميسرة وكان فيها الوزير ابن حزم(والد علي بن حزم) فأزاحها ثم توجه إلى القلب وهو يقول: ((اللهم إن كنت أصلح للمسلمين من ابن أبي عامر فانصرني وإن كان هو الأصلح فأنصره))[4] ،فوجد بعد ذلك ميتاً

---

١) الكم بالضم وهو مدخل اليد ومخرجها من الثوب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٧٣/٤ مادة(الكم).

٢) ابن الآبار، التكملة،٢٣٧/١.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٧٩/٢. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٦٢. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٤٨٦ – ٤٨٧.

٤) ابن حزم، رسائل ابن حزم، ٢/ ٩٤. ينظر أيضا : ابن الخطيب، أعمال=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بلا ضربة ولا رمية وكسب النصر ابن أبي عامر وذلك سنة٣٧١ هـ /٩٨١م[١] ، ويبدو أن من أسباب هزيمة غالب هي استنجاده بالنصارى للقتال إلى جنبه مما أدى إلى فتور أصحابه في الدفاع عنه ، فضلاً عن أنه كان يسئ معاملة الجند إذ يقول مؤلف مجهول: إن غالباً اشتغل ببناء مدينة سالم وتحصينها وأهمل الغزو واستطالت أيدي العدو في ثغور المسلمين((وكان غالب يسئ إلى الجند وإلى الناس والمنصور يحسن إليهم ويبخل عليهم غالب))[٢].

احتفظت مدينة سالم بعد مقتل غالب بمكانتها كمعقل حصين تتجمع به جيوش المسلمين في غزوهم ، ففي ٣٨٤هـ/٩٩٤م هاجم غرسيه ملك قشتالة بعض حصون المسلمين المواجهة لمدينة سالم فتصدى له صاحبها وقائد جيوش الثغر المدعو قند[٣] وتمكن من أسره بعد أن أصابه بجروح ، ثم اقتاده إلى مدينة سالم وأشرف على علاجه ولكن غرسيه مات بسبب تلك الجراح ، فأرسل قند جثته

=الأعلام، ص٦٢ – ٦٤، ويذكر أنه قتل مع غالب ابن ملك البشكنس ردمير بن شانجة ويعرف بري قرية.

١) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص ٢٨. عنان، دول الإسلام، العصر الأول – ق٢، ص٤٨٧ – ٤٨٨.

٢) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٢٠.

٣) قند من موالي الخليفة الناصر وأصبح قائد الثغر في مدينة سالم أبان المنصور ابن أبي عامر، ابن حزم، طوق الحمامة، ص٢١٥. ويبدو أنه تولاها بعد مقتل غالب.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى قرطبة ولم تسلم إلا بعد مدة عندما عقد الصلح مع قشتالة[1].

وفي آخر غزوة قام بها المنصور سنة٣٩٢هـ/١٠٠١م والتي قصد بها ضرب تحالف قشتالة وليون التقى بالقوات النصرانية بمكان يدعى قلعة النسور وبعد يومين من القتال أصيب المنصور بجراح أثقلته فرأى أنه من الصعوبة إحراز نصر حاسم فقرر الانسحاب وهو على أهبة الحرب كي يمنع العدو من المطاردة ، إلا أنه لم يتمكن من الاستمرار في ركوب جواده فحمل في محفة إلى مدينة سالم معقل الثغر المنيع ووضع في قصره ومعه واده عبد الملك وعبد الرحمن ووصى أن يدفن حيث يقبض فدفن بقصره في مدينة سالم[2] ، وكتب على قبره:

آثـــاره تنبيـــك عـــن أخبـــاره
حتـــى كأنـــك بالعيـــان تـــراه

تـــالله لا يـــأتي الزمـــان بمثلـــه
أبـــدا ولا يحمـــي الثغـــور ســـواه[3]

وأشار ابن بسام إلى أن القصر الذي بناه المنصور في مدينة سالم

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٥.

٢) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص ٧٤- ٧٥. ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢٧٣/١. ابن سعيد، المغرب، ٥١/٨، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨١.

٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٠١/٢. ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢٧٣/١. ابن الخطيب، الإحاطة، ١٠٧/٢- ١٠٨. مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٣٧. المقري، نفح الطيب، ٣٦٠/١. العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٤٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان من خالص ماله إذ قال: ((فدفن في قصره بمدينة سالم ورأوا أنه اختاره الله إذ كان أطيب ما بناه رحمه الله))[١].

ابتهج النصارى الأسبان سروراً بموت ابن أبي عامر وذلك لما أذاقهم من مر الهزائم حتى أنه أحصيَ له أكثر من٥٠ غزوة كان في جميعها ظافراً[٢] ، وعندما خلفه ابنه عبد الملك المظفر(٣٩٢ – ٣٩٩هـ/١٠٠١-١٠٠٨م) تنفس ملوك النصارى الصعداء واعتقدوا أنه قد لا يكون مثل أبيه ، ولكن تلك الظنون تبددت فلم تمضي بضعة أشهر على توليته حتى خرج في جيش كبير متجها شمالا نحو عاصمة الثغر الأوسط مدينة سالم حيث قبر والده وذلك في عملية استعراض للقوة وانضم إليه قائد الثغر المرابط في مدينة سالم واضح الصقلبي ، عندها سقط في أيدي ملوك اسبانيا النصرانية فأرسلوا وفودهم إلى مدينة سالم حيث يرابط جيش عبد الملك المظفر وجددوا له العهد كما كان في أيام أبيه المنصور ، إلا ما كان من أمير برشلونة ، عندها غادر المظفر مدينة سالم نحو الشمال الشرقي حيث وصل إلى بسائط برشلونة وهزم قواتها هناك وأرغمهم على طلب الصلح ورجع ظافراً إلى قرطبة[٣].

وفي غزوته الرابعة سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م التي سار فيها إلى أراضي

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٧٥.

٢) ذكر مؤلف مجهول في كتاب تاريخ الأندلس ٥٦ غزوة، ص٢٢٦ – ٢٣٥.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٨٤- ٨٥. ابن عذارى، البيان المغرب، ٣/٤- ٥. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٥٥٦ – ٥٥٨.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نافار وعند رجوعه استقبل في مدينة سالم سفير قيصر القسطنطينية الملك باسيل الثاني[1](٣٧٩ -٤١٦ هـ/٩٨٩ – ١٠٢٥م) ومعه هدية كتاب مذهب ويطلب تجديد مودة الصداقة بين البلدين ، ويشير ابن سام أن عبد الملك المظفر رحب بالسفير ووافق على عرضه وصرفه أجمل صرف[2] ، ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي كان يدرك قوة الدولة العربية الإسلامية في الأندلس وتفوقها العسكري على معظم دول الجوار في الوقت الذي وسع فيه نفوذه في البحر المتوسط وحارب الفاطميين والبلغار ووصل إلى ايطاليا وبذلك أصبح قريباً من حدود الأندلس فأراد أن يطمئن على حدوده الغريبة بإقامة عرى صداقة مع الدولة الأقوى آنذاك في غرب البحر المتوسط.

وفي غزوته السابعة والأخيرة سنة٣٩٩ هـ/١٠٠٨م عندما وصل إلى مدينة سالم اعتل ورجع إلى قرطبة حيث توفي هناك[3] ، وتسارعت الأحداث بعد موت عبد الملك المظفر إذ لم يلبث أخوه عبد الرحمن الملقب(شنجول)[4] سوى بضعة أشهر حتى أطاح به

---

١) باسيل الثاني واحد من أهم أباطرة بيزنطية دخل في صراع عنيف مع البلغار والدولة الفاطمية وغدا في أيامه اكبر قوة في البحر المتوسط إذ امتد نفوذه من أرمينيا شرقا حتى ايطاليا وصقلية غربا. ينظر عنه : الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص٦٣٣ وما بعدها.

٢) ابن بسام، الذخيرة ق ٤، م١، ص٦٨. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٥٥٩.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م ١، ص٨٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٨٩.

٤) لقب بشنجول نسبة إلى أمّه ابنة مالك شانجة ملك قشتالة التي تزوجها المنصور إذ أهداها إليه أبوها تقربا إليه ووصفها ابن الخطيب قائلا إن=

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

انقلاب قام بـه الأمـويين في قرطبـة بقيـادة محمـد بـن هشـام الملقـب بالمهدي وكـان هـذا مـدعوما بعـدد مـن الغوغـاء والعامـة الـذين أثـاروا الرعب في قرطبة ، وقام الخليفة الجديد بإجراءات غير حكيمة عندما سرح الصقالبة وهدم عماد الجيش الضخم الذي حقق الانتصـارات أيام ابن أبي عامر ، ولم يبق من الصقالبة في صفوف محمد المهدي سوى قائـد قـوات الشـمال وصـاحب مدينـة سـالم واضـح الصـقلبي الذي أرسل كتابا إليـه يؤكـد فيـه طاعتـه ، فبعـث إليـه المهـدي كتابـا يشكره ويعينه واليا على الثغر كله ، ولكن إجراءات محمـد المهـدي ضـد البربـر أدت إلى التفـافهم حـول شخصـية أمويـة أخـرى ناقمـة على المهدي وهو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر فبايعـه البربر ولقبوه بالمستعين[1].

وفي هـذا الأثنـاء كـان سانشـو ملـك قشـتالة يراقـب تطـورات الأحداث في قرطبة فعرض عليه زعماء البربر التنازل لـه عـن بعـض القـلاع والحصـون لقـاء مسـاعدتهم ضـد محمـد المهـدي ، ولكـن واضـح القصـلبي صـاحب مدينـة سـالم كـان مـن المـوالين للمهـدي فتصدى لهم ودارت معركـة بـين البربـر إتبـاع المسـتعين ومعهـم جنـد من قشتالة وبـين واضـح الصـقلبي عنـد أبـواب مدينـة سـالم فوقعـت الهزيمة على واضح الصقلبي وفرّ باتجاه قرطبة ووقعت بعض الحصون

=المنصور (تزوجها وحسن إسلامها وكانت من خيرات نسائه ديناً متيناً وحسباً أصيلاً وأولد منها ولده عبد الرحمن). أعمال الأعلام، ص٦٦.

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٧٦- ٧٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على أطراف مدينة سالم بيد المستعين بمساعدة ملك قشتالة ، ثم قاموا بمطاردة واضح الصقلبي نحو قرطبة وتمكنوا من دخولها حيث فرّ منها محمد المهدي وواضح تجاه طليطلة والثغور وصفت قرطبة بيد المستعين وحلفاءه البربر ، ثم حاول المستعين مطاردة محمد المهدي وواضح الصقلبي وضرب حصاراً على مدينة سالم إلا أن الأهالي كانوا على ولائهم للمهدي وواضح فمنعوه من دخولها ، وخلال ذلك حاول محمد المهدي وواضح الارتماء في أحضان النصارى وطلبا من أمير برشلونة لكونت رامون والكونت ارمنجو أمير اورقلة المساعدة ضد البربر وحليفهم المستعين مقابل جزية من المال والتنازل لهم عن مدينة سالم[1] ، وهكذا زحف واضح الصقلبي مع النصارى نحو طليطلة حيث سلم إليهم بالفعل مدينة سالم بعد أن أخلى سكانها المسلمون منها وذلك سنة٤٠٠ هـ/١٠٠٩م ، وأضاف ابن عذاري قائلا((فدخل الإفرنج مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط وملكوها وأول ما لحظوا من المدينة الجامع وضربوا فيه الناقوس وحولوا قبلته))[2] ، وهو أول احتلال نصراني لها منذ فتحها على يد طارق بن زياد سنة٩٣هـ/٧١١م ، ومن جانب أخر فإن واضح الصقلبي قد ضاق ذرعاً بتصرفات الخليفة محمد المهدي في قرطبة

---

١) ينظر : ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/ ٩٥- ٩٦. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٤.

٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٩٤. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول – ق٢، ص٤٩٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقام بالقبض عليه وقتله واخرج هشام المؤيد الذي كان محجوزا في احد بيوت قرطبة وأرجعه إلى كرسي الخلافة باعتباره الخليفة الشرعي ، إلا أن البربر وسليمان المستعين رفضوا ذلك واستمرت الحروب سجالا بين الجانبين ، وقد اغتنم سانشو ملك قشتالة حالة الفوضى في قرطبة فأرسل وفداً إليها مهددا بضرورة تسليم جميع الحصون والقلاع التي أخذها منهم محمد بن أبي عامر والتي تعد قواعد أمامية للمسلمين ، فأضطر واضح الصقلبي وهشام المؤيد إلى الإذعان لطلبه[1] ، وبذلك سقط الخط الدفاعي الأول على حدود الدولة الإسلامية في الأندلس.

ويبدو أن النصارى جند أمير برشلونة وأمير اورقلة قد اخلوا مدينة سالم بسبب هزيمتهم أمام البربر في قرطبة ومقتل نحو من ثلاثة آلاف من جنودهم بينهم لكونت ارمنجو أمير اورقلة(يسميه ابن خطيب ارمنقد) إذ انسحبوا عائدين إلى بلادهم[2].

وبعد سقوط الخلافة الأموية[3] تمزقت الأندلس إلى طوائف ودويلات إذ((تناثرت أشلاؤها ، وتعددت الرياسات في أنحائها ، لا تربطها رابطة ، ولاتجمع كلمتها مصلحة مشتركة ، لكن تفرق بينها منافسات وأطماع شخصية وضيعة ، وتصطدم بينها حروب أهلية

---

١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٧، عنان، م. ن، ص ٥٩٧.

٢) ابن الخطيب، م. ن، ص١١٥. عنان. م. ن، ص٥٩٤ – ٥٩٥.

٣) ينظر التفاصيل عند سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، عنان، م. ن، ص٥٨٨ وما بعدها. السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص٢٠٩ – ٢١٧.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صغيرة ، والأندلس خلال ذلك كله تفقد مواردها وقواعدها القديمة تباعاً ، ويحدق بها خطر الفناء من كل صوب))[١] ، وكان نصيب الثغر الأندلسي أن استقل بنو هود في سرقسطة[٢] ، وبني ذي النون بطليطلة[٣] ، وكانت مدينة سالم تابعة إلى طليطلة على الحد الفاصل بين دولتي بني هود وبني ذي النون ، وكانت مجموعة المدن والحصون الواقعة بين طليطلة وسرقسطة موضع الاحتكاك بين الجانبين ، فقد قام سليمان بن هود بمهاجمة وادي الحجارة سنة٤٣٦هـ /١٠٠٤م بدعوى مراسلة أهلها له وتمكن من دخولها عنوة ولم يستطع المأمون بن ذي النون مواجهته فأرتد إلى طليطلة ، وفي محاولة الانتقام من خصمه استعان بملك قشتالة فرناندو الأول(٤٠٦-٤٥٨هـ /١٠٣٥ -١٠٦٥) على أن يقر بسيادته ويدفع له الجزية ، فاستجاب فرناندو الأول لذلك واخذ جنده يغيرون على أراضي ابن هود المتاخمة لقشتالة وأمعنت فيها تخريباً ، أما ابن هود فقد انحدر في نفس الطريق فأرسل إلى فرناندو يبعث إليه بالأموال ليعمل بأراضي

---

١) عنان، دول الطوائف، ص١٤.

٢) ترجع هذه الأسرة إلى سليمان بن هود الذي أسس دولة في سرقسطة عام ٤٣١ هـ/١٠٣٩م واستمرت حتى سقوطها بيد المرابطين عام ٥٠٣ هـ /١١٠٩م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٠ – ١٧٦.

٣) وهم من البربر وأول من أسس دولتهم في طليطلة إسماعيل بن ذي النون عام ٤٢٧ هـ/١٠٣٥م واستمرت حتى سقوطها بيد الفونسو السادس عام ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٦ – ١٨٤.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خصمه نفس ما عمل بأراضيه ، ثم رد عليه المأمون بمحالفة غرسيه ملك نافار ، وهكذا استباح النصارى أراضي المسلمين وبمساعي حكامهم الذميمة ، وانهارت خطوط الدفاع الأمامية المهمة ، وخلال هجمات الكر والفر بين الجانبين دخل ابن هود مدينة سالم واستولى على حصونها وطرد المأمون منها ، وتعرضت أطراف طليطلة للدمار والخراب من قبل ابن هود في جانب وفرناندو ملك قشتالة من الجانب الآخر ، وفي الوقت نفسه كانت قوات غرسيه ملك نافار تعيث خراباً بأرض ابن هود ، وأشار ابن الخطيب إلى ((أن الفتنة دارت بين هذين الأميرين المشؤمين على المسلمين من سنة٤٣٥ هـ إلى سنة٤٣٨هـ ونورفت بموت سليمان بن هود عنها))[1].

والواقع إن حالة المسلمين في الثغور بدأت بالتدهور منذ بداية القرن الخامس الهجري عندما انقلبت موازين القوى السياسية والعسكرية ، فبعد أن كان المسلمون منذ أيام الناصر حتى نهاية عهد المنصور يتمتعون بالتفوق العسكري والسياسي على اسبانيا والنصرانية وفرضوا عليها الجزية والتبعية في اغلب الأحيان ، انقلبت الصورة بعد انهيار الخلافة وغدا ملوك الطوائف يتهالكون في خطب ود ملوك النصارى ويدفعون لهم الجزية ، وقد استغل ملوك النصارى الأسبان ذلك الظرف إلى درجة كبيرة إذ تبلورت لديهم سياسة حرب الاسترداد على يد فرناندو الأول الذي بعث إلى أهل طليطلة

---

١) أعمال الأعلام، ص١٧٨. ينظر أيضاً: بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص١٢٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائلاً: ((إنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم ، فقد سكنتموها ما قضى لكم ، ولقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عَدْوتكم واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم))[1] ، وقد عبرت رسالته هذه عن عمق الأهداف التوسعية وكشفت عن سياسة أسبانيا النصرانية تجاه الوجود الإسلامي في الأندلس.

وبناء على هذه السياسة فقد خرج بجيشه إلى مدينة سالم ووادي الحجارة وعاث فيها تخريباً ولم يستطع المأمون صاحب طليطلة رده إلا بعد أن سار بنفسه وقدم إليه المال واعترف بطاعته[2].

توفي المأمون بن ذي النون سنة٤٦٧هـ /١٠٧٤م فخلفه حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر(٤٦٧–٤٧٨ هـ/١٠٧٤-١٠٨٥م) الذي وصفه ابن الخطيب بالقول: ((كان هذا الحفيد يحيى مضعفاً ، كثير الحيلة خبيث الفكرة))[3] ، ولتهالكه في أحضان الفونسو السادس(٤٥٦ – ٥٠٢هـ/١٠٧٢ – ١١٠٩م) فقد اسخط أهالي طليطلة عليه الذين قاموا بطرده منها واستدعوا المتوكل بن الأفطس[4] سنة٤٧٢ هـ/١٠٧٩م الذي بقى في طليطلة عشرة أشهر ثم اضطر للخروج منها تحت

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/٢٨٢. عنان، دول الطوائف، ٩٩

٢) عنان، دول الطوائف، ص٣٦٩. دوزي، ملوك الطوائف، ص٢٦٦ – ٢٦٨.

٣) أعمال الأعلام، ص١٧٩.

٤) حكم إمارة بطليوس من ٤٦٠ – ٤٨٧ هـ/١٠٦٧- ١٠٩٤م. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٨٥ - ١٨٦

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضغط قوات الفونسو السادس الذي أعاد القادر إليها شبه أسير ، وقد أخذ يعد العدة لاجتياحها بشن الغارات على أطرافها من سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ثم ضرب عليها الحصار في خريف سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤ وبعد تسعة أشهر تمكن من اجتياحها واتخاذها عاصمة له بعد أن حكمها المسلمون مدة ٣٧٠ عاماً[١] .

كانت مدينة سالم تابعة إلى أملاك بني ذي النون حكام طليطلة ولهذا واصل الفونسو السادس استيلائه على جميع أملاك مملكة طليطلة إذ أشار ابن الكردبوس إلى أنه((لما حصل الطاغية الفنش لعنه الله بطليطلة شمخ بأنفه ، ورأى أن زمان الأندلس قد حصل في كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باستنزاف جميع أقطار ابن ذي النون واستأصلها وذلك ثمانون منبراً ، سوا البنيات والقرى المعمرات وحاز من وادي الحجارة إلى طليبرة وفح اللج وأعمال شنتمرية كلها))[٢].

وعلى الرغم من عدم ورود تاريخ محدد عن سقوط مدينة سالم بيد الفونسو السادس إلا أنه يبدو من نص ابن الكردبوس أن المدينة سقطت بعد سقوط طليطلة مباشرة ، كما أشار في موضوع

---

١) ينظر عن سقوط طليطلة، ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧، عنان، دول الطوائف١٠٧٠ – ١١٣. الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٣٤ – ٣٣٥. المعايرة، مراحل سقوط الثغور الأندلسية، ص١٢٨- ١٣٢ .

٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧. ينظر أيضاً : اشباخ، تاريخ الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، ١/٦٥.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آخر إلى أن الفونسو السادس بعد فراغه من طليطلة توجه بجيشه إلى سرقسطة وضرب عليها((وأقسم أن لا يبرحها حتى يدخلها)) ولكنه اضطر إلى الانسحاب منها عندما علم بعبور المرابطين إلى الأندلس[1] ، ويبدو أن المستعين بن هود(٤٧٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥-١١٠٩م) تمكن من استعادة مدينة سالم وعدد من المدن الواقعة شمال طليطلة بعد هزيمة الفونسو السادس في موقعة الزلاقة[2] ولكن ابن هود لم يتمكن من الاحتفاظ بها طويلاً إذ سرعان ما تمكن الفونسو السادس من احتلالها ، إذ أشار المقري أن شعاع مولى المستعين بن هود قال: ((لما توجهت إلى اذفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور بن أبي عامر سريره وامرأته متكئة إلى جانبه فقال لي يا شجاع: أما تراني ملكت بلاد المسلمين ، وجلست على قبر ملكهم؟ قال: فحملتني الغيرة أن قلت له: لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ، ولا استقر بك قرار ، فهم بي ، فحالت امرأته بينه وبيني وقالت صدقك فيما قال ، أيفخر مثلك بمثل هذا))[3] ، وعليه فإننا نميل إلى أن مدينة سالم قد سقطت نهائياً بين سنتي٤٧٩هـ/١٠٨٦م وهو تاريخ وقعة الزلاقة و٤٩٧هـ/١١٠٣م لأن ابن عذاري أشار إلى أن القائد المرابطي أبو عبد الله بن فاطمة حاول استعادة المدينة في هذا العام

---

١) **ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩١. اشباخ، ن. م، ٨٤/١.**

٢) **اشباخ، م. ن، ١٠٧/١.**

٣٣) **المقري، نفح الطيب، ٢١٠/١، ينظر أيضاً، أرسلان، الحلل، ٨٤/٢.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بعد أن نزلها الفونسو السادس[١].

وقد بذل المرابطون محاولات أخرى لاسترجاعها إلا أنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها ، منها ما كان سنة٥٠٨هـ/١١١٤م عندما تمكن القائد المرابطي مزدلي[٢] من دخولها إلا أنه قتل في المواجهات مع النصارى في السنة نفسها[٣] ، وأشار الذهبي إلى أن القائد المرابطي يحيى بن علي بن غانية غزا مدينة سالم في عهد الأمير علي بن يوسف بن تاشفين(٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) ومكث فيها سبعة أيام وزار قبر المنصور ابن أبي عامر ثم انسحب منها[٤].

ثالثاً: حضارة المسلمين في مدينة سالم

حكم المسلمون مدينة سالم حوالي٣٨٦ عاماً(٩٣- ٤٧٩هـ/٧١١-١٠٨٦م) وكان أول عمل قاموا به هو إعادة بناء المكان الذي كان عبارة عن خرائب قديمة فيها آثار ترجع إلى العهد الروماني ، كما قاموا بعملية استصلاح للأراضي في المنطقة –كما مر بنا– وزراعتها بما يناسب ظروفها المناخية ، يبدو أن المنطقة عاشت حالة من الهدوء والاستقرار لمدة تزيد على قرن ونصف ، وهذه المدة كافية

---

١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٤٤/٤.

٢) هو الأمير مزدلي بن سلنكان ابن عمّ يوسف بن تاشفين واحد كبار قواده، ينظر : ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس ص١٠٩- ١١٠ هامش (٤).

٣) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٦٢.

٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٧٣/٢١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بأن تحولها من مكان تسكنه أفراد من قبيلة مصمودة وهم بنو سالم إلى مدينة حسب ما جاء في وصف الجغرافيين لها ، إلا أن التحول المهم الذي شهدته الحياة في المدينة هو تحولها إلى ثغر في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ثم إلى عاصمة الثغر الأوسط طيلة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، والثغر لغة هو((ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان))[١] ، ولذلك تطلب أن يحشد بالمقاتلين المرابطين فيه ، وغالباً ما كان المرابطون من الجند ينزلون الثغور مع عوائلهم[٢] ، وقد ترتب على ذلك أن يحاط المكان بالسور للمحافظة على السكان ولتقوية وسائل الدفاع ضد العدو[٣] ، إضافة إلى الحصون المتقدمة التي تعد نقاط إنذار مبكر للمدينة[٤].

أما إدارة المدينة فقد كانت أول أمرها تدار بصورة وراثية من قبل عائلة بني سالم من مصمودة باعتبارهم أول من نزلها وعمرها عند الفتح[٥] ، ومنذ سنة٣٣٥هـ/٩٤٦م عمل الخليفة الناصر الأموي على إقالة بني سالم وعين عليها والياً من قبله يكون مسئولاً عن قيادة الجيوش في الثغر الأوسط وهو غالب بن عبد الرحمن الناصري الذي

---

١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣٩٧/٢ (مادة ثغر).

٢) ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص٣٩.

٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٧.

٤) الحجي، التاريخ الأندلسي، ص٣٠٥.

٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٥٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استمر والياً عليها حتى مقتله سنة٣٧١هـ/٩٨١م إذ خلفه في إدارة المدينة قند مولى الخليفة الناصر[١] ،ثم واضح الصقلبي حتى مقتله أيضاً سنة٤٠٣هـ/١٠١٢م [٢] ، فخلفه محمد بن أحمد بن باق السرقسطي الملقب بذي الوزارتين حتى مقتله في الفتنة التي واكبت سقوط الخلافة الأموية سنة٤١٩هـ/ ١٠٢٨م[٣] ، ولم ترد بعد ذلك أسماء ولاة لها بعد هذا التاريخ ربما بسبب اضطراب الأمور خاصة بعد سقوط الخلافة واستقلال الأمراء والطوائف ، وأصبحت مدينة سالم مجرد مدينة تابعة لإمارة بني ذي النون في طليطلة حتى سقوطها.

أشارت المصادر إلى عدد ممن تولوا الصلاة في مدينة سالم ، وصاحب الصلاة هو الذي يقوم بإمامة الصلاة في المسجد الجامع في المدينة[٤] ،واغلب من تولى هذه الوظيفة كان من العلماء البارزين في علوم القران والحديث والذي سيأتي الكلام عن سيرهم.

كما كان للمدينة قضاة ذكرت المصادر عدد منهم—كما سيأتي — وقد وصفتهم أنهم من أهل الورع والتقوى والعلم ، وقد شارك بعضهم في الأحداث التي مرت بها المدينة ، فقد شارك القاضي محمد بن عبدالله بن يحيى في بناء المدينة أيام الخليفة الناصر[٥] ،

---

١) ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٤٥.

٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١١٨.

٣) ينظر: ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ٣٣٧/١، ١٧٥/٣، ١٦٥/٤.

٤) السامرائي، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص٤٤١.

٥) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص٤٠١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والقاضي خلف بن يامين الذي حال دون قتل ابن أبي عامر على يد غالب بن عبد الرحمن[1] ، والقاضي الحسين بن يحيى بن عبد الملك بن حي الذي كان يدعُ للخليفة محمد المهدي بعد انقراض الدولة العامرية[2].

كما أسهم أهالي مدينة سالم في الأدب والعلوم ، فقد كان على اتصال دائم مع رواد الفكر الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي ، لذلك نبغ مهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء ، ولعل الصفة التي كانت تجمع اغلب أولئك العلماء أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله حيث قصدوا ذلك الثغر ودافعوا عن بلدهم ودينهم ، وقد ارتأينا ذكرهم على الحروف الأبجدية وذلك لعدم التمكن على التعرف على وفيات بعضهم.

١- إبراهيم بن موسي من أهل مدينة سالم يعرف بابن الجياب له رحله إلى سرقسطة حيث سمع من أبي عمر الطلمنكي وحدث عنه أبو مروان بن نذير بشنتمرية[3].

٢- أحمد بن نصر بن عيسى بن سحابة الأنصاري يكنى أبا جعفر أصلة من مدينة سالم ثم سكن شاطبة وولي الخطبة ببعض جهاتها وله رواية في الحديث[4].

---

١) ابن الآبار، التكملة، ٢٤٠/١.

٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢١٩/٨

٣) ابن الآبار، التكملة، ١١٨/١

٤) ابن الآبار، التكملة ، ٦٤/١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣- بيبش بن خلف الأنصاري من أهل مدينة سالم روى عن أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ وأبي محمد بن عبد الله بن سعيد ، وكان عنده علم وخير وقد حدث وأخذ عنه[1].

٤- جعفر بن عنق الفضة كان شاعراً مدح قاضي قرطبة ابن حمدين[2] ، وقال ابن بسام إنه أنشده لنفسه عدة أبيات[3] ، وقال عنه ابن سعيد إنه ممن تفخر به مدينة سالم[4].

٥- الحسين بن يحيى بن عبد الملك بن حي المعروف بابن الحزقه المالكي ، كان عارفاً بمذهب مالك ولي القضاء بمدينة سالم وتوفي سنة٤٠١ هـ/١٠١٠م[5].

٦- أبو العاص حكم بن محمد بن إسماعيل بن داود القيسي السالمي من أهل مدينة سالم سكن سرقسطة ، له رحلة إلى المشرق ورواية بالحديث عن الحسن بن رشيق المصري روى عنه وضاح بن محمد السرقسطي ، وقال عنه الذهبي كان صالحاً زاهداً توفي سنة ٣٣٩ هـ/٩٥٠م[6].

٧- خالد بن أحمد بن أبي زيد الرصافي ولي قضاء مدينة سالم

---

١) ابن بشكوال، الصلة، ٣٩/١. أرسلان، الحلل، ٩٠/٢.

٢) هو حمدين بن محمد بن الثعلبي قاضي قرطبة توفي سنة ٥٤٧ هـ/١١٥٢م، النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٣٥ – ١٣٦.

٣) ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م٢، ص٩٠٤. وهو يسميه أبو جعفر أحمد بن عنق، وفي ابن سعيد أنه جعفر بن عنق، المغرب ،٤٦١/٢.

٤) ابن سعيد، المغرب، ٤٦١/٢.

٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٣ /٥٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٤١٧/٤.

٦) ابن بشكوال، الصلة، ٤٧/١، الذهبي، م. ن، ٣٩٥/٦. أرسلان، الحلل، ٨٨/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان يلقب جبل الثلج ، قال عنه ابن الآبار كان ممن امتحن أيام الفتنة بعد قتل صاحب مدينة سالم محمد بن أحمد بن باق سنة٤١٩ هـ/١٠٢٨م[١].

٨- خلف بن محمد بن خلف المقرئ من أهل مدينة سالم كان مشهوراً بعلم القراءات وتصدر للإقراء ببلده ، أخذ عنه القراءات الحسن بن سعيد القوطة الحجاري وسمع منه بها ، قال ابن الآبار : كان حياً سنة٤٧٦ هـ/١٠٨٣م[٢].

٩-خلف بن يامين وهو من أهل مدينة سالم وولي القضاء بها أيام المنصور بن أبي عامر- وسبق أن اشرنا- حضر المواجهة بين المنصور وغالب بن عبد الرحمن وهو الذي امسك كمّ غالب لما أهوى بالسيف على ابن أبي عامر ففترت ضربته وهو يناشده الله الله واقلت ابن أبي عامر ، ثم قتله غالب بن عبد الرحمن بسبب ذلك سنة٣٦٩ هـ/٩٧٩م[٣].

١٠-عبد الرحمن بن بشر ذكره القاضي عياض أنه من مدينة سالم وممن روى عنه أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري[٤].

١١-عبد الرحمن أبو زيد السالمي من مدينة سالم سكن استجه ، كان شاعراً ينشد لنفسه[٥].

١٢-عبد الملك بن خلف الخولاني يعرف بالسالمي لأن أصله من

---

١) ابن الآبار، التكملة، ٢٣٧/١. أرسلان. الحلل. ص٨٩.
٢) التكملة، ٢٤٣/١.
٣) م.ن، ٢٤٠/١.
٤) ترتيب المدارك، ٨١/٢.
٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨ / ١٩٠.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مدينة سالم ثم سكن غرناطة وكان عالم بالقراءات أخذها عن أبي القاسم عبد الوهاب بن عبد الله الطرفي وحمل عنه جميع كتبه ، كما سمع من آخرين ثم تصدر للإقراء في غرناطة ، قال ابن الآبار: وكان((من جملة أهل هذا الشأن مع الصلاح والإنصاف والزهد))[1].

١٣-عثمان بن محمد بن عيسى اللخمي أصله من مدينة سالم سكن مرسية روى عن أبي الحسن بن هذيل وأبي عبد الله بن سعادة ، قال عنه ابن الآبار: ((كان فقيهاً حافظاً للمسائل مدرساً للفقه يناظر عليه ويجتمع إليه أديباً ماهراً مشاركاً في علم الحديث وقد أخذ عنه من شيوخنا أبو سليمان بن حوط الله تفقه به وسمع منه)) وكانت وفاته سنة٥٥٨هـ/١١٢٦م[2].

١٤-علي بن إبراهيم بن فتح من أهل مدينة سالم قرأ على أبي العباس بن هاشم المقرئ ، توفي ببلده سنة٤٨٢هـ/١٠٨٩م[3].

١٥-علي بن الحسن بن احمد الجذامي ، قال عنه ابن الآبار: إنه صاحب الصلاة بمدينة سالم روى عن أبي عبد الله بن أبي زمنين سمع منه بقرطبة كتاب أدب الإسلام سنة خمسة وتسعون وثلاثمائة ، وكان أهل الثغر يرحلون إليه للسماع منه قال كان حياً سنة٤٤٨ هـ/١٠٩٥م[4] .

---

١) ابن الآبار، التكملة، ٧٣/٣. المراكشي، الذيل والتكملة، ٦٧/٥. أرسلان، الحلل، ٩٠/٢.

٢) ابن الآبار، التكملة، ١٥٠/٣ – ١٧١. المراكشي، الذيل التكملة، ١٣٨/٥.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ٤٩٩/٢ .

٤) ابن الآبار، التكملة، ١١٨/١، ١٧٥/٣.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٦-علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف أبو الحسن النقرات الأنصاري السالمي من أهل مدينة سالم نزل جيّان ثم فاس له كتاب شذور الذهب في الكيمياء قال الصفدي: ((ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه ، بلاغ معان وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه: إن لم يعلمك صنعت الذهب فقد علمك صنعة الأدب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء)) كانت وفاته سنة٥٩٠ هـ/١١٩٣م[١].

١٧-علي بن يوسف القيسي السالمي أصله من مدينة سالم سكن جيّان أخذ القراءات عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الفراء وتصدر للإقراء وعمّر وأسن[٢].

١٨-عيسى بن أبي يونس بن أسد اللخمي من أهل مدينة سالم قرأ على أبي العباس بن هاشم المقرئ وتوفي في بلده سنة٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م[٣].

١٩-عيسى بن عبد الرحمن بن سعيد الأموي من أهل مدينة سالم سمع من القاضي أبي عبد الله السقاط وقرأ القرآن على أبي احمد جعفر بن عيسى الأموي ، قال عنه ابن بشكوال: كان من أهل العلم حافظاً توفي بمرسية سنة٤٨٨ هـ/١٠٩٥م[٤].

---

١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٢ / ١٦٢.

٢) ابن الآبار، التكملة، ١٨٥/٣ . مراكشي، الذيل و التكملة، ٤٢٧/٥.

٣) ابن بشكوال، الصلة، ٤١٤/٢.

٤) م. ن، ٤١٦/٢.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٠- محمد بن إبراهيم بن شايش القيسي من أهل مدينة سالم سكن سرقسطة قال عنه ابن الآبار: كان شاعراً أديباً صاحب تقييد وضبط[١].

٢١- محمد بن احمد بن عامر البلوي السالمي من أهل مدينة سالم سكن مرسية كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ له كتاب اسمه درر القلائد وغرر الفوائد وكتاب في اللغة وآخر في الطب سماه الشفاء ، كما كان له حظ في الشعر كانت وفاته سنة٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[٢].

٢٢-محمد بن عبد الله بن يحيى المعروف بابن أبي عيسى وهو الذي تولى بناء مدينة سالم مع غالب بن عبد الرحمن سنة٣٣٥هـ /٩٤٦م في خلافة الناصر ، قال عنه ابن الفرضي: ((كان حافظاً للرأي معتنياً بالآثار ، جامعاً للسنن متصرفاً في علم الأعراب ومعاني الشعر وكان شاعراً مطبوعاً)) توفي سنه٣٣٩ هـ/٩٥٠م[٣].

٢٣-محمد بن موسى الأنصاري من أهل مدينة سالم اشتهر بالقراءات وتصدر للإقراء روى عنه أبو عبد الله بن عباده الجياني[٤].

---

١) ابن الابار، التكملة، ٣٤٩/١- ٣٥٠.

٢) ابن الآبار، التكملة، ٢٦/٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ٨٠/٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ٢٠٩/٨.

٣) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ص٣٣٩ – ٣٤٠. القاضي عياض، ترتيب المدارك، ص٤٠١. ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٢٥٩- ٢٦٦. النباهي، تاريخ قضاة قرطبة، ص٨١ – ٨٥.

٤) ابن الآبار، التكملة، ٣٤٥/١.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٤- محمد بن يحيى بن احمد بن محمد بن عبد الله التميمي المعروف بابن الحذّاء من أهل قرطبة ولي قضاء مدينة سالم واستقر بها وحدث فيها ، قال ابن بشكوال : كان عالماً بالحديث والفقه وعبارة الرؤيا وله كتاب التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن انس من النساء والرجال ، وكتاب الأنباء على أسماء الله ، توفي سنة٤١٠ هـ/١٠١٩م[١].

٢٥- نصر بن عيسى بن سحابة من أهل مدينة سالم سكن سرقسطة ، كان من أهل الأدب والمعرفة بالعروض وله كتاب في ذلك[٢].

٢٦- يحيى بن خلف بن سعيد من أهل مدينة سالم تولى الصلاة والخطبة بها وكان ذا علم بالقراءات وتصدى للإقراء بها ، وأخذ عنه سعيد بن محمد بن فوطة الحجاري[٣]..

٢٧- يونس بن عيسى بن خلف الأنصاري من أهل مدينة سالم سمع من القاضي أبي عبد الله السقاط وقرأ القرآن على أصحاب أبي عمرو المقري كانت وفاته سنة٥٠٨هـ/١١١٤م[٤].

---

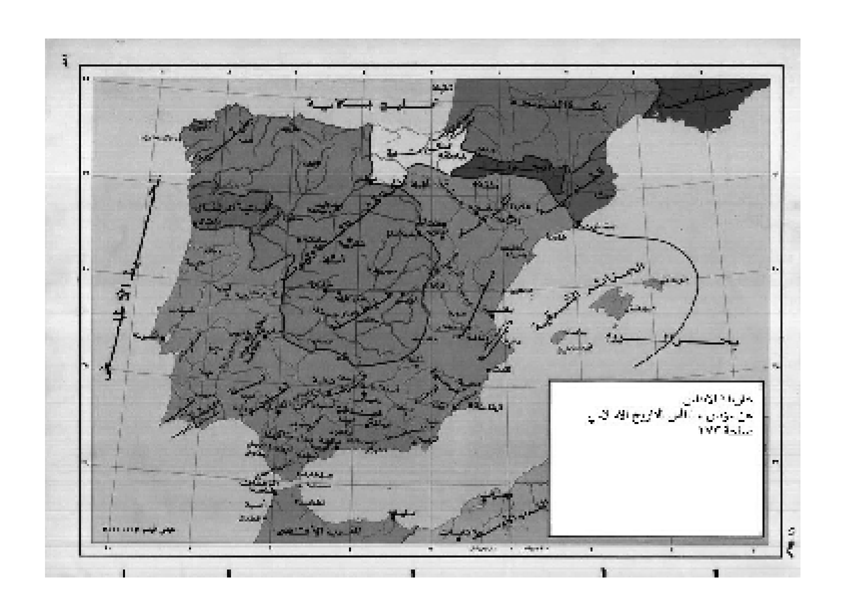
١) ابن بشكوال، الصلة، ٢/٤٧٨- ٤٨٠. رسائل ابن حزم، ١/١٢٠.

٢) ابن الآبار، التكملة، ٢/٢١٢.

٣) م.ن، ٤/١٦٥.

٤) ابن بشكول، الصلة، ٢/٦٤٩. أرسلان، الحلل السندسية، ٢/ ٨٩.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com



خارطة الأندلس عن السامرائي الثغر الأعلى

توضح مواقع أهم المدن الأندلسية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قائمة المصادر والمراجع

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله(ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

١- التكملة لكتاب الصلة، عني بنشره وصححه السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م.

٢- الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط١، القاهرة، ١٩٦٣م.

٣- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، دار صادر، بيروت، ١٨٨٥م.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٤- الأندلس من الكامل في التاريخ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش، منشورات دار تموز، ط١، دمشق، ٢٠١٥م.

٥ - الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٦- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

أرسلان، شكيب

٧- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.

٨- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٣٦م.

أشباخ، يوسف

٩- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.
الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)
١٠- المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٧م.
البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)
١١- التاريخ الكبير، تركيا، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.
بروفنسال، ليفي.
١٢- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)
١٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م. البستاني، المعلم بطرس.
١٤- دائرة المعارف، بيروت، مادة طركونة.
ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)
١٧- الصلة في تاريخ علماء الأندلس، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري، ط٣، بيروت ٢٠٠٣م.
البغدادي، إسماعيل باشا (١٣٩٩هـ/١٩٨٧م)
١٥- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت، د. ت.
البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
١٨- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.
ابن بلقين، عبد الله (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)
١٩- مذكرات الأمير عبد الله المسمى بكتاب التبيان، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م
بنيامين التطيلي، بنيامين بن بونه النباري (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)
١٦- رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، بغداد، ١٩٤٥م.
بول، لين
٢٠- قصة العرب في اسبانيا، ترجمة على الجارم، دار المعارف، مصر، ١٩٤٧م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي(ت القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)

٢١- أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥ م.

التواتي، عبد الكريم

٢٢- مأساة انهيار الوجود العربي بالأندلس، ط١، الدار البيضاء، ١٩٦٧م.

جمال محمد.

٢٣- مدينة سالم الأندلسية على الموقع الالكتروني:
http://djelfa.info/vb/archive/index.php?t-3696.html

الجبوري، عذراء نوري

٢٤- رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠٠٦م.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

٢٥- صفوة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري ومحمد رواسي، بيروت، ١٩٧٩ م.

ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ /١٤٤٨م)

٢٦- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق مراقبة محمد عبد المعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الحجي، عبد الرحمن علي.

٢٧- أندلسيات، ط١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٦٩م.

٢٨- التاريخ الأندلسي كم الفتح حتى سقوط غرناطة، ٩٢- ٨٩٧هـ/ ٧١٠- ١٤٩١م، ط١، بغداد ١٩٧٦م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

٢٩ - جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٣٠- رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، ط٢، بيروت ,١٩٨٧

٣١- طوق الحمامة، تحقيق صلاح الدين القاسمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م.

٣٢- المحلى، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

حسين، حمدي عبد المنعم محمد

٣٣- ثورات البربر في عهد الإمارة الأموية ٣٨- ٣١٦هـ/٧٥٦- ٩١٨م،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإسكندرية ١٩٩٣م.
الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٩٥م)
٣٤- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين هواري، ط ١، بيروت ٢٠٠٤م.
الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)
٣٥- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشرها وصححها وعلق حواشيها إ- ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م.
ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٣٧م)
٣٦- صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.
ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
٣٧- المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ١٨٠- ٢٣٢هـ/٧٩٦- ٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي، ط ١، الرياض ٢٠٠٣م.
٣٨- المقتبس (للحقبة ٢٣٢- ٢٦٧هـ/ ٨٤٦- ٨٨٠م) تحقيق محمود مكي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.
٣٩- المقتبس (للحقبة ٢٧٥- ٣٠٠هـ/٨٨٨- ٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
٤٠- المقتبس(للحقبة ٣٠٠- ٣٣٠هـ/٩١٢- ٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كورنيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
٤١- المقتبس(للحقبة ٣٦٠- ٣٦٤هـ/ ٩٧٠- ٩٧٤م)، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥م.
أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م).
٤٢- تفسير البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، أو، ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)
٤٣- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، طبعة بولاق، ١٨٦٦م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٤- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوايكة ،ط١، بيروت ١٩٨٣م.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

٤٥- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان ،ط٢، القاهرة، ج١، ١٩٧٣م، ج٢، ١٩٧٤.

٤٦- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ أسبانيا الإسلامية، تحقيق وتعليق إ- ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

٤٧- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٤٧هـ.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

٤٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط١، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٤٩- المقدمة، ط٥، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

٥٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،تحقيق إحسان عباس، لبنان، دار الثقافة، ب.ت.

دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة احمد الشنشناوي وآخرون.

٥١- مادة طركونة.

٥٢- مادة الرباط.

ابن دحية، عمر بن دحية الكلبي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)

٥٣- المطرب من أشعار أهل المُغرب، قدم له و ضبطه صلاح الدين الهواري، المطبعة العصرية، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

الدرويش، جاسم ياسين.

٥٤- مدينة سالم الأندلسية (٩٣- ٤٧٨هـ / ٧١١- ١٠٨٥م)، مجلة دراسات التاريخية، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، العدد الثامن، ٢٠١٠م.

الدرويش، جاسم ياسين، والعلياوي، حسين جبار مجيتل.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥٥- لشبونة في العصر الإسلامي(٩٧- ٥٤٢هـ/٧١٥- ١١٤٧م)، مجلة دراسات تاريخية، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، العدد الرابع، ٢٠٠٨م.

الدرويش وجابر، جاسم ياسين وحميد سراج

٥٦– الأندلس من تاج العروس، ط١، لندن، ٢٠١٣م.

دندش، عصمت عبد اللطيف

٥٧- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت ١٩٨٨م.

دوزي، رينهرت.

٥٨- المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، مصر، ١٩٩٤م.

٥٩- ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، ١٩٣٣م.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

٦٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٦١- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقوسي، ط٩، بيروت ١٤١٣هـ.

٦٢- العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط٢، الكويت ١٩٨٤م.

الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٩م).

٦٣- الجرح والتعديل، بيروت، ١٩٥٢ م.

الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني (١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م).

٦٤- تاج العروس، تحقيق علي شيري، بيروت، ١٩٩٤م.

ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت كان حياً سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

٦٥- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٢م.

الزركلي، خير الدين

٦٦- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم، ط١٥، بيروت ٢٠٠٢م.

الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت القرن السادس الهجري / الثاني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عشر الميلادي) ٦٧- الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

سالم، عبد العزيز.

٦٨- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ١٩٦٢م.

٦٩- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٩م.

السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.

٧٠- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.

٧١- تاريخ المغرب العربي، الموصل، ١٩٨٨م.

السامرائي، خليل إبراهيم.

٧٢- الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥- ٣١٦هـ/ ٧١٣- ٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد، ١٩٧٦م.

٧٣- علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦م.

السامرائي، عبد الحميد حسين احمد.

٧٤- الثغر الأدنى الأندلسي (دراسة في أحواله السياسية خلال فترة الولاة والإمارة ٩٥ – ٣١٦هـ / ٧١٤ – ٩٢٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧م.

ابن السباط، حمزة بن أحمد بن عمر (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)

٧٥- صدق الأخبار (تاريخ ابن السباط) عني به وحققه عمر عبد السلام تدميري، ط١، طرابلس، لبنان، ١٩٩٣م.

ابن سعد، محمد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)

٧٦- الطبقات، بيروت ١٩٩٥م.

ابن سعيد، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٧٧- الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، مطبعة المكتب التجاري، بيروت ١٩٧٠م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٨- رايات المُبرزين وغايات المُميّزين، حققه وعلق عليه محمد رضوان الداية، ط١، دمشق ١٩٨٧م.

٧٩- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج١، ١٩٥٣م، ج٢، ١٩٥٥م.

السلاوي، أحمد بن خالد الناصري

٨٠- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٤م.

السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد (ت٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)

٨١- أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م)

٨٢- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، ط٢ ،القاهرة ١٩٨٢م.

سوسة، أحمد

٨٣- الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، منشورات نقابة المهندسين العراقية، د.ت.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

٨٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

ابن الشباط، محمد بن علي بن محمد بن الشباط المصري التوزي (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

٨٥- صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، طبع مع كتاب تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، مدريد ١٩٧١م.

الشكعة، محمد

٨٦- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ط٣، بيروت، ١٩٧٥م.

شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)

٨٧- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط١، بيرو ١٩٨٨م.

ابن أبي صاحب الصلاة، عبد الملك (ت حوالي ٦٠٥هـ/١٢٠٨م)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨٨- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

٨٩- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٠م.

الصوفي، خالد

٩٠- تاريخ العرب في أسبانيا حتى نهاية الخلافة الأموية في الأندلس، ط١، حلب، ١٩٦٣م.

٩١- تاريخ العرب في الأندلس، (الفتح وعصر الولاة ٩٢- ١٣٨هـ/ ٧١٠-٧٥٥م) دار النجاح، بيروت، ١٩٧١م.

الضبي، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)

٩٢- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

طرخان، إبراهيم علي.

٩٣- المسلمون في أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٦م.

طه، عبد الواحد ذنون.

٩٤- دراسات أندلسية، ط١، الموصل، ١٩٨٦م.

٩٥- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠م.

عاشور، سعيد عبد الفتاح.

٩٦- أوربا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ط٩، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

العبادي، أحمد مختار

٩٧- في التاريخ العباسي والأندلسي، بيروت، ١٩٧٢م.

العتبي، محمد سعيد رضا وآخرون.

٩٨- تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، بغداد ٢٠٠٢م.

ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)

٩٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمايرة، محمد نايف
١٠٠- مراحل سقوط الثغور الأندلسية بيد الأسبان، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، ١٩٨٩م.
عنان، محمد عبد الله.
١٠١- الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٠٢- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط٢، القاهرة ١٩٧٠م
١٠٣- دول الطوائف منذ قيانها حتى الفتح المرابطي ،ط١، القاهرة، ١٩٦٠م
١٠٤- دولة الإسلام في الأندلس، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٠٥- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٠٦- نهاية الأندلس، القاهرة، ١٩٦٦م.
ابن غالب، محمد بن أيوب بن غالب البلنسي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)
١٠٧- قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة، ١٣٥٦هـ.
أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
١٠٨- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠م.
ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)
١٠٩- تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩م.
ابن فرحون، القاضي إبراهيم بن نور الدين المالكي (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)
١١٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمود بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)
١١١- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق رويحة عبد الرحمن السويفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)
١١٢- البلدان، ط١، بيروت ١٩٨٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فؤاد، بو علي

١١٣- تأثير اللغة الاسبانية باللغة العربية، مقالة على الموقع الالكتروني :
http://alwotaqa.com/vb/anded.pht?t-1438.html

الفيروز آبادي، محي الدين محمد بن يعقوب (ت٧١٨هـ/١٤١٤م)

١١٤- القاموس المحيط، ط٢، مصر ١٩٥٢م.

ابن القاسم، إسماعيل بن إبراهيم (ت١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م)

١١٥- مخطوط تاريخ الأندلس نشر أنور زناتي، مصر، د. ت.

القاضي عياض، بن موسى بن عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)

١١٦- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام مذهب مالك ،منشورات مكتبة مشكاة الإسلامية.

ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م) (منسوب)

١١٧- الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق الأستاذ علي شيري، ط١ ، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).

١١٨- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.

ابن القطان، أبو الحسن علي بن محمد الكتاني (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)

١١٩- نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان، المغرب، ١٩٦٥م

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

١٢٠- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م.

ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)

١٢١- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، بيروت، ١٩٥٧م، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، القاهرة ١٩٨٩م.

الكتاني، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني (ت ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م)

١٢٢- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب العربي، ط٢، بيروت، ١٩٨٢ م.

الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ /١٢٦٥م)

١٢٣- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤ م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٢٤- البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.
كحالة، عمر
١٢٥- معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
كراتشوفسكي، أغناطيوس
١٢٦- تاريخ الأدب الجغرافي في العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان، القاهرة ١٩٦٣م.
ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)
١٢٧- تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.
لودر، دروثي
١٢٨- أسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، القاهرة، ١٩٦٥م.
ماجد، عبدالمنعم
١٢٩- التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، ط٧ مصر ١٩٨٢م.
ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٧٥هـ/١٠٨٢م)
١٣٠- إكمال الكمال، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤١١هـ.
مجهول، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).
١٣١- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط، ١٨٦٧م.
مجهول : مؤلف (ت ق ٦هـ / ١٢م)
١٣٢- الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، بغداد ١٩٨٦م
مجهول، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).
١٣٣ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م.
مجهول، مؤلف، (من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)
١٣٤- الحلل الموشية في ذكر الإخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجهول، مؤلف (كان حيا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)
١٣٥- مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، الرباط، ٢٠٠٥م.
المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
١٣٦- المعجب في تلخيص أخبار المُغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت ٧٤٢هـ/١٣٤٢م).
١٣٧- تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت ،ط٤، ١٩٨٥م.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)
١٣٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، ط١، إيران، ١٤٢٢هـ.
مصطفى، شاكر.
١٣٨- المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط١، د. م، ١٩٨٨م.
المقدسي، أبو عبد الله محمد بن محمد البشاري (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م).
١٣٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع هوامشه محمد مخزوم، بيروت، ١٩٨٧م.
المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)
١٤٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
مكي، محمود علي
١٤١- البرتغال الإسلامية، مجلة العربي، العدد ٢١٩، لسنة ١٩٧٧م.
ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م).
١٤٢- لسان العرب المحيط، بيروت، د. ت
مؤنس، حسين.
١٤٣- الثغر الأعلى الأندلسي وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م مع أربع وثائق جديدة، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، م١١، ج٢، القاهرة، ١٩٤٩م
١٤٤- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢- ١٣٨هـ/٧١٠- ٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٤٥- معالم تاريخ المغرب والأندلس، مصر، ٢٠٠٤م.
ناجي، عبد الجبار
١٤٦- دراسات في تاريخ المدن الإسلامية، جامعة البصرة، ١٩٨٦م.
النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت بعد سنة ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠م)
١٤٧- تاريخ قضاء الأندلس، ضبطه وشرحه وعلق عليه مريم قاسم طويل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
النويري، أحمد بن عبد الوهاب التيمي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
١٤٨- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (إفريقية والمغرب- الأندلس. صقلية واقريطش ٢٧- ٧١٩هـ/ ٦٤٧- ١٣١٩م)، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
١٤٩ – نهاية الأرب في فنون الأدب، منشورات دار الكتب، ط١، القاهرة ١٤٢٣هـ.
هنتس، فالتر
١٥٠- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمّان، ١٩٧٠م.
ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت : ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)
١٥١- تاريخ ابن الوردي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٥م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
١٥٢- الأندلس من معجم البلدان، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش، ط١، البصرة ٢٠١٢م.
١٥٣- معجم البلدان، ط١، بيروت، ١٩٩٥م.
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)
١٥٤- البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

Atkinson ، William ، C
Spain abrief history ، firat published ، 1934.
155-Barton، Simon

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

156- Leon and Castile and the struggle againstIslam ، cited in:WWW dereilitar .Org .

Collins، Roger

157- The Basques، second Edition، U.S. A، Blackwell 1990.

Hoyt and chodorow

158- Europe in the middle Ages، U. S. A، 1976.

Paiter، Sidney

159- ;History of the Middle Ages 284-150، New York 1954

Payne، Stanley

160- History of Spain and Portugal ، The Library of Iberian Resources ، University of Wisconsin1973.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحتويات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com